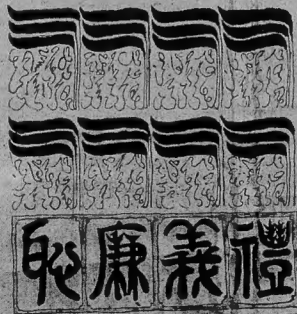




GOETHE-INSTITUT



«بسم الله الرحمن الرحيم»، لوحة من القرن التاسع عشر للفنان صيني غير معروف

هل أنت من مستخدمي الإنترنت؟ ماذا تفعل هناك؟ هل تتواصل مع الناس عزيزي القارئ؟ من خلال الشبكة أم تستخدمها للقراءة والبحث عن المعلومات؟ شبكة

الإنترنت تؤمن الاتصال من أي مكان في العالم إلى أي مكان آخر. شرط أن تكون هذه المناطق متصلة شبكياً. في الحقيقة ليست شبكة الإنترنت منتشرة في العالم بالصورة التي يتخيلها البعض في الغرب الذي يحظى بشبكة اتصال كاملة، إذ لا يوجد المرء، خارج العواصم والمدن الجامعية، في معظم الدول الإفريقية والآسيوية الثانية مقاهٍ للإنترنت، تتجلى ديمقراطية الإنترنت للوهلة الأولى في أنه لا يفرق بين مستخدميه، لكنه في الوقت نفسه غير ديمقراطي. فإذا سألنا أنفسنا من يستخدم الإنترنت حقاً، نجد أن الشروط الأساسية التي تلعب دوراً كبيراً في انتشاره تتجلى في الوضع المالي والثقافي والاعتماد على استعمال الحاسوب الذي لا يتوفر لدى الكثير من الناس. لكن في النهاية علينا أن لا نفقد الأمل في أن الإنترنت سيجد طريقه، على المدى البعيد إلى معظم البشر، قد يطول هذا الأمر خمسين أو مئة سنة أخرى.

وإذا كنت عزيزي القارئ من مستخدمي الإنترنت فستجد إمكانيات هائلة لقراءة الصحف في الشبكة، إذ بإمكانك، مثلاً، أن اقرأ في مكتب "فكر وفن" في كولونيا صحيفة الأهرام المصرية وصحيفة "كوماس" الإندونيسية. ينطبق الأمر نفسه على صحيفة "النيويورك تايمز" وصحف ومجلات إيرانية كثيرة، عطفاً على "المصحف" الموجودة على شبكة الإنترنت أصلاً أو ما بات يعرف بالصحف الإلكترونية.

بالطبع لا يمكن المقارنة بين القراءة على شاشة الحاسوب وقراءة صحيفة حقيقية أو مجلة أو كتاب. فالقراءة في الإنترنت مفهوم مثير للجدل. قد لا يعتمد مستخدم الإنترنت أكثر من خمس دقائق لقراءة مقال على الشاشة، ومن يريد أن يقرأ أكثر سيلجأ إلى طباعة ما يريد قراءته، هذا إذا كانت لديه الإمكانيات، وهم الأقلية. يدرك هذه الحقيقة كل معدّي برامج الإنترنت الذين يصرون على أن لا تتجاوز أطول مقالة على الشبكة ثلاثة آلاف حرف. من هنا نجد أن إمكانيات الإنترنت محدودة في الواقع، على عكس ما يتصورها المرء نظرياً.

يمكن طرح الأفكار الكبرى والأحداث الهامة على شبكة الإنترنت، لكن المشكلة تظهر في التلقي المناسب لهذه القضايا. هالتبادل الثقافي، الذي يتجاوز نقل الخبر، مازال يعتمد على الإعلام التقليدي، لأنه يمكن معالجته هناك بطريقة أفضل، ربما يكون الإنترنت منافساً للصحف، لكن الأمر يختلف مع الكتب والمجلات الرصينة. لا أحد سيرقأ مقالة تفيد كرماني حول صمويل ترجمة القرآن، وبعض المقالات الأخرى المنشورة في هذا العدد، على شبكة الإنترنت، فمن يجلس في مقهى من مقاهي الإنترنت، كما هو الحال في معظم مناطق العالم، لن يقرأ مثل هذه المقالات حتى لأسباب مالية. ويدون هذه المقالات العميقة لن يكون هناك تبادل ثقافي حقيقي. إذ ليس من الممكن أن تناقش الفروق الثقافية من خلال المقالات القصيرة التي لا تتجاوز ثلاثة آلاف حرف. هذا بغض النظر عن الإمكانيات النادرة الأخرى التي تقدمها المجلات، كالصور مثلاً. فمن يتصفح أي عدد من "فكر وفن"، سواء الأعداد الجديدة أو القديمة، سيكتشف أنه لا يمكن لأي موقع إنترنت أن يحافظ على الإخراج الأنيق للصورة كما تفعل في المجلة. علاوة على ذلك فإن المقالات لا تبقى لفترة طويلة على شبكة الإنترنت، إذ تختفي خلال أشهر أو في أحسن الأحوال يتغير عنوان الصفحة. "فكر وفن" تلمح إلى أن توفر لقارئها الإمكانيات في العودة إلى المقالات المنشورة قبل سنتين أو خمس سنوات بل حتى قبل عشر سنوات.

والآن وبعد كل ما قلناه عن الإنترنت، ألا يمكن لمجلة رصينة كـ"فكر وفن" أن تستفيد من الإنترنت؟ الجواب: بلى. شبكة الإنترنت توفر للقراء فرصة للحصول على الأعداد التي نفدت على نظام الـ PDF، ومن يدفعه فضوله إلى قراءة العدد الجديد من "فكر وفن" فيمقدوره القيام بذلك عن طريق الإنترنت. ومن لا يحصل على المجلة عبر البريد أو من لم يكن قد سمع بها بعد يستطيع أيضاً من خلال الإنترنت الاشتراك فيها. (للتذكير الاشتراك مجاني).

لكل هذه الأسباب قررنا أن ننفتح موقعاً خاصاً بنا على الشبكة العالمية. وبهذه المناسبة ندعوكم لزيارة موقعنا، بدءاً من شهر أيلول/سبتمبر المقبل، الذي سيكون بأربع لغات هي: العربية، الفارسية، الإنكليزية والألمانية وذلك على العنوان التالي: www.goethe/fikrun.de



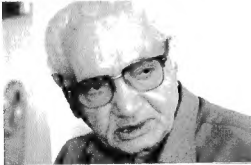
شتيفان فايدنر
الرقص على الحبل الغربي - الشرقي ٢٦

H. Fühndrich هارتموت فندريش
عبور النص إلى الضفة الأخرى ٢٩

Doris Kilias دوريس كيلياس
رحلة مترجمة في أدب لحبيب محفوظ ٣١

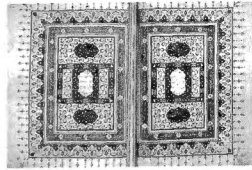
Laila Charmaa ليلي شماع
تجربة وكالة «ألف» للترجمة ٣٤

Khalid Al-Maalay خالد المعالي
الجمل الطائر ٣٦



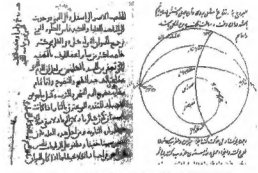
A. Mikkawi عبد الغفار مكاي
الترجمة فعل صوفي ٣٩

Nagi Naguib ناجي نجيب
من الاقتباس إلى الالتزام ٤٣



Navid Kermani نفيد كرماني
حول إمكانية ترجمة القرآن ٤

Dag Hasse داغ هاسه
نقل الثقافة في العصر الوسيط ١٠



Gerhard Endress غيرهارد إندرس
الكندي وتعريب اللغة الفلسفية ١٤

Walter Benjamin فالتر بنيامين
المترجم ومهمته ٢٠



FIKRUN WA FANN, Nr. 79, 43. Jahrgang, 2004

فكر وفن، عدد ٧٩، السنة الثالثة والأربعون ٢٠٠٤

Herausgeber: الناشر:
Goethe-Institut e.V. معهد غوته

Redaktionsleitung: إدارة التحرير:
Stefan Weidner شتيفان فايدنر

Redaktion: التحرير:
Ahmad Hissou أحمد حسو
Stefan Weidner شتيفان فايدنر

Korrektorat: المراجعة اللغوية:
Ahmed Farouk أحمد فاروق
Ahmad Hissou أحمد حسو

Layout: الإخراج الفني:
Graphicteam Köln - Bonn ميشائيل كروب
Michael Krupp بون

Satz und Gestaltung: الصف والإخراج:
M. Amin Mohtadi م. أمين المهدي
Mohtadi Verlag, Köln المهدي للنشر، كولونيا

Bildassistent: خدمة الصور:
Hella Roth هيللا روث

Druck: الطباعة:
Kölnen Druck + Verlag, كولن للطباعة والنشر
Bonn بون

Kasparstr. 41 عنوان هيئة التحرير:
D-50670 Köln

E-Mail: البريد الإلكتروني:
Fikrwafann@aol.com

© 2004 Goethe-Institut e. V.
ISSN 0015-0932

Internet: إنترنت:

www.goethe/fikrun.de
www.qantara.de/ar

«فكر وفن» مجلة ثقافية تصدر مرتين في السنة وتوزع مجاناً. يحق لأصحاب المكتبات أن يبيعوا لاتجاره قيمته ٢,٥ يورو/دولار



Werner Bloch فرنر بلوخ
مقالات اللجنة ٦٠

Mark Simons مارك سيمونس
أهلنا هو الاندماج المطلوب؟ ٦٤



Hussain Al-Mozany حسين الموراني
يوميات بغدادية ٦٧

ابواب ثابتة

Claudia Ott كلاوديا أوت
حول ترجمة «ألف ليلة وليلة» ٧٨

Ahmad Hissou أحمد حسو
صدام بالالمانية ٨٠

تصميم الغلاف الأممي: Michael Krupp
تصوير: Markus Kirchgessner

صورة الغلاف الخلفي: Farhondeh Sharoudi: Garden in the Garden, From the exhibition: Far Near Distance. Contemporary position of Iranian Artist, Haus der Kulturen der Welt, Berlin 20.3.2004 – 04.5.2004

للمقالات المنشورة في العدد لا تبرير بالضرورة عن وجهة نظر هيئة التحرير ومعهد غوته.



GOETHE-INSTITUT

حول إمكانية ترجمة القرآن

إشكالية اللغة المقدسة

الترجمة بين الماضي والحاضر

منذ أن بلغ النبي محمد القرآن، وعبر تاريخ التأثر به، تمسك بعض المسلمين بزعمهم أن القرآن لا يمكن ترجمته، ولا التعبير عنه بأسلوب بشري. ويقول العالم الإيراني، محمد تقي شريعتي، بأن هذا الرأي ساد بين العلماء المسلمين المتخصصين في علوم القرآن في كل وقت وفي كل مكان وأن السبب في ذلك هو انتفاء الألفاظ الجميلة، وعدم إمكانية تبديل أي لفظ بمرادفه في المعنى أو بما يناسبه، دون الإضرار بجمال التعبير أو بخصوصية معناه. كما يشير شريعتي إلى توافق الألفاظ، وتكوين الجمل، والتعبيرات الخاصة بالقرآن، والأسلوب، والتشكيل اللغوي، التي يستحيل تبديلها، والتي تبرهن على أن القرآن كلام الله. وإذا اعتبر جانب استخدام أسلوب الدفاع في هذه المقولة كبيراً، فلها سببها بالفعل في خصوصية الخطاب القرآني، وناتجة من فهم عميق للغة الشعر. وفي ذلك قال البلاغي الروسي يوري م. لوتمان: "تتحقق فكرة الكاتب في تركيبة فنية خاصة. إن ملاحظة الأسلوب المتتزم في تطبيق المذهب، وكذلك مسحوى الفكرة، والخصائص الفنية، كل على حدة، تنطلق من تصور خاطئ للأدب، وكأنه نوع من الإطالة والتنميق في عرض نفس الأفكار، التي يمكن التعبير عنها ببساطة وإيجاز". بكلمات لوتمان هذه نود أن نواجه بعض المتخصصين، الذين يستخرجون من القرآن ما يناسبهم فقط. "إن الفكرة لا توجد في اقتباس ما، حتى وإن أصابوا في اختياره، ولكن التعبير عنها يوجد في سائر التركيبة الفنية".

في المقارنة بين ترجمتين لإحدى السور تتضح صحة نظرية لوتمان. ففي سورة الإخلاص، وهي السورة رقم ١١٢ في القرآن، صيغ الإقرار بوحدانية الله بعبارة ذات جمال لغوي عظيم: "قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد". وفي القرن التاسع عشر ترجم الشاعر الألماني فريدريش روكرت Friedrich Rückert هذه السورة كالتالي: „Sprich: Gott ist einer / Ein ewig reiner / hat nicht gezeugt / und ihn gezeugt hat keiner". وفي ترجمة لفظ «الصمد» (الذي يصعب تحديد معناه)، بين روكرت أنه بعد في تردد عن معنى الكلمة، لئلا يخرج عن الخاصية الأدبية للفظ الأصلي. قد يكون ذلك مرفوضاً من الناحية العلمية أو اللاهوتية، إلا أنه لا يمكن تجاهل أنه، هو وحده من بين المترجمين الألمان، حالفه التفوق في الحفاظ على النمط الشعري في القرآن.

وماذا يحدث لو قصرنا السورة على بلاغها السياقي؟ إنها في المقابل تبدو في ترجمة رودى باريت Rudi Paret، التي تُعتبر اليوم على كل حال الترجمة النموذجية، كالتالي: „Sag: Er ist Gott, ein Einziger, (Gott durch und durch er selbst?) (w. der kompakte) (oder: der Nothelfer?) (w. der, an den man sich (mit seinem Nöten und Sorgen) wendet, genauer: den man angeht). Er hat weder gezeugt, noch ist er gezeugt worden. Und keiner ist ihm ebenbürtig." أي: قل هو الله، الواحد، الله ذاتي الإلهية (أو النصير في الشكائد، الذي يتجه

إليه المرء في شئائه وهمومه، ومعنى أدق الذي يقصده الخلق). ليس له ولد، ولم يولد، وليس كمثل شيء.

إن ما قرره جاكوبسون بالنسبة للشعر ينطبق على القرآن أيضاً. "لا يمكن ترجمته". ولكن من الممكن "القيام بنقل خلاق للمعاني"، على كل حال. إن سورة مثل سورة الإخلاص لا يمكن التعبير عنها باللغة العادية، دون الإضرار ببينيتها، إذ لا يزول جمال الآيات، وجاذبيتها الجمالية فحسب (وهذا ما تقر به بسهولة)، وإنما أيضاً رسالة السورة ذاتها، أي "الفكرة" كما يطلق عليها لوثمان.

من الخطأ الاعتقاد، مع بارت في أن المترجم يمكنه إغفال الصيغة عن قصد، حتى يؤدي المعنى بأمانة. إن ترجمة بارت، وبالدات في دقتها المثيرة للنقد، ليست سيئة فحسب، وإنما خاطئة، إذ إنها تعطي فكرة خاطئة عن القرآن، إنها لا تقدم لقارئها بأي حال نفس المضمون الإنبائي، الذي يحتوي عليه الآيات في نصها الأصلي. إن القول بأنه من الممكن نقل المعلومات عبر مضمون الرسالة فقط، وما الصيغة الشعرية إلا حلية خارجية، هو رأي يعتمد على قصور في فهم كنه اللغة الشعرية. إذ لو كان الأمر كذلك لفقدت اللغة الشعرية شرعية وجودها. ويقول لوثمان: "ولكن الشأن غير ذلك، فالبنية الفنية المعقدة المكتسبة من مادة اللغة (الطبيعية)، تسمح بتبليغ حجم المعلومات، الذي لا يمكن أبداً تبليغه بواسطة البنية اللغوية الأولية العادية". في القرن الثاني عشر الميلادي أكد المفسر والمتكلم فخر الدين الرازي أن حجم المعلومات الذي يحتويه رسالة مصوغة بلغة شعرية، كما في القرآن، لا يمكن أبداً تبليغها بلغة عادية، وأن المعلومات مكتشفة فيها بطريقة ما، وأي ترجمة لها تبدو، على الأقل للوهلة الأولى، مستبعدة. وفي آرائه الموسعة إزاء إمكانية ترجمة القرآن، كتب الرازي: صحيح أن التوراة والإنجيل يتفان مع القرآن في كثير مما يحتويه، مثلاً في تمجيد الله والإخبار عن الدار الآخرة، ولكن رغم ذلك لا يجوز في الصلاة التعبد بتلاوة نفس المواضع التشابهية في المضمون في الكتب المقدسة الأخرى. أي أن الرازي لا يرى ما يلاحظه من زيادة في المعنى - حسب ترجمة أقواله اليوم - في زيادة المعلومات الجمالية - بمعنى أنها لا يمكن إدراكها استدلالياً. وفي ضوء ذلك يرفض الرازي حجة من يجيزون لغير العرب تلاوة القرآن في الصلاة بالفارسية لفهم معانيه، ويرى أنه لا مجال للمساواة بين من يدرك القرآن حسب المعاني فقط ويتلوها في الصلاة، وبين من يتلو تلك التعبيرات القرآنية.

إن الرازي مُحَقٌّ في ذلك؛ فعندما يحكي القرآن في سورة الأعراف الآية ٤٤ قول أهل الجنة "قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً"، فإنه بذلك يبلغ بطريقة صحيحة نحوياً وإعرابياً عن أمر ما، وعاء سامعوه قبل ذلك، وقيل المؤمنون صحته،

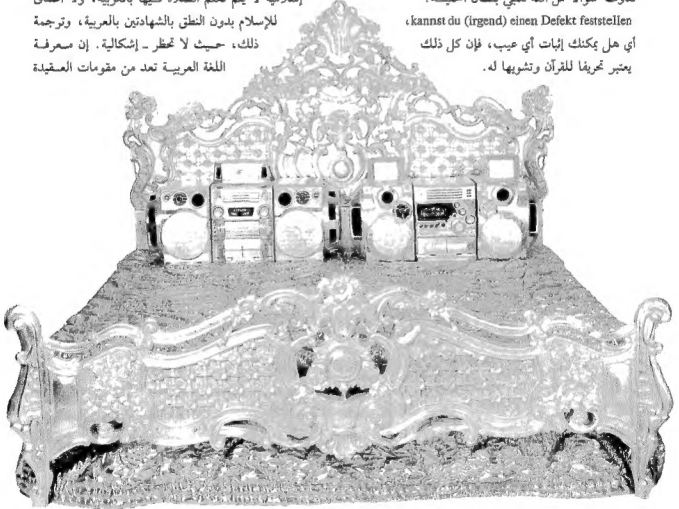
ألا وهو أن وعد الله سيتحقق. إن التبليغ حدث من خلال ألفاظ مختارة بدقة، ومرتبطة ومتناسقة بطريقة غير متوقعة، وغير عادية. وما نتج عن ذلك من امتزاج المضمون الدلالي مع ما للجملة من مادة للصوت، والإيقاع، وموسيقى اللغة، يجعلها جديدة وممتعة ومؤثرة بشكل خاص. إن محتوى المعلومات المُبلَّغ عنها أكبر مما في حالة التعبير عنها بصيغ لها نفس المضمون، ولكن قوة تعبيرها قليلة؛ فبالطبع لا تعتمد زيادة المعنى على العلم الدلالي بالمدلول الخارجي (وعد الله)، وإنما هي مزيد من الإخبار الجمالي. إنها تُمكن السامع من المعاشية الحسية والوجدانية للرسالة المبلغة، وتوسع من مستويات الاتصال، وبالتالي من الرسالة نفسها، في حين أن الاتصال في الجملة، التي هي لمجرد التبليغ، يقتصر أساساً على المستوى الاستدلالي العملي. ويسير لوثمان عن ذلك بقوله: "في الآيات يمكن التعبير عما لا يمكن التعبير عنه في غيرها؛ فمجرد تكرار كلمة ما يجعل الكلمة نفسها متباعدة"، وبينما يمكن ترجمة الفكرة المجردة لمقال ما في أية مجلة علمية متخصصة أي نقل المعلومة من حامل طبيعي إلى آخر، دون أن يتغير مضمون المعلومات، فإن النص الشعري مرتبط بالمدلولات المكونة له، ويعتمد على احتواء تركيبته للمعنى.

إن صعوبات ترجمة النص الشعري إلى لغة أخرى لا توجد في المستوى القرآني أو التحوي أو بصفة عامة في المستوى الدلالي فقط؛ ففي كثير من الأحوال يكون لمسألة الرنين وزن أكبر. إذ كلما زادت حيوية النص من خلال الانطباع العام لرتين حروفه، وإيقاعه، وموسيقى لغته، واقترابه من كونه نصاً موسيقياً، كلما بدت محاولة ترجمته أكثر استحالة. وبالنسبة للقرآن الكريم، الذي لا تبرز خصوصية ترتيله من النص ذاته فحسب، وإنما تكون جليلة اعتباراً من أول آية، والذي لا يعتبر في الحقيقة مجرد نص يُقرأ، ينطبق ذلك بدرجة ينذر وجودها في شعر لغات الغرب، مثلاً في قصيدة غوته "Über allen Gipfeln ist Ruh"، التي يكون تبليغ الرسالة الفنية فيها عبر موسيقى الآيات، وعبر التكرار الشلائي للانتقال من الصوت العالي إلى الصوت الخفيض، أكثر بكثير من تبليغها من خلال المعنى الدلالي للآيات. إن مدى ما يثيره القرآن من معانٍ ووجدانات من خلال المادة السمعية والسياقات الإيقاعية، وعبر التجانس الصوتي، والسجع الصامت، وانسياب الكلام، والجناس، والمجانسة الاستهلاكية، والتوازن الصوتي لبناء النغمية، يمكن معاشته في ترتيل أحد قراء القرآن في القاهرة أو دمشق، الذين يسمعونهم كثيرون من المسيحيين العرب أيضاً.

في محاولة بارت المتمثلة في العود عن الصيغة، لإبراز ما يبدو أنه المقصود، يتضح سوء فهم أساسي لتخصصه؛ للدراسات القرآنية بطريقة فيلولوجية مجردة أي وجود نص

إن الاعتقاد في عدم إمكانية ترجمة القرآن الكريم ليس مجرد عقيدة وضعت تعسفياً فحسب، وإنما هو تعبير عن مخبرات الاستقبال، مشابه لما يعبر عنه - في الأدب الغربي منذ Diderot على الأكثر - بالشعور بعد قراءة إحدى القصائد الشعرية، التي تملأ أنها صيغت بطريقة لا يمكن تقليدها ولا ترجمتها. إن القرآن الكريم نفسه يشير إلى الأهمية الجوهرية للصيغة اللغوية في تبليغ الرسالة الإلهية فيقول: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليعين لهم" (سورة إبراهيم الآية ٤). إن تصور وحي، يكون طبقاً لمضمونه موحداً في جوهره، ويوحى إلى كل أمة بلغتها الخاصة، وفي صيغة متوافقة مع متطلباتها الخاصة، هو وحي خاص بدرجة لا يتعارض فيها مع الوضع التاريخي وقت إichاته. إن المسيحية على الأقل كانت وحدة دينية، لا لغوية قومية. ومن المرجح أن النبي كان يعرف أن البيزنطيين يتكلمون لغة غير التي يتكلم بها مسيحيو الحبشة. من المرجح أنه ينذر وجود نص في تاريخ الأديان حرص على الإشارة إلى بديهية أنه صيغ بلغة معينة. بيد أن ارتباط القرآن باللغة العربية منصوص عليه في القرآن نفسه، ويؤكد التاريخ الإسلامي إلى اليوم: فليست هناك تربة إسلامية لا يتم تعلم الصلاة فيها بالعربية، ولا اعتناق للإسلام بدون النطق بالشهادتين بالعربية، وترجمة ذلك، حيث لا تحظر - إشكالية. إن معرفة اللغة العربية تعد من مقومات العقيدة

مصاغ شعرياً، خارج صيغته المميزة. صحيح أنه لا يمكن لكل مترجم أن يحقق ما طلبه غوته في "Abhandlungen", وبنيامين في مقالته: "المترجم ومهمته". (انظر إلى المقالة في مكان آخر من هذا العدد) وهو الإقدام على العمل المترجم لموسى والانفتاح تجاهه، وإدراك الذات فيه، كما يقول غوته. وكذلك "بحب وجعل طريقة تعبيره عن المعاني بكل تفاصيلها ملموساً في لغة المترجم" كما يشرح بنيامين مقولة غوته هذه، ولكن إذا كانت ترجمة "يوم يكشف عن ساق" (سورة القلم، آية ٤٢) تعني عند باريت: Am Tag, an dem die Sache brenzlich wird أي يوم يكون الموقف حرجاً، وترجمة إحدى معجزات الخلق في الآية ٦٦ من سورة النحل "من بين فوثن ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين"، تعني عنده: Reine Milch, ein Süffiges getrunken أي لبنا خالصاً، وشراباً مستساغاً. وترجمة "ولم يتخذ ولداً" في الآية الثانية من سورة الفرقان "الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً" تعني عنده: kein Kind zugelegt hat أي لم يكسب ولداً، واعتباره قول الله تعالى في الآية الثالثة من سورة المملك "ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت" سؤالاً من الله للنبي بشأن الخليفة: kannst du (irgend) einen Defekt feststellen أي هل يمكنك إثبات أي عيب، فإن كل ذلك يعتبر تحريفاً للقرآن وتشويهاً له.



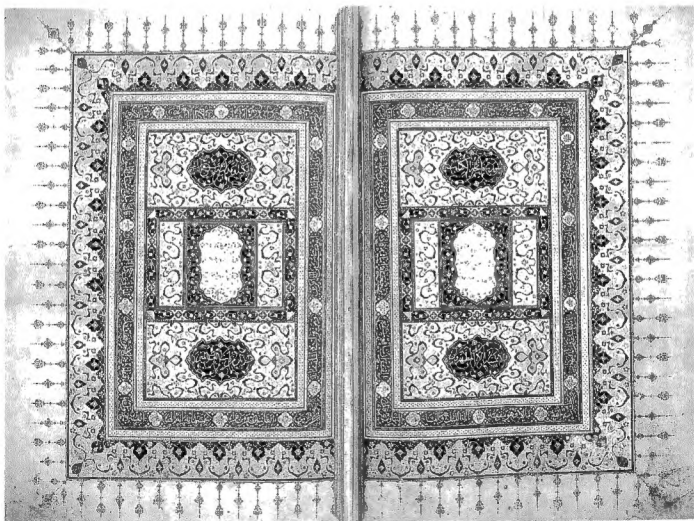
فرخاد موشيري "سرير ملكي"

Aus der Ausstellung "Pittlernte Nähe" Neue Positionen baurischen Künstlers Hans der Kulturen der Welt, Berlin 20 03 04 - (09.05.2004)

Koine اليونانية، التي لم تكن اللغة الأم لواعظيها، كما أن النص العبري للعهد القديم لم تستخدمه دوائر لاهوتية واسعة إلا اعتباراً من عصر النهضة. ومن معجزة الإشراف، وشروع الحوارين بالوعظ بلغات أخرى، وعبر الأدب المسيحي القديم والقديس هيرونيموس Hieronymus و لوثر Luther إلى جماعات التبشير في القرن التاسع عشر، التي كانت قد حدثت هدفها في ترجمة الكتاب المقدس إلى كل لغة حية، كانت ترجمة/ نقل بشارة المسيح والحواريين إلى لغات الشعوب هدفاً أساسياً وثابتاً للمتبشرين والعلماء، أدى إلى طبعات للكتاب المقدس بلغات ولهجات تروى في الأثناء على ألسنة لغة ولهجة مختلفة. إن نظرية وتطبيق الترجمة الغريبة تطور أساساً من ضرورة توجيه الشعوب الأجنبية إلى الإنجيل، كما أن كل محاولة للإصلاح داخل الكنيسة كانت تجلب معها المطالبة بصيغة مفهومة لكلمات الله. إن الضرورة الملحة في تبليغ الإنجيل كانت تظهر أحياناً حتى باللغة الفصحى، التي كانت غير موجودة، قبل ذلك، ويحرف هجاء مبتكرة لهذا الغرض. وفي العصر الحديث يظهر ذلك، حيث تقوم مطالب المعين الأدبية بأنها قليلة

الإسلامية. وعالم النحو، ابن الفراء (المتوفى عام ٨٢٢) كان يعتبر الاشتغال بقواعد اللغة العربية أرفع قيمة دينياً من دراسة الفقه الإسلامي.

صحيح أنه كانت هناك في الماضي آراء تجعل وجوب دراسة اللغة العربية أمراً نسبياً، إلا أنه لم تتحقق السيادة مثل هذا الحل الوجيه، والوارد في حديث للنبي، يعني "لغير العرب من أمتي أن يقرأوا القرآن بغير العربية، فالملائكة ترفعه إلى الله بالعربية"، وحيث كان المسلمون يذهبون، كانوا يحملون معهم لغة القرآن، وإلى اليوم يندر أن يتطرق الشك جدياً في كون اللغة العربية، ولغة الإسلام في العبادة، لغة مقدسة، مشابهة في ذلك للعبرية في اليهودية المعاصرة، وللسنسكريتية لدى الهندوس، ومغايرة تماماً للغة يسوع المسيح في المسيحية، والتي لا يُعرف عنها إلا القليل، والتي تكاد لا تحظى إلى العصر الحديث باهتمام المفسرين (الأمر الذي لا يمنع من وجود لغات كنسية أخرى - كالسلافية القديمة في الطقوس الدينية الروسية، أو اللاتينية في القداس الكاثوليكي، أو الألمانية اللوتيرية في القداس البروتستانتي - تحتفظ بوصفها لغة عبادة). إن العهد الجديد كتب بلغة



قرآن، من القرن السادس عشر الميلادي، إيران.

من كتاب: Hunt for Paradise: Court Arts of Iran, 1501-1576. Ateneo Pold Pezzoli and Palazzo Reale, Milan, 23 Feb.-28. Jan. 2004

في العقود الأخيرة إزداد عدد ترجمات القرآن إلى لغات البلاد الإسلامية بسرعة، كما تكثر في الأثناء طبعات القرآن في ترجمات للمسلمين باللغات الأوروبية. ومن المحتمل التحريص بذلك أو النظر إليه، باعتباره مهمة خصائص الإيمان بالإسلام، على أنه أمر مؤسف.

على كل حال فإنه من العسى تجاهل أن مشروع كتابة بروتستانتية حديث قد انتشر في بلاد المسلمين أيضا. ورغم ذلك لم تحدث مطامح المسلمين في الترجمة أي تغيير في أن دور القرآن لا يزال دائما في البلاد العربية مختلفا عن دوره في بقية بلاد العالم الإسلامي، إذ بينما تتجاوز أهميته في الثقافة العربية نطاق الدين بكثير، لا يمكن القول بذلك بهذا الإطلاق بالنسبة إلى إيران على الأقل، رغم الترجمات المتوفرة الكثيرة. بالطبع يرثل القرآن في إيران، وبالطبع لا يتارع أي مسلم إيراني متدين أن للغة القرآن جمالا إلهيا، ولكن كنص يُتذوق ترتيله يكاد يكون دور القرآن في المجتمع الإيراني، مقارنة به في البلاد العربية، دورا متواضعا، إذ يُبحث في القرآن عن المواساة، والهداية، والإرشاد. ويتلى للتقرب من الله، ويتعبد به في الصلاة. ولكن إذا ما أريد إنشاء نص شعري جميل، والتلذذ بملوحة اللغة، والاستغراق في المشاعر الدينية الصوفية، فيكون في الإقبال على أعمال الشعراء الفرس أمثال حافظ وجلال الدين الرومي. وربما لا يكون من قبيل الصدفة أن أحد مؤسسي المذاهب الفقهية الأربعة، الذي أجاز مبدئيا أداء الصلاة بلغة غير اللغة العربية، كان من أصل فارسي: إنه أبو حنيفة (المتوفى ٧٥٧)، وليس صدفة أيضا أنه كان هناك خواجه إيرانيون، كانوا لا يعتبرون من الضروري نطق الشهادتين بالعربية. وفي العصر الحديث يأتي مفكر غير عربي، هو المفكر الإصلاحية الإيراني عبد الكريم سوروش، الذي يعتقد نظرية أن اللغة العربية عرض من أعراض القرآن وليست من جوهره. وعندما تحدث عن هذه الفكرة في خريف عام ١٩٩٥ في ندوة "بيت ثقافات العالم Haus der Kulturen der Welt" في برلين، أثار الاستنكار والتهمك لدى العرب المشاركين في الندوة، ومن بينهم مفكرون مختلفون أمثال محمد أركون، نصر حامد أبو زيد، وعبد الوهاب المسيري، مع أن أول اثنين منهم على الأقل لا يُشك في أنهما ليسا من أتباع الاعتقاد الأعلى.

وبالمناسبة فقد جرت بالفعل مناقشات مشابهة في صدر الإسلام، وبينما كان العرب يتمسكون بعربية الإسلام، ومن خلال ذلك باستمرار تفوق اللغة العربية على كل اللغات الأخرى (وأيضا تفوق العرب على كل الشعوب الأخرى)، بحث المسلمون الفرس وخاصة عن البرهنة على أن الله لم يميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات

بوجه خاص، فيما يسمى بالكتب المقدسة للشبية، وصيغ للكتاب المقدس خالية من الجماليات والصعوبات في صيغة لوثر.

ولكن الصورة في الإسلام مغايرة تماما: فترجمة القرآن إلى العربية الحديثة أو إلى إحدى لهجاتها العامية يعتبر نوعا من تدنيس الحرمات، وفكرة ترجمة القرآن لأغراض الدعوة في البلاد غير العربية خطرت لبعض المسلمين اعتبارا منذ عقود فقط. وكثر الجبل إلى تعليم اللغة العربية لمن يدعون إلى الإسلام. وكانت ترجمات المسلمين للقرآن نادرة أصلا حتى القرن العشرين، وما كان يوجد منها كان ينذر تداوله، وكان ينشر غالبا في أوروبا. وكانت هذه الترجمات متوفرة فقط في صيغة ترجمة معاني الألفاظ بين سطور النص الأصلي، وفوق ذلك كان يشور الخلاف في كل وقت حول شرعيتها. ورغم أنه ساد في الماضي فعلا الرأي بعدم رفض ترجمة القرآن مبدئيا، إلا أنه على العكس من موقف أحبار اليهود، الذين أقروا ترجمة التوراة من العبرية إلى الآرامية، اعتبرت الترجمة عموماً كمساعدة ضرورية ومؤقتة على كل حال، وللاستخدام الفزلي، ولأغراض التيسير أو للتفسير أو كإقتباسات مرفقة بما يوازيها من النص العربي، ولم تكن أبدا للطبوس الدينية أو للحفظ، بل ولا لنشر الإسلام. إن أول ترجمة فارسية كاملة للقرآن تنتمي - حسب علمنا - إلى القرن الثامن عشر، وأجزها في نيودلهي، بعيدا عن مراكز السلفية العربية، شاه ولي الله. وفي القاهرة أعرب العلماء في القرن العشرين عن اعتراضهم على ترجمات تركية والمجازية للقرآن. ومن بينهم المصلح محمد عبده (المتوفى ١٩٠٥)، الذي كان يخشى أن لا يستفيد من هذه الترجمات إلا المبشرون المسيحيون، كما يقول: "تعلم العربية من الواجبات في الدين الإسلامي، ودعوتنا إلى القرآن دعوة إلى اللغة العربية". وفي تركيا واجه مصطفى كمال أتاتورك بمشروعه في ممارسة الإسلام بالتركية، معارضة كبيرة، وعندما طلب من الشاعر الكبير محمد عاكف ترجمة تركية رسمية، يقال إن هذا فضل الحياة في المنفى في مصر على القيام بذلك. وكذلك كان كثيرون من المبشرين المسيحيين يعتبرون عدم إمكانية ترجمة القرآن العقبة الكبيرة للإسلام، بل وكتب روكرت يقول: "تختص كتب المسيحيين بميزة كبيرة، تقف أمامها كتب الإسلام صامتا في خجل، ميزة قراءتها بكل لغات الشعوب بسهولة، وترجمتها في كل أنحاء العالم. إن جمال كلام القرآن يفسح دون إنقاذ، وأما الكتاب المقدس فتولد أصالته من جديد. ولهذا فإنه يميل أكثر من ذلك إلى نشر البركة، كالسيرة التي تثبت نباتا حسنا في كل مرعى".

الإعجاز أي صفة الإعجاز اللغوي للقرآن، التي تُعد الدليل الوحيد لإعجاز الإسلام، قد قدمت مساهمة خاصة تماما في هذا الموضوع الأساسي في الأبحاث البشرية. إن البرهنة اللاهوتية لا تُعد بالنسبة لأي مسيحي كثيرة الغرابة: يؤمن بالقرآن، لأن لغته كاملة تماما، لدرجة أنها لا يمكن أن تكون من نظم أي إنسان. لا شك في إمكان تسمية هذا البرهان نوعا من الدليل الجمالي على وجود الله. وما يطابق ذلك في دائرة الثقافة الغربية يتدرج وجوده في مجال الدين، والأولى وجوب التفكير في الانطباع الذاتي الذي تخلّسه بعض المؤلفات الموسيقية لبناخ أومورارت. وليس صدفة أن يجتمع بعض السامعين إلى أن يصغوا بأنهم "إلهية".

إن الدليل الجمالي على حقيقة الدين، وادعاء أي جماعة أنها تسمع كلام الله، وعلى الأخص في لغة إنسانية رائعة هو نوع من التشويق، رغم الاعتراضات المحتملة، والنسبية، والشروح السيكولوجية الدينية، التي يمكن أن تخطر ببال الطرف المحايد. إذ منذ أقدم انهيار لبابل، تُعمل البشرية الفكر فيما ضاع، وتحلم باستعادة لغتها الواحدة الكاملة. وفي نطاق الشفافة اليهودية - المسيحية سيطر البحث عنها على الأذهان في كل الأزمنة بعد ميلاد المسيح، وترسب ذلك في نظريات لا تُعد، وروى، وفلسفات لغوية، ومشروعات عملية، أمثال هذا الحلم وُجدت في جميع الحضارات تقريبا، ولكن العرب، والمسلمون منهم، لم يشتركوا في البحث. إذ إن إمكانيات البحث عن اللغة الكاملة، واحتمال ابتكار مثل هذه اللغة لم يُبذل في أي وقت في تاريخ الفكر الإسلامي العربي على ما يبدو موضوعا لأبحاث علمية، أو أبحاث تتعلق بفلسفة اللغة، أو لأبحاث سيميائية. توقف العرب عن أن يحلموا، فلقد وجدوا هذه اللغة. في القرآن الكريم، كما كان معظمهم، ولا يزالون، يعتقدون، تحقق حلم البشرية في اللغة الكاملة، إنها، بالنسبة لهم، لغة السماء نزلت إلى الأرض.

ترجمة: محمد الحشاش

نفيد كرماني: باحث في الدراسات الإسلامية، كتب أطروحة الدكتوراة عن "جماليات القرآن". يعمل حاليا ككاتب وصفي. نشرت هذه الدراسة بشكل مختصر في صحيفة "توبه" سنوشر تاييوانغ السويسرية.

الأخرى، وأن غير العرب، وخاصة اليونانيين والفرس يستطيعون التقدم بلغة أكثر غنى، وشعر أكثر جمالا من العرب. هذا الجدل، الذي كثيرا ما كانت له خلفياته السياسية والاجتماعية، امتد قرونا عديدة، وخلف آثارا أدبية وفيرة. وفي ذلك استغل الجانب العربي تماما أن الله كلم البشرية بالعربية، ولم يُكر الجانب الآخر ذلك، إلا أنه رفض النتيجة التي استخلصها محبو العرب أمثال ابن فارس من ذلك: إن الله اختار اللغة العربية، لأنها أجمل وقعا وأكثر ثراء وروعة، وأنها أم جميع اللغات التي علمها الله لأدم، ولغة أهل الجنة. إنها اللغة الوحيدة التي لا قصور فيها - ويمكن بها التعبير عن كل شيء. بأكثر الطرق وضوحا وجمالا. إن الخطأ في نظرية أصل اللغة هذه، التي انتشرت بين علماء المسلمين بشكل واسع، أدى إلى أنه كان على آدم منذ أن علمه الله أن يتكلم السريانية. وبعد الطوفان أُتيح لإسماعيل وذريته التكلم بالعربية، لأن الله قبل ندم إبراهيم. ولا يستطيع إجادة العربية حقيقة إلا من كان منهم نبيا، فالإنسان العادي لا يستطيع استخدام كل دقائق التعبير والقواعد، ولا معرفة كل أسماء الأسد الخمسمائة، التي لكل منها معناه المفاير لمعاني الأخرى، ولا التفرقة بين أنواع الفراء الأربعة المختلفة، أو بين الالفاظ المائتين للحيّة، أو بين الأسماء السبعين للصخر. إن خاصية إعجاز القرآن لا تكمن حسب هذا المنطق إلا في التطبيق الكامل للغة العربية (الأمر الذي يسببه يرفض أنصار هذه النظرية وجود اللفاظ غير عربية في القرآن). وتختلف عربية القرآن عن العربية التي كان يتم التحدث بها في عهد النبي، ولهذا، وحسب ما ورد في الآثار، سأل عمر بن الخطاب، الرسول: "ما السبب في أنك أفصحنا رغم أنك لم تفادنا أبدا؟"، فأجاب: "إن لغة إسماعيل كانت قد انقرضت، ولكن الملك جبريل أعادها وعلمني إياها، وهكذا وعيبتها جيدا". في هذا التراث الفكري تُعد لغة القرآن عائلية للغة الملائكة ولغة الجنة. وأما الكتب المقدسة الأخرى فقد تُرجم كل منها للنبي المختص من هذه اللغة العربية الأصلية - وهنا بالضبط يرى علم كفايتها.

ومن ناحية تاريخ العقيدة، فإن نظرية أصل اللغة التي تناولناها هنا مهمة بدرجة عالية؛ فيها أجاب بعض العلماء أمثال ابن فارس، والشافعي، والسيوطي، في تضمين على السؤال المشهور عن اللغة الكاملة. وبفض النظر عن هذا النموذج المتعلق بتاريخ اللغة، والذي لا يخلو، أحيانا، من الإعجاب بالقومية (فأصحاب الافتخار بالثقافة الفارسية مثلا لم يريدوا أبدا الإقرار بأن البشر قبل بناء حصن بابل قد تكلموا العربية) وتوجيه النظر إلى الثقافة العربية الإسلامية ككل، فسنجد أن هذه مع نظرية

نقل الثقافة في العصر الوسيط الفكر اليوناني والمصالح الإسلامية والمسيحية

«Greek Thought, Arabic Culture»، للمستعرب ديميتري غوتاس Dimitri Gutas، وهو أمريكي من أصل يوناني، مثلاً واضحاً على إجابة التعامل المنهجي مع هذه الأسئلة. ويتناول الكتاب حركة ترجمة إسلامية مبكرة كانت تعد نموذجاً احتذته حركة الترجمة الأسبانية. وإذا ما قرأنا الكتاب باعتباره طرحاً منهجياً ليس فقط في مجال دراسات اللغة العربية بل وأيضاً في مجال دراسات القرون الوسطى، فسينتج ذلك لنا المجال من أن نطرح السؤال عن دوافع حركة الترجمة الأسبانية.

في الفترة من القرن الثامن إلى العاشر الميلادي تم في بغداد، تلك العاصمة التي تأسست عام ٧٦٢م في ظل الخلافة العباسية الفتية، تم نقل عدد كبير من النصوص اليونانية في مجالي العلوم والفلسفة إلى العربية. ويمكن تميز كتاب غوتاس في تعامله مع عملية النقل والترجمة والتي امتدت لقرونين بإشراف وتمويل النخبة الحاكمة، باعتبارها ظاهرة اجتماعية في المقام الأول، وباعتبارها عملية مخططة ومنفذة بوعي من قبل الفاعلين في الإمبراطورية، وبوصفها حركة مرتبطة بدرجة كبيرة ببنية المجتمع البغدادي. يصف غوتاس كيفية وصول العباسيين للحكم بعد إسقاطهم للخلافة الأموية وكيفية استخدامهم للترجمات كوسيلة إيديولوجية لتبرير وتثبيت حكمهم. كانت الترجمات بمثابة سلاح ضد الخصوم سواء من العرب أو الفرس، لدى الرعية المسيحية وبين رجال الدين المسلمين. كانت دعائية العباسيين تقول بأنهم أحق وريث لكل الخلافات السابقة عليهم، ولكل العلوم الموروثة وبخاصة العلوم اليونانية.

في الوقت نفسه تمت في أوساط وطبقات مختلفة من المجتمع البغدادي حاجة ملموسة إلى العلوم اليونانية: لدى الكتيبة في الإدارات ولدى التجار وكذلك بين العلماء. كان الناس على استعداد لدفع مبالغ كبيرة للحصول على كتب الفلك أو الرياضيات أو الطب. وتبعاً لذلك لم تعد الأسر الحاكمة هي الممول الوحيد للترجمات، بل قام بذلك أيضاً رجال الجيش الأغنياء والعلماء الذين يحملون لحسابهم الخاص. وتظهر حركة الترجمة على هذا النحو بوصفها عملية اجتماعية معقدة، كان لها تأثير واسع النطاق وهو أن

تعد حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية في إسبانيا واحدة من الأساطير التأسيسية للثقافة الأوروبية، فلهذه الحركة مكانة سامية في تاريخ العالم القديم، بوصفها المحرك الأول للنهضة في القرن الثاني عشر، والانطلاقة الحقيقية للغرب في مجال العلوم الطبيعية والإشارة لثقافة جديدة لثقافي العصر الوسيط، وكبداية لفترة الطويلة التي ساد فيها التصور الأرسطي من العالم في الغرب، أو بمعنى آخر، بداية للعصر الوسيط الطويل الأمد الذي سيتسبى بانتهيار المجتمع الإقطاعي الزراعي. رغم ذلك، غالباً ما يتم وصف الحدث، أي حركة الترجمة، دون توضيحه وشرحه؛ إذ كثيراً ما يأتي ذكره، دون أن يتم فهم المقصود منه. نقرأ عن اللدروب التي تحولت فيها المعرفة، من أثينا إلى الإسكندرية ثم من بغداد إلى طليطلة ونسمع عن مترجمين كبار مثل غيهارد فون كيرفونا، لكننا لا نعرف الكثير عن أسباب ودوافع هذه الحركة. وليس هذا بالأمر الدهش، لكن ذلك النقص المعرفي هو غالباً الذي يشكل طابع ذلك الحدث الذي يعد بالنسبة لحاضرنا أسطورياً.

لم يتوصل البحث التاريخي لسرد الحداثة، إلى الدرجة التي نجعله يستطيع أن يحدد بدقة مكانة وتصنيف حركة الترجمة. في العقود الأخيرة قام باحثون من الأسبان والإنكليز على وجه الخصوص، مثل فرانسيسكو هيرنانديث وتشارلز برونيت بجمع معلومات جديدة عن حياة وعمل المترجمين من المصادر. ويمكننا توضيح العوائق التي تواجهها عملية البحث من خلال مثال، علينا فقط أن نفكر في عدد الأشخاص الذين كانوا يدعون «يوحنا» في مدينة قشتالة في العصور الوسطى والذين يمكن أن تنطبق عليهم مواصفات المترجم يوحنا الإسباني «Johannes Hispanus»، كذلك فإن وضعية المصادر البحثية فيما يتعلق بالمجال الفكري غير ملائمة، حيث لا يوجد للأسف سوى عدد قليل من وثائق هذه الفترة، تتناول الترجمات وتتيح إلقاء نظرة من الخارج على هذه الظاهرة.

ونظراً لهذه العوائق لا بد من التعامل مع الأسئلة المتعلقة بأسباب ودوافع حركة الترجمة بذكاء وبمدخل منهجي سليم. ويعد كتاب «الفكر اليوناني والثقافة العربية

دراسة العلوم القديمة لعدة قرون قد أصبحت لفترة طويلة جزءاً جوهرياً ومهماً على الثقافة الفكرية الإسلامية.

كتاب «الفكر اليوناني والثقافة العربية» لا يأخذ الغرب في اعتباره، رغم ذلك يمكن قراءته باعتباره إسهاماً في مجال كتابة تاريخ المصور الوسطى في أوروبا، ليس فقط لأن العالم العربي يعد أحد المصادر الشفافية الكلاسيكية المباشرة، إلى جانب الرومان والإغريق، ولكن أيضاً نظراً للمنهج الذي يتبعه الكتاب. قد لا يتبدى الأمر كذلك للوهلة الأولى نظراً لأن غوتاس يرفض قطعياً وضع أساس نظري لتحليله لحركة الترجمة. ترك مقدمة الكتاب نظريات التناقض الثقافي والترجمة جانباً، وفي نهاية الكتاب تظهر هذه النظريات ظهوراً سريعاً في صورة جدول اصطلاحي بشأن استخدام تعبير «الإبداع» بدلاً من «الامتلاك» (Appropriation)، فمن الأفضل تناول نقل العلوم اليونانية إلى الثقافة العربية باعتباره إبداعاً من قبل النخبة السياسية في بغداد أكثر منها امتلاكاً لموروث أجنبي.

ومن الواضح أن منهج غوتاس رغم هذه الإشارة السابقة أكثر حسماً، فهو لا يتعامل مع الترجمات بوصفها نتاجاً للفصل الفكري لبعض المثقفين، ولا بوصفها جزءاً من تطور العلوم العربية، وهو لا يصنف الترجمات وفقاً للطبقة الاجتماعية أو تبعاً لتاريخ المؤسسات، ولا ينهى أي منحنى تحديدي. المصالح السياسية والإيديولوجية لفئات اجتماعية معينة وسلوكها العقلاني تمثل القوى الفاعلة في تاريخ «غوتاس».

ربما يكون هذا الإسهام المصحوب بكثير من الحساسية لخصوصية الموضوع الاستشرافي قد استطاع أن يحصل نتائج أكثر بكثير من كل محاولات التفسير السابقة عليه. والأداة المنهجية التي استخدمت، دون إدعاء لأصالتها، كان من الواضح جداً أنها ملائمة للمادة البحثية. لكن هل تصلح هذه الأداة المنهجية لعملية الاتصال الثقافي العربي اللاتيني في الغرب في فترة القرون الوسطى؟

لم تجر حتى الآن أية محاولة وضع أي تحديد إيديولوجي أو اجتماعي تاريخي لحركة الترجمة في أسبانيا (مقارنة بحركة الترجمة اللاحقة في عهد فرنريك الثاني)، ولعل ذلك يرجع على الأغلب إلى أن التفسير التقليدي يتمتع بصدقية لا تبارى ويتمثل في التالي: الترجمات في طليطلة وبامبلونا وبارسلونا ومدن أسبانيا الأخرى كانت عمل أفراد، كانت إلهاماً لعدد قليل من رواد الفكر، نزحوا إلى هذا البلد ذي الحدود الإسلامية المسيحية المتناخمة، نتيجة لاضطرارهم الفكري وفصلهم العلمي، أمّلين في سد فجوة ضخمة في مرجعيات العلوم الغربية، وبخاصة في مجال العلوم الطبيعية، من خلال الأعمال العربية، ومن هؤلاء: الإنكليزيان أدلارد أوف بات وروبرت أوف كيتون،

وهيرمان فون كاترينا من فلانسيا، والإيطاليان بلاتو دي تيفولي وغيرهارد فون كرمونا.

من المحتمل أن هذه الصورة مثالية جداً بحيث صار تأثير العوامل الفكرية المحضة فيها مألوفاً. وينطبق ذلك بخاصة على طليطلة، التي تمت فيها معظم ترجمات القرن الثاني عشر على فترات متباعدة: ترجم غيرهارد فون كرمونا وحده سبعين عملاً من العربية إلى اللاتينية وترجم زميله الإسباني دومينيكوس غونديسالينوس نصف دسنة كتب. ومن بين هذه الأعمال لمجد كتباً ذات حجم موسوعي، قد تحتاج لنسخها على يد عدد من الكتبة سنة كاملة، ناهيك عن الترجمة ذاتها.

كان المترجمان يستمدان العون من العلماء اليهود والمسيحيين المبرزين، وكانا يحتاجان إلى المال لدفع نفقات لمعلمي اللغة والورق والكتبة، وكان لا بد أن يعفيا من واجباتهما اليومية، حيث أن كليهما أي غيرهارد فون كرمونا ودومينيكوس غونديسالينوس، كانا ينتميان إلى الدائرة الصغيرة المكونة من رجال الدين ذوي التعليم اللاتيني في كاتدرائية طليطلة التي جمعت قساوسة من مختلف البلدان وصارت على غمط الإصلاح الكاثوليكي الفرنسي، وكان غيرهارد شماساً ومعلماً بينما احتل دومينيكوس منصباً أعلى وهو رئيس الشمامسة. كانت الكاتدرائية منذ استعاد المسيحيون السيطرة على طليطلة عام ١٠٨٥ هي مركز السلطة في المدينة، وامتد مجال نفوذها خارجاً عن حدود المدينة ليشمل كل شبه الجزيرة الأيبيرية. لم تكن الترجمة عملاً شخصياً، بل كانت مسألة تخص الكنيسة.

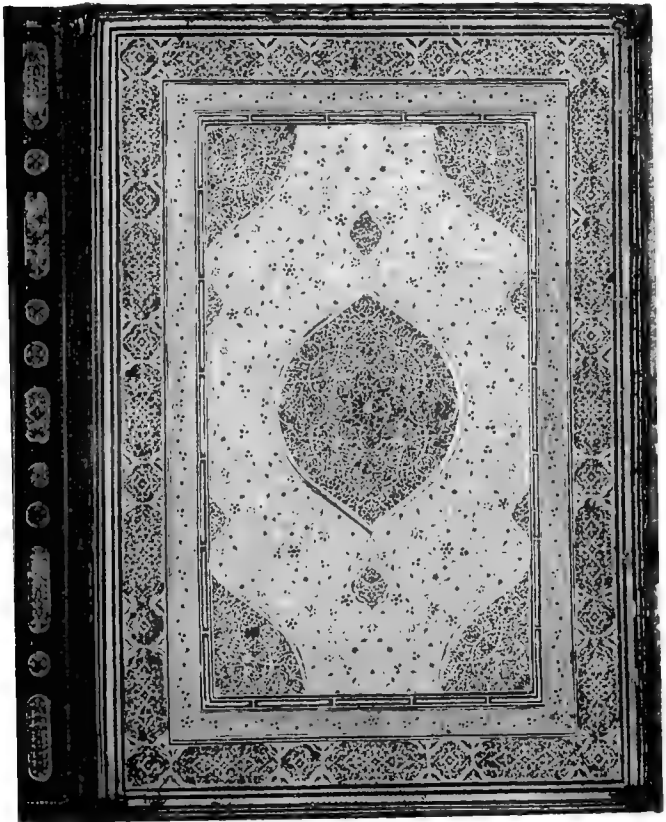
لكن ما هي المصالح السياسية التي كان يسعى كبير أساقفة طليطلة إلى تحقيقها؟ يخمن البعض (ومنهم ريتشارد ليماي مثلاً) أن يكون كبير الأساقفة قد رأى في الترجمات وسيلة جيدة لمحاربة العدو الإسلامي، وأنها ذخيرة ثقافية لدحض «التعاليم الخاطئة». لكن جيوش المسلمين في الجنوب لم تكن هي العدو الحقيقي لكبير الأساقفة في القرن الثاني عشر الميلادي، بل كان كبيراً أساقفة براغا Braga وسانتياغو دي كومبوستيلا، كانا هما العدوين الخصمين المعارضين للمركز المتميز الذي تتمتع به طليطلة كماصمة دينية في شبه الجزيرة الأيبيرية. في خمسينيات وستينيات القرن الثاني عشر، حينما انتعشت حركة الترجمة في طليطلة، كان بإمكان كبير الأساقفة أن يحقق مجموعة من الأهداف السياسية المتميزة.

الدراخ يعني لأول أسقف لطليطلة، ذراع القديس الشهيد أوغينيوس من القرن الأول الميلادي، نُقلت من سان دوني من أعمال باريس إلى طليطلة، وهي رفات لم تتقن كل رجال الكاتدرائية بأنها حقيقية، حيث أنه لم يكن معروفاً أن هناك أساقفة في القرن الأول الميلادي وأول أسقف يحمل

السابع وسانشو الثالث في الكاتدرائية، وبذلك اقتسرت طليطلة من هدفها بأن تصبح بانثيون أسبانيا. وفي هذه السنوات بدأ العمل في بناء المبنى الجديد للكاتدرائية وتم الانتهاء منه بعد عدة عقود.

كان غير هارد فون كيرغونا ودومينيكوس غونديساليوس من رجال الكاتدرائية وبالتالي انتموا إلى تلك النخبة السياسية النشطة التي تطلعت إلى تحقيق السيادة على مسيحي

اسم أوفيغنيوس عاش في القرن السابع. لكن كان لهذه الرفات معنى رمزياً مهماً. فمن المفترض أن تستعيد طليطلة المكانة التي جمعت بها سابقاً في الامبراطورية القوطية الغضبية في أواخر المصور القديمة والتي آلت لـ «سان دوني» في فرنسا في تلك الفترة، حيث كانت المركز السياسي والروحي للمملكة. حققت طليطلة نجاحاً آخر في هذا الاتجاه، حيث تم دفن جيشاني ملكي قشتالة الفونس



أسبانيا، ولم تغفل في ذلك. كان غونديساليوس هو صاحب الذهن الأكثر استقلالية، وله منصب أعلى ومؤلفات بقلمه. لقد حان الوقت الآن كي ننظر إليه باعتباره كبير المنظرين الإيديولوجيين للأسقفية وليس باعتباره مجرد كاتب ذي اهتمامات فلسفية دينية. لقد ترجم أعمالاً عربية عن "الروح" وكتب مؤلفه الخاص عن هذا الموضوع "... كي لا يفني المؤمنون كل جهنم من أجل خلاص أرواحهم بالإيمان

وحده، لا بد لهم أن يدركوا الروح عن طريق العقل". هنا يتم استخدام الوسائل الحديثة المكتسبة من الترجمة لاحتكار تفسير أكثر المجالات خصوصية لدى الكنيسة: وهي روح المسيح.

وكان غونديساليوس لا يجد مجالاً للشك في ضرورة تولي الكنيسة الدور القيادي، لأن الأوقات التي كان البشر يتمتعون فيها بالثقافة والحكمة قد ولت: "يا له من زمن ماضٍ سعيد، ذلك الذي ألهم كثيراً من الحكماء، كانوا مثل النجوم التي أضاعت ظلام العالم. وكانت العلوم العديدة التي أسسوها بمثابة مشاعل لإضاءة عقولنا الجاهلة المظلمة".

كان رجال الكنيسة في طليعة هم الورثة الحقيقيون لهذه الحكمة، إنهم هم الذين أتاحوا للأرواح الغارقة في الأمور الدنيوية، أن تجد مدخلًا جديدًا للعلم "حتى يتمكن البشر على الأقل من أن ينالوا

شيئاً من ملأ الحكمة التي يحتفرونها وهم سكارى بخيالاتهم الدنيوية".

كان برنامج غونديساليوس مسيحياً تماماً، ولم تكن له أية صلة بالحرية الثقافية التي يراد نعت المترجمين الأسبان في ذلك الحين بها. "في الأماكن الحفية للغة العربية واليونانية" وجد غونديساليوس مصدراً يستطيع من خلاله أن ينسخ نصوصاً لاتينية ذات تأثير، في أسبانيا المعربة والتي تعاني من نقص النصوص اللاتينية، هذا المصدر الذي كانت له ميزة جعل طليعة أقوى وأضعف مركز يراغا وسانتياغو. وحتى لو لم يصغ المرء هذه النصوص دائماً بالدعابة المناسبة للحكمة المسيحية، فقد كانت الرمالة التي لا يمكن تجاهلها من قبل الرعية المسيحية والأساقفة الأعداء والأمراء الأسبان والبابا تلخص في أن رجال الكنيسة في طليعة يتمتعون بالزعامة الروحية الفعلية في شبه الجزيرة الإيبيرية.

ترجمة: أحمد فاروق

داغ هامه: مدرس في جامعة فورتيبورغ، متخصص في تاريخ الفكر العربي واللاتيني في العصر الوسيط.

علاء الدين الكریم - الفر - السدس عشر ميلادي - ارباب

من كتاب: Hunt for Paradise: Court Arts of Iran, 1501-1576

Moscow: Pushkin Museum and Palazzo Reale, Milan: 24 Feb.-28 Jun. 2004

الكهندي وتعر:ب اللغة الفلوقية

التأثير الإغريقي والعربي في نشأة الثقافة الإسلامية

السياسة والحكم المطلق للدولة. وكلاهما كان مرفوضاً من قبل ائتلاف المتسكين بالأصول والتقاليد الإسلامية. قوبلت العقلانية المطلقة بمجموعة من المبادئ ليست أقل إطلافاً منها وقد تأملت على السنة النبوية.

كانت حركة نشر العلوم الإغريقية هي ثاني حركة في عملية استقبال وتعريب التراث العلمي التي استمرت لقرون. في المرحلة الأولى، بعدما قاد المسلمون الإيرانيون الثورة العباسية إلى النصر عام ٧٥٠م، ارتفع شأن الإيرانيين ليصبحوا ضمن النخبة في الدولة الحاكمة الجديدة. ولم تقتصر جهودهم فقط على إدخال التقاليد الإيرانية في التنظيم السياسي وآداب البلاط، بل أدخلوا أيضاً تقليداً يخصص بالعلوم التطبيقية. عندما تأملت بغداد عام ٧٢٧م بالقرب من موقع قصر الساسانيين القديم، وعند مفترق الطرق المؤدية إلى بيزنطة الإغريقية غرباً وإلى إيران شرقاً، كان الفلكيون الفارسيون يطلعون لقراءة طالع الزمان والمكان، كانوا يخبره في التنجيم سواء تعلق الأمر بالطالع اليومي أو بعلم الفلك ذي الصبغة السياسية الدنيوية الرفيعة المستوى، والذي يمكن من خلاله حساب السنين والتنبؤات الكبيرة في حركة الكواكب، وبالتالي تحديد مصير الأسر الحاكمة والشعوب. في الوقت نفسه كان الأطباء الذين يتحدثون الآرامية - وهي اللغة التي كان الناس يتفاهمون بها في الشرق الأدنى القديم حتى دخول الإسلام - يستدعون من مستشفى غونلشاور في جنوب بلاد فارس ليستولوا مسؤولية الرعاية الصحية في العاصمة بغداد. وكان المسيحيون الساطرة الذين لقوا منافسة من أصحاب مذهب الوندانية الطبيعية في الهلال الخصيب، أكثر تأثراً بالحضارة الإغريقية منذ العصور القديمة لبثشة الإسكندر الأكبر الاستكشافية باتجاه الشرق، وخلفائه على الإقليم الروماني وخلفائه البيزنطيين. وفي تنافسهم مع أصحاب العلوم التطبيقية من الفرس عرض العارفون باللغة اليونانية كنوز العلم القديم الأكثر ثراءً وأصالة، والتي ظلت تحيا من خلال اهتمام قلة محدودة من الأطباء والفلكيين ورجال الدين المسيحيين بها، وعند أول إشارة بالعدم الرسمي تم إخراجها من مكتبات وأديرة ومستشفيات الشرق الأدنى. وفي الجيل التالي بدأ الأطباء والمعماريون وعلماء الهندسة

ربما كان ذلك في ثلاثينيات القرن التاسع الميلادي، حين وقعت مشكلة ما في الدار الكبيرة التي يملكها الكندي. استقبل أحد المستأجرين زواراً من الريف، وأقامت العائلة كثيرة العدد في البيت المتواضع. لكن فجأة ظهر رسول من الكندي صاحب الدار عند الباب مطالباً بزيادة كبيرة في الأجرة عن مدة إقامة الضيوف. انفجر الساكن محتجاً. لكن صاحب البيت أصر على موقفه وحسب حسبه: "الحصا الذي تدعو إلي ذلك كثيرة وهي قائمة معروفة. ومن ذلك سرعة امتلاء البالوعة، وما تقتنيها من شدة اللون. ومن ذلك أن الأقدام إذا كثرت، كثر المشي على ظهر السطوح الطينية وعلى أرض البيوت المخصصة والصعود على الدرج الكثيرة. فينتشر لذلك الطين وينقل الجص وينكسر المصطب، مع انثناء الأجذاع لكثرة الوطء..." (البخلاء).

وبعد ذلك بفترة وجيزة صار يخل الكندي حديث أهل المدينة، وقالوا ألا يستحي وهو رجل ذو أصل عربي قديم أن يخون مبدأ الكرم العربي؟ وقد جعله دفاعه الطريف عن حقه في الأجرة الزائدة أهلاً للحصول على فصل كامل في كتاب «البخلاء» للمجاط الذي عاصره وكان معروفاً بسلطة لسانه. في كتاب «البخلاء» جاور الكندي عدداً غير قليل من الموالي، معظمهم من أصول إيرانية، وكل هؤلاء الموالي كان لديهم شغف بالعربية وكانوا منافسين ناجحين للعرب «الأصيلين» في اللغة والأسلوب، رغم عدم قدرة بعضهم على نطق العربية نطقاً صحيحاً؛ في ذلك الوقت كان استهزاء العرب بالموالي مصحوباً بإعجاب متردد بإتقانهم للعربية. وفي الواقع لا يعتبر كتاب المجاط الشهير مجرد شهادة متميزة للأسلوب الأدبي فحسب، بل يعد أيضاً شاهداً على الصراعات الاجتماعية في المراكز الحضريّة للدولة العباسية. تنافست «شعوب» الدولة العباسية مع العرب الأصليين من أجل الحصول على حقوق متساوية ومن أجل أن تكون لهم سلطة دينية وتأثير سياسي، وكانت اللغة العربية هي وسيلة التنافس. ضمت حركة الشعبية قضاة ورجال دين ونحاة يستخلصون العربية كوسيلة للحصول على المساواة الاجتماعية. وارتبط بهم مجموعة من العرب ممن تبين لهم أن العلوم القديمة تعد أداة للسيطرة

والفلكيون يجدون في الكتب اليونانية ثروة لم يروا لها مثيلاً في دقة المنهج والملاحظة واكتمال البيانات. علم ذلك مزود بنماذج حساسية لحركة النجوم، ورسوم ومخططات علمية تستند إلى فرضيات فلسفية - نموذج موحد لحركة دائرية منتظمة في العالم العلوي - وللتعاطف الكوني بين العالم العلوي والعالم السفلي، بين الكون والإنسان بوصفه صورة مصغرة للعالم، بين الطبيعة والإنسان، وكل ذلك في تناغم مقدر مسبقاً، وعناصر الطبيعة الأربعة، والفصول والنزوات الجسدية للإنسان تشير إلى القانون الكوني للعلم العقلاني، واستفادت نشأة الثقافة الحضرية من هذه الثروة من أجل أن تحافظ على مستوياتها، وتقدم عملية الأسلمة متبعة ما نسعيه بالإسلام الكلاسيكي، والذي نتج عنه أول عملية تفسير للتعالم الإسلامي والإغريقية. وهذا قد أدى بدوره إلى استخدام العلم القديم، الذي كان في هذا السياق حديثاً لوضع التشريع الإسلامي، ولتحديد مواعيت الصلاة وحساب التقويم القمري للسنة الهجرية ووجهة القبلة إلى مكة في كل بقعة من بقاع الخلافة. بإدخال هذه الجوانب التطبيقية كان علم الفلك الإسلامي في عصر الخليفة المأمون في طريقه لتحقيق ما سماه أحد الباحثين المحدثين بـ "مستوى من التنظيم الإداري والملاحظة العملية والاستشراف النظري لم نجد لها معادلاً في أوروبا حتي القرن السادس عشر". (ك. ب. مونسفارد).

كانت العربية هي لغة الدولة ولغة المؤسسات الدينية والسياسية للإسلام، وكان للعربية أن تبقى. فاللغات القديمة الشائعة والتي حلت منذ زمن بعيد محل اليونانية حتى في الأوساط المتعلمة قد تراجعت، وبخاصة الآرامية (جنباً إلى جنب مع القبطية في مصر) التي تواجدت طوال الوقت بجوار العربية المنطوقة، ثم تمت إزاحتها أثناء موجة التحول. لكن حتي الفارسية قلت أهميتها، خاصة في قرب إيران، وأصبح استخدامها قاصراً على الإدارات، بعد ظهور الأمر المستقلة في الشرق. وتبعاً لذلك كانت هناك حاجة متنامية للترجمات. كانت هناك ترجمات عن الفارسية (البهلوية، أو الفارسية الوسطى) في ذروة اتساع التأثير الإيراني من آخر العصر الأموي إلى بداية العصر العباسي، ترجمات من التاريخ والأدب الإيرانية، ومن أدبيات أخرى عن حياة البلاط، وجدول فلكية، وأيضاً بعض المواد الإغريقية عن المنطق والأخلاق العامة. لكن حركة الترجمة اللاحقة عليها تتيح سيناريو أكثر تنوعاً. فالأطباء المسيحيون ترجموا أبقراط وغالينوس من اليونانية إلى الآرامية السورانية، وفي بعض الحالات تكررت ترجمة الكتب الآرامية في علم التنجيم والفلك والرياضيات، وهنا تدخل الفلسفة إلى الصورة في نطاق مختلف تماماً، وسنعود لذلك مرة أخرى.

في الأدبيات الأولى، التي تم تخليدها في كتب للعلماء، تكون الانطباع بأن هناك أكاديمية يرأسها الخليفة وتضم مجموعة من الباحثين ذوي الحلي يتقنون عن الكتب القديمة ويترجمونها في تعاون مشترك متناغم، وفي وقت فراغهم يتناقشون مع رجال الدين الإسلامي حول خلود العالم والروح الأبدية. لكن حقيقة الأمر، أن أهمية حركة الترجمة على المستوى الفكري والاجتماعي كانت أسبه بوادي السيليكون Silicon Valley والتنافس الأمريكي الياباني الحالي في قطاع التكنولوجيا الدقيقة. وفي الواقع كان التنافس متعدد الأوجه. بين الطرفين الإيراني والإغريقي، بين الملن وأصول العلوم الطبية والرياضية، بين الناطرة من أهل فارس والوحدانيين الطبيعيين من سوريا، ولا يفوتنا أن نذكر صابئة حران. تعقد هذا التنافس مع ظهور حركة الأصوليين الإسلاميين، التي تستند إلى نصوص الأحاديث النبوية المقدسة، واللغة العربية التي كانت تتجه في ذلك الحين إلى إرساء قواعدها الأساسية من خلال نحو معياري، كانت هي الوسيلة المستخدمة لجزء كبير من هذا النشاط التنافسي، وتم استغلالها بوصفها وسيلة للاتصال في الدولة الدينية المركزية. وتنافس العرب مع أبناء الحضارات القديمة في مجالات العلوم الإسلامية ورسائل الصالحين وفي مقدمات علم النحو المؤسسة على قواعد منهجية. وكلا الطرفين استخدم العربية، لغة الوحي، بوصفها الوسيلة المتعارف بها لتعبير الأدبي والعلمي، وكلا الطرفين ادعى معرفة متكافئة بالقرآن والسنة النبوية، واتقانا متكافئاً للبلغة اللغوية ومعايير الشرائع الجيد. في هجوم العرب على مقولات الشعوبية (مذهب الشعوبية) هناك احترام مشوب باستهزاء. من ناحية أخرى فإن أدب الحكمة اليوناني القديم قد دخل في تنافس مع الأمثال العربية، وتبارت آداب البلاط الإغريقية والفارسية مع التراث النبوي، أي مع الحديث الذي يشكل أساس السنة النبوية، وهيمنت الأدوات الطبية العلمية في مواجهة الأساليب التقليدية في العلاج، وطغى الحساب الرياضي الفلكي محل الفلك العربي الذي يعتمد على رصد النجوم في السماء، ولكل الأغراض العملية تم استخدام الجبر وواجه نظام الأرقام الوضعية الهندية صعوبة كبيرة أمام طريقة الحساب ولغة الإشارات الرقمية التي كان يستخدمها التجار. الجاحظ نفسه الذي أدان الغريباء من غير العرب وتحيزهم، ويعود من أحد أساتذة الأسلوب العربي، وناقداً حاداً للخطاب الثقافي لنظراته في مجال الدين والفلسفة، كتب كتاباً عظيماً هو «البيان والتبيين»، وغرضه الوحيد من هذا الكتاب هو إثبات تفوق مواهب العرب وكفاءتهم في أمور اللغة والأسلوب، مقارنة بالتخلف الجديده ذات الأعراق المختلطة من الفرس والإغريق. في هذا الكتاب وفي مواضع

ملك العرب"، والذي يدور حول طالع الخلافة العربية؛ وكان بالإمكان استخدام نموذج التنجيم السنوي للتنبؤ بنهاية قريبة للخلافة العربية أو باستمرارها لقرون ستة، في حين أن بني موسى الذين كان يرعاهم يحيى بن أبي منصور التحدر من أصول فارسية، كانوا أكثر تلطفاً مع مجموعات علماء الفلك الإيرانيين، وبشكل عام مع الشعوبية التي دعت إلى مساواة المسلمين الإيرانيين في الحقوق والمراتب المتدجين في إمبراطورية الإيمان.

كلا الفريقين قاما بتوظيف المترجمين للحصول على منابع العلم اليوناني. دفع بنو موسى لأمثال حنين بن اسحق وحيث بن إحسان وثابت بن قرة، وهم أفضل مترجمي عصرهم، ٥٠٠ دينار شهرياً للترجمة والمواظبة على العمل - وهو مرتب هائل (حتى لو بالغنا بعض الشيء) - وقام بنو موسى أيضاً بتمويل بعثات إلى الأراضي البيزنطية للبحث عن نصوص لعلوم الأوائل. وكان البحث عن نصوص المؤلفين اليونانيين أيضاً مجالاً للتنافس، فمثلاً قام أحمد بن المعتصم الذي كان الكندي يعمل تحت رعايته بتكليف مترجم بترجمة كتاب "الميكانيكا" للعالم السكندري بابوس، وفي الوقت ذاته قام بنو موسى بترجمة كتاب هيرون عن الموضوع نفسه. وإلى جانب مؤسسة الخلافة ومكتبة بيت الحكمة التي تحولت بفضل الخليفة المأمون إلى مركز لأبحاث الفلك الرصدي والرياضي بإشراف الحراني سالم، والإيراني يحيى بن أبي منصور وسهل بن هارون (وهو شعوبي أيضاً ومن الشخصيات التي خلدها الجاحظ في كتاب البخلاء)، وإلى جانب البيمارستان البغدادى - الذي قام فيه أطباء مسيحيون وإيرانيون من غراندشاهور بممارسة نشاط مشابه يتألف من التعاليم الطبية والترجمة - كانت حركة الترجمة تحول من قبل أفراد. لم يكن كل الممولين علماء بارعين مثل الكندي وبني موسى، لكنهم كانوا أكفأ وخصصوا دهمهم للترجمة، رجال مثل علي بن يحيى أو ابن المنجم، ابن أبي منصور، وهو أحد عمولي حنين، وكانت مكتبة الخاصة تقارن بمكتبة الخليفة وخزانة الحكمة تلك المكتبة العلمية التي كانت ملكاً لوزير المتوكل المتفتح بن خاقان، أو مكتبة لتكلم الحسن بن موسى من بني نوبخت، وهي عائلة إيرانية من المنجمين، قاموا بتعيين الحراني ثابت بن قرة (متملماً فعل بنو موسى) والجبل الأصغر من جماعة حنين.

وفي مقابل التيار الإيراني من الفلكيين والمنجمين الأوائل وتحالف العشائر المسيحية الآرامية من جنوب إيران والعراق، كان يمكن التعرف على مجموعة مختلفة على صلة بالكندي. هؤلاء الذين ورد ذكرهم كانوا رجالاً من هذا الجزء من الشرق الأوسط الذي تأثر بالحضارة الإغريقية، ولديهم خلفية إغريقية بيزنطية، أما الآخرون الذين يمكن

الندماء الخاص بالسلطة الجديدة. فلنستمع ببعض الجمل من مقدمة رسالة الكندي في وحدانية الله ونهاهي جرم العالم، والمهلة إلى الشاعر علي بن الجهم: "حاطك الله أبها الأخ المحمود بصنعه وسدك بتوفيقه، وحركك بعافيته من كل رائل، ووفسك بتطوئه لأركى عمل وبلغك من معرفته قرار رضوانه ومستحق إحسانه. فهمت ما سألت من وضع ما كنت سمعته أوضحه بالقول... وأنا أسأل وأعب الخيرات وقابل الحسنات أن يوفق لطلوبك، ويحسن من هدايتك إلى سبيل الرشاد البعيدة من أهوال السعاد. ولعمري ما هذا الموضع بمستغن عن الإطالة والإطناب إلا عند من بلغ درجتك من النظر وحسن المستعير وأبد يمثل فهمك وحرس من الهوى يمثل عزمك."

وكان الكندي نموذجاً لمال علمي دراية واسعة بالأدب، قد يكون له وقع مؤثر، لكن العالين بأسرار لغة الأدب، لم يتأثروا بقدراته الأدبية، وكتب الجاحظ نصاً تهكمياً عن "الجهل الفائق ليعقوب بن اسحق الكندي".

مع ذلك لم يفتقر الأمر طويلاً ليحقق الكندي نجاحاته، فقد كان رجلاً موصراً، ومعلماً للأمبر أحمد ابن الخليفة المعتصم (حكم من ٨٣٣ - ٨٤٢م)، وقد أهدى إليه بعضاً من أعماله. ربما قد يكون أقل غنى من بني موسى، الأخوة الثلاثة الذين ينعبدون من أصول أدنى منه، لكنهم تعلموا على يد الفلكي يحيى بن أبي منصور، وهو أحد العقول الرائدة في بيت الحكمة، وقد أصبحوا أكثر علماء الرياضيات في عصرهم شهرة، وبلغ الدخول السنوي لأبرزهم وهو جعفر ٤٠٠ ألف دينار من ممتلكات في بلاد فارس ودمشق ونواح أخرى. دارت بين الكندي وبني موسى منافسة ضارية من أجل الشهرة العلمية، وكانت هناك عداوة مرة بين الأخوة والكندي لأن المعتصم فضله عليهم كمعلم لابنه. وعندما تقلب الحال في عام ٨٤٨م وشى الأخوة بالكندي لدى الخليفة المتوكل وقاموا بمصادرة مكتبته لصالح استخدامهم الشخصي. لكنهم فشلوا في إثبات كفاءتهم العملية في الهندسة الميكانيكية عند تنفيذهم لمشروع حفر قناة طموح، وكانوا على وشك التوقف عن العمل لولا أن رذيلاً لهم من علماء الرياضيات أنقذهم من الفضيحة، ولكن بشرط أن يردوا كتب الكندي لصاحبها الذي هو أحق بها. وتظهر هذه القصة الغريبة جيداً في حكاية ألفها أدباء القرن العاشر الميلادي، ويتطابق فيها شخص أحمد بن المعتصم بالخليفة المستعين، وتقول الحكاية إن بني موسى قد عارضوا توليه الخلافة عام ٨٦٢م، كنز من الانتقام اللاحق.

ويعكسنا أن نضيف إلى ذلك أن الكندي الذي كانوا يسمونه "فيلسوف العرب" لأصوله العربية من قبيلة كندة، قد أظهر معاداة شديدة للإيرانيين وللشعوبيين في كتابه "رسالة في

لما اراد ان يبين زيادة في
الاسي من الاربعين ثلثه في
الاسي من الاربعين ثلثه في

١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠
 ٢٠١
 ٢٠٢
 ٢٠٣
 ٢٠٤
 ٢٠٥
 ٢٠٦
 ٢٠٧
 ٢٠٨
 ٢٠٩
 ٢١٠
 ٢١١
 ٢١٢
 ٢١٣
 ٢١٤
 ٢١٥
 ٢١٦
 ٢١٧
 ٢١٨
 ٢١٩
 ٢٢٠
 ٢٢١
 ٢٢٢
 ٢٢٣
 ٢٢٤
 ٢٢٥
 ٢٢٦
 ٢٢٧
 ٢٢٨
 ٢٢٩
 ٢٣٠
 ٢٣١
 ٢٣٢
 ٢٣٣
 ٢٣٤
 ٢٣٥
 ٢٣٦
 ٢٣٧
 ٢٣٨
 ٢٣٩
 ٢٤٠
 ٢٤١
 ٢٤٢
 ٢٤٣
 ٢٤٤
 ٢٤٥
 ٢٤٦
 ٢٤٧
 ٢٤٨
 ٢٤٩
 ٢٥٠
 ٢٥١
 ٢٥٢
 ٢٥٣
 ٢٥٤
 ٢٥٥
 ٢٥٦
 ٢٥٧
 ٢٥٨
 ٢٥٩
 ٢٦٠
 ٢٦١
 ٢٦٢
 ٢٦٣
 ٢٦٤
 ٢٦٥
 ٢٦٦
 ٢٦٧
 ٢٦٨
 ٢٦٩
 ٢٧٠
 ٢٧١
 ٢٧٢
 ٢٧٣
 ٢٧٤
 ٢٧٥
 ٢٧٦
 ٢٧٧
 ٢٧٨
 ٢٧٩
 ٢٨٠
 ٢٨١
 ٢٨٢
 ٢٨٣
 ٢٨٤
 ٢٨٥
 ٢٨٦
 ٢٨٧
 ٢٨٨
 ٢٨٩
 ٢٩٠
 ٢٩١
 ٢٩٢
 ٢٩٣
 ٢٩٤
 ٢٩٥
 ٢٩٦
 ٢٩٧
 ٢٩٨
 ٢٩٩
 ٣٠٠
 ٣٠١
 ٣٠٢
 ٣٠٣
 ٣٠٤
 ٣٠٥
 ٣٠٦
 ٣٠٧
 ٣٠٨
 ٣٠٩
 ٣١٠
 ٣١١
 ٣١٢
 ٣١٣
 ٣١٤
 ٣١٥
 ٣١٦
 ٣١٧
 ٣١٨
 ٣١٩
 ٣٢٠
 ٣٢١
 ٣٢٢
 ٣٢٣
 ٣٢٤
 ٣٢٥
 ٣٢٦
 ٣٢٧
 ٣٢٨
 ٣٢٩
 ٣٣٠
 ٣٣١
 ٣٣٢
 ٣٣٣
 ٣٣٤
 ٣٣٥
 ٣٣٦
 ٣٣٧
 ٣٣٨
 ٣٣٩
 ٣٤٠
 ٣٤١
 ٣٤٢
 ٣٤٣
 ٣٤٤
 ٣٤٥
 ٣٤٦
 ٣٤٧
 ٣٤٨
 ٣٤٩
 ٣٥٠
 ٣٥١
 ٣٥٢
 ٣٥٣
 ٣٥٤
 ٣٥٥
 ٣٥٦
 ٣٥٧
 ٣٥٨
 ٣٥٩
 ٣٦٠
 ٣٦١
 ٣٦٢
 ٣٦٣
 ٣٦٤
 ٣٦٥
 ٣٦٦
 ٣٦٧
 ٣٦٨
 ٣٦٩
 ٣٧٠
 ٣٧١
 ٣٧٢
 ٣٧٣
 ٣٧٤
 ٣٧٥
 ٣٧٦
 ٣٧٧
 ٣٧٨
 ٣٧٩
 ٣٨٠
 ٣٨١
 ٣٨٢
 ٣٨٣
 ٣٨٤
 ٣٨٥
 ٣٨٦
 ٣٨٧
 ٣٨٨
 ٣٨٩
 ٣٩٠
 ٣٩١
 ٣٩٢
 ٣٩٣
 ٣٩٤
 ٣٩٥
 ٣٩٦
 ٣٩٧
 ٣٩٨
 ٣٩٩
 ٤٠٠
 ٤٠١
 ٤٠٢
 ٤٠٣
 ٤٠٤
 ٤٠٥
 ٤٠٦
 ٤٠٧
 ٤٠٨
 ٤٠٩
 ٤١٠
 ٤١١
 ٤١٢
 ٤١٣
 ٤١٤
 ٤١٥
 ٤١٦
 ٤١٧
 ٤١٨
 ٤١٩
 ٤٢٠
 ٤٢١
 ٤٢٢
 ٤٢٣
 ٤٢٤
 ٤٢٥
 ٤٢٦
 ٤٢٧
 ٤٢٨
 ٤٢٩
 ٤٣٠
 ٤٣١
 ٤٣٢
 ٤٣٣
 ٤٣٤
 ٤٣٥
 ٤٣٦
 ٤٣٧
 ٤٣٨
 ٤٣٩
 ٤٤٠
 ٤٤١
 ٤٤٢
 ٤٤٣
 ٤٤٤
 ٤٤٥
 ٤٤٦
 ٤٤٧
 ٤٤٨
 ٤٤٩
 ٤٥٠
 ٤٥١
 ٤٥٢
 ٤٥٣
 ٤٥٤
 ٤٥٥
 ٤٥٦
 ٤٥٧
 ٤٥٨
 ٤٥٩
 ٤٦٠
 ٤٦١
 ٤٦٢
 ٤٦٣
 ٤٦٤
 ٤٦٥
 ٤٦٦
 ٤٦٧
 ٤٦٨
 ٤٦٩
 ٤٧٠
 ٤٧١

The Arabic Version of Aristotle's Parts of Animals. Book XI–XIV of the Kitāb al Hayawān. Amsterdam, Oxford 1979

إضافتهم إليهم على سبيل البرهنة على وجود الحركة فإن لهم مكاناً في المشهد أيضاً، عامة تميزت الترجمة بداية من عهد المأمون فصاعداً بتزايد الحاجة إلى مؤلفات يونانية قامت بتوفير ثروة من الملاحظات والمواد والمتابع التي حلت محل الكتب الإبرانية الأولى (وأكثر مثال واضح على ذلك كتاب بطليموس للجسطي)، رغم ذلك فإن الفريد بالنسبة للكنتي وحلقته هو الاهتمام بالفلسفة تمجيداً، وليس بالمثارات الشائعة وأخلاق البلاط أو بنصوص غالينوس للأطباء عن المنطق، لقد اهتموا بتدوين التراث الأفلاطوني للأرسطي الواردة من أثينا والإسكندرية.

والى جانب مقدماته التي شملت تقريباً كل جوانب العلوم الطبيعية، من الفلك والتنجيم إلى البصريات ونظريات الموسيقى والطب والصيدلة، فإن الموجه الروحي لهذه

مع القواعد الاجتماعية، وهي تأمس بذلك لأطر لوضع الحدود الخارجية من خلال النقاش، وللتأثير الداخلي من خلال أسس التدريس. وأدى تشكيل تلك المؤسسات المدنية والعسكرية والدينية والعلمية، بصورة حتمية إلى ظهور الصراعات بين الجماعات التي تتنافس من أجل الحصول على السلطة - وأول وأشهر مثال على ذلك هو محاكم الفتش التي أقامها الخليفة المأمون، المعروفة بفترة المحنة - وكان يتم الاستناد فيها إلى نموذج مستمد من خطاب معين. بعد الكندي بسجل بدأ ابن قتيبة هجومه على الهلنستين من الكتاب، وفي الجبل التالي عليه، كانت المناقشات بين السحاة والمناطق والنحاة المشائرين بالنطق (...). يجري على قدم ومراق.

بالنسبة لجبل الكندي وجماعته من أهل الفلسفة والعلوم، كانت الفلسفة تعبر عن وهي طبقة، وثبت الإسهام الثقافي للعلماء لأول مرة في تاريخ الحضارة الإسلامية. كانت الفلسفة اليونانية في مواجهة آداب البلاط وأخلاق الأمراء الإيرانية، مثلما كان العلم الأرسطي في مواجهة المعرفة التقنية الإيرانية. لكن، أولاً وقبل كل شيء استمدت الفلسفة دورها الرفيع الشأن كطريقة للحكم، بوصفها دفن الفنون و «علم العلوم»، كما هو الحال في تصريفها التقليدي، حيث أنها تحدد الغاية النهائية للعلوم المنفردة. ولأول مرة يتبين أن الفلسفة التي هي أكثر الأنشطة العقلية نقاء، هي نشاط يخدم الإسلام.

آية فلسفة؟ عندما بدأ العرب المسلمون في التعرف على الفلسفة اليونانية، تحسّلوا على مجموعة من المشكلات الفلسفية وحلولها. والمشكلات والحلول كانت موجودة في فلسفة أفلاطون وأرسطو. أفلاطون أثار معظم الأسئلة الفلسفية ووضع أرسطو المواد والأساليب للإجابة عليها. رغم ذلك فإن ما نقل إلى العرب كان مجموعة مختارة من كتابتهما، مجموعة منتقاة من أعمال أفلاطون التي تم القضاء على معظمها نتيجة للتوجس المسيحي إزاء المعتقد الأفلاطوني الذي تم تدريسه في أثينا والإسكندرية، انتقاء هيمنت عليه العلوم الطبيعية وعلوم الطبيعة وماوراء الطبيعة الأرسطية، وكان مصحوباً بشرح الفلاسفة المشائين والأفلاطونية الجديدة، وهو في نهاية المطاف انتقاء ملحق بالكتابات الأفلاطونية الجديدة المنسوبة إلى أرسطو. ولم يستمر التراث الأفلاطوني وحده، ففي بغداد مثلما كان الحال في أثينا والإسكندرية، كان ينظر إلى أرسطو وكذلك إلى أفلاطون والأفلاطونيين الجدد على أنهم يسعون إلى حقيقة واحدة، حقيقة تم دعمها بجهود استمرت قروناً عديدة من أجل تطويع هذه التعاليم وجعلها متوافقة مع آراء الفلاسفة المسيحيين والفلاسفة المسلمين من بعدهم، لتتماشى مع معتقداتهم وحل معضلات الفكر الديني.

كان الحل التوفيقى الأول الذي قلعه الكندي للمصادر المتعددة والمتباينة بمثابة بداية الفلسفة في الإسلام. ويتقدم الحسجج التي تبين إمكان توافق العلم الديني مع العلم العقلي (ليس فقط بالنسبة للإسلام)، وبشكل واضح من خلال التفسير المجازي للقرآن، استطاعت فلسفة الكندي أن تستمر وتبقى كمدرسة تتمتع بتقدير كبير في أوساط العلماء المختصين، من الرياضيين والفلكيين والأطباء والكتاب الذين يعملون في إدارات الدولة وفي البلاط. وينحول عمله إلى أدب، ظل في هذا المزيج العربي الإيراني اليوناني مرجعاً كلاسيكياً للأدب، وبسط الأسس للأخلاق العقلانية، الأخلاق الأفلاطونية للمعرفة. لكن الخطوة التالية نحو فلسفة إسلامية ظلت باقية. الفلسفة التي تسعى لإثبات الرحمة الإلهية، من خلال بحث الرسول في نقطة الذروة من تاريخ الخلاص، خطة الله في التاريخ، فلسفة الجماعة الدينية. كان الفارابي (المتوفى عام ٩٥٠م) هو واضع هذه الفلسفة في القرن اللاحق، وكان ابن سينا (المتوفى عام ٣٧٠م) هو الذي قام بمعالجتها في موسوعة جديدة. لم يقتصر عمل الفلاسفة فقط على الاستقالات بالفلسفة عن العلوم التطبيقية، بل نبذوا لاهوت الخلق لصالح النموذج الأرسطي الموحد للفيزياء، مدافعين من مبدأ الخلق الأبدي، رافضين بذلك وجهة النظر التقليدية الخاصة بالخلق في الزمن، لكن علماء الدين أيدوا حجج معارضي الفلسفة. لكن لإصراهم على صلاحية هذا العلم البرهاني، لم يسع الفلاسفة إلى التوفيق بل إلى التنافس. برنامج الكندي للدعاية للفلسفة كان برنامجاً إدماجياً داخل الإطار الاجتماعي في السلطة العربية المسلمة، واستمر في هذا البرنامج تلميذه في الشرق الإسلامي أبو زياد البلخي وأبو الحسن الأمير، وفي النهاية دمجه مع الميتافيزيقا الجديدة لابن سينا. لكن بدون الأساس الذي وضعه الكندي، لم يكن من الممكن لأحد من جالوا بعده تصور وجود فلسفة تجعل من اللاهوت مجالاً لها، وتضع الوحي في مجال التفكير العقلاني. وأخيراً بدون إنجاز الكندي في تنظيم وإبرار أهمية تعريب اللغة الفلسفية، بل ويمكن أن نتحدى فنقول: لو لم يحم الكندي وحلقته ومن أكملوا عملهم بنحت لغة الفلسفة العربية عن المصادر اليونانية، لما كان للغرب الأوروبي والعالم العربي، من المصور الوسطى وإلى يومنا هذا، أن يجدوا لغة مشتركة في محاولة وضع تسميات لمبادئ الوجود وحالة الإنسان.

ترجمة: أحمد فاروق

غيرهارد إدلس: استاذ معروف في مجال الدراسات الاستشرالية في جامعة بروخوم. متخصص في تاريخ الفلسفة العربية.

المترب جم ومهمته

قابلية النصوص للترجمة

بالترجمة من حيث الجوهر ويتطلبها أيضاً، بناءً على ذلك، ووفقاً لأهمية هذا الشكل. سبدياً لا يمكن حسم السؤال الأول إلا بصورة إشكالية والثاني بصورة قطعية. والتفكير السطحي وحده هو من يحسبهما متماثلين المعنى حين ينكر للمعنى المستقل للسؤال الأخير. ويمكن الإشارة إزاء ذلك إلى أن بعض المفاهيم النسبية مستحفظ بمغزاها الجيد، وربما الأفضل إذا لم توقف منذ البداية على الإنسان فحسب. وعلى هذا النحو يجوز التحدث عن حياة أو لحظة لا تنسى حتى لو نسيها الناس كلهم. وإذا ما طالب جوهرهما بعدم النسيان فسيكون ذلك الإسناد ليس خاطئاً، بل مجرد مطلب بعدم التوافق مع الإنسان، مستضمناً في الوقت نفسه إحالة إلى مجال يمكن أن يتوافق معه: وهو ذكر الله. وطبقاً لذلك تبقى إذن قابلية ترجمة الأشكال اللغوية جديرة بالاعتبار، وإن كانت غير قابلة للترجمة بالنسبة للناس. ليس على الأشياء اللغوية أن تقف حقاً عند درجة معينة من خلال مفهوم صارم حول الترجمة؟ وفي حالة انفصال كهذه يطرح السؤال فيما إذا كان لابد من ترجمة الأشكال اللغوية للملحدة. فالعبارة القائلة: بأنه إذا كانت الترجمة شكلاً فيجب أن تكون قابلية ترجمة بعض الأعمال أمراً مرتبطاً بها ارتباطاً جوهرياً.

إن القابلية للترجمة تناسب بعض الأعمال، وهذا لا يعني أن ترجمتها أمر جوهري بالنسبة لها، إنما تصفح هذه القابلية للترجمة عن دلالة محددة تتضمنها النص الأصلي. ومن البديهي القول إن الترجمة مهما كانت جيدة لا يمكن لها أن تطوي على أهمية بالنسبة للأصل. ومع ذلك فإنها تقيم علاقة أولية مع النص بفعل قابليته للترجمة. وهذه العلاقة تكون أشد عمقاً بقدر ما هي عدية الأهمية بالنسبة للأصل نفسه. ويمكن أن يقال عنها إنها علاقة طبيعية، وبدقة أكثر هي علاقة الحياة. ومثلما ترتبط مظاهر الحياة عميقاً بما هو حيوي، دون أن تعني له شيئاً، تنشأ الترجمة عن الأصل. وهي لا تنبثق في الواقع من حياته، بل من "بقائه حياً". فالترجمة متأخرة عن الأصل، وما يميزها، لاسيما في الأعمال المهمة، هي أن هذه الأعمال لم تعثر قط على مترجمها للخلاص في زمن نشوئها، مما يميزها هو مرحلة بقائها في الحياة. وبموضوعة خالية تماماً من أي استتمارة ينسني الإحاطة بفكرة الحياة نفسها من ناحية

لا يمكن للاعتناء بالعمل أو الشكل الفني، في أي مكان كان، أن يكون مشمراً بالنسبة للمتلقى فيما يتعلق بمعرفة العمل الفني نفسه. ولا يكفي أن تحرف كل علاقة بجمهور محدد أو بممثليه عن الجادة الصحيحة، بل حتى مصطلح المتلقى «الثاني» مضّر في جميع المعالجات الفنية النظرية؛ لأن هذه المعالجات ملازمة فقط بافتراض جوهر الإنسان ووجوده عمومياً افتراضاً مسبقاً. وهكذا فأن الفن أيضاً يفترض سلفاً الجوهر الذهني والجسدي للإنسان؛ لكنه لا يقيم اعتباراً لانتباهه في أي إنجاز من إنجازاته. إذ ليس هناك أي قصيدة تتوجه نحو القارئ، ولا أي لوحة تستهدف المشاهد ولا قطعة سيمفونية تخاطب المستمعين.

فهل تستهدف الترجمة القراءة الذين لا يعرفون الأصل؟ يبدو أن هذا يوضع على نحو جلي التناقض النوعي بين الأصل والترجمة في المجال الفني. وفوق ذلك كله يظهر السبب الوحيد الممكن وهو إصادة قول "الشيء ذاته". ما الذي "تقرله" القصيدة؟ وما الذي يمكن أن تُبلغه؟ إنها تفعل القليل جداً لمن يفهمها، لأن جوهرها هو ليس الإبلاغ وليس القول. ومع ذلك ليس في ومع تلك الترجمة التي تسعى إلى التوسط لا نقل الإبلاغ وحده؛ أي ما هو غير جوهري. وهذه أيضاً علامة التعرف على الترجمات السيئة. بيد أن هذا الذي يقف خارج الإبلاغ في القصيدة - وحتى المترجم السيئ يعترف بأن هذا يشكل جوهرها - ألا يعتبر على العموم أمراً غامضاً، شعرياً، غير قابل للإدراك؟ ألا يفهم المترجم بالنقل وحده عندما يقوم بالنظم كذلك؟ وهنا تكمن في الواقع العلامة الثانية للترجمة السيئة التي يمكن أن تعرف بأنها نقل غير دقيق لمحتوى غير جوهري. وسبب الأمر على هذا المثال طالما تعهدت الترجمة بخدمة القارئ، وإذا كانت موجهة إلى القارئ فلا بد من الأصل أيضاً. وإذا لم يبق النص الأصلي من أجل ذاته، فكيف يمكن فهم الترجمة من خلال هذه العلاقة؟

إن الترجمة شكل، ولكي تفهم على هذا النحو فلا بد من الرجوع إلى الأصل، لأن فيه يكمن قانونها أكثر مما يكمن في قابلية الأصل للترجمة. والسؤال عن إمكانية الترجمة ينطوي على معنيين. فهو يمكن أن يعني: في ما إذا كان النص سيعثر أبداً على مترجمه الكفء ضمن جملة قرائه؟ أو، وهذا هو أصل المشكلة، في ما إذا كان يسمح

ودعومة الحياة في العمل الفني من ناحية أخرى. كون أن الحياة لا تحسب من نصيب البلد الخفي وحده فذلك أمر قد افترضته حتى عصور التفكير المضطرب والتحيز. لكن الموضوع لا يتعلق بتوسع سلطة الحياة في ظل ضعف صولجان الروح مثلما حاول فشر¹ Fechner، ناهيك عن أن الحياة يمكن تصريفها عبر للتحللات الحيوانية الأقل حسماً، مثل الإحساس، الذي يدلل عليها أحياناً، إنما فقط يعترف بالحياة لذلك الشيء الذي يتمتع بتاريخ دون أن يكون مسرحاً للتاريخ، حيث يدّ نال مفهوم الحياة نفسه حقاً. إذ أن دائرة الحياة تحدد في نهاية المطاف من خلال التاريخ، وليس من خلال ما هو متأرجح مثل الإحساس والفتس. لذلك تكمن مهمة الفيلسوف في فهم الحياة الطبيعية برمتها عبر شمولية التاريخ. وهل هناك أكثر سهولة، بما لا يقارن، من التعرف على دعومة الأعمال الإنشائية على الأقل مقابل التعرف على دعومة المخلوقات؟ إن تاريخ الأعمال الفنية العظيمة يعرف عملية نشوئها من خلال المصادر، أي تكوينها في عصر الفنان وحقيقة ديومتها الأبدية من حيث المبدأ بالنسبة للأجيال اللاحقة؛ هذا يعني أنها حيث ما تتجلى تحظى بالشهرة. والترجمات التي هي أكثر من مجرد نقل تنشأ عندما يصل العمل الفني إلى زمن شهرته أثناء الاستمرارية. فهي لا تتقدم هذه الشهرة مثلما يدهي المترجمون السيئون لعملهم، بل إنهم يدنون بوجودهم لها. وبها تصل حياة الأصل إلى ازدهارها المتأخر الشامل والمتجدد على الدوام، ويتجدد هذا الازدهار باعتباره ازدهاراً لحياة راقية متميزة من خلال صلاحية جيدة متميزة. فالحياة والصلاحية لا تتجدد علاقتها المموسة على ما يبدو، والمتصلة إلى حد ما من كل معرفة، إلا عندما يتم البحث عن حيز راقٍ للهدف الذي تسمى إليه جميع الصلاحيات المنفردة للحياة، وليس في حيز الهدف نفسه. فكل المظاهر العملية للحياة، شأنها شأن صلاحيتها هي في الأخير أمر عملي ليس للحياة نفسها، إنما للتعبير عن جوهرها ولعرض دلالاتها. وهكذا فإن الترجمة في نهاية الأمر شيء عملي للتعبير عن العلاقة الوطيدة للغات ببعضها. ومن المستحيل للترجمة أن تكشف هذه العلاقة الخفية أو تقيّمها، لكنها تستطيع تمثيلها عندما تحققها جنيّياً أو على نحو مركز. وفي الحقيقة أن عرض مدلول من خلال محاولة عرض حالة أصلية لنواة مصلده - كما هو الحال مع المجالات غير اللغوية للحياة - من المحتمل أن يصعب الشعور عليه، لأن هذه الحياة تدرك من خلال التناظر والعلاقات أنماطاً أخرى للدلالة أكثر من التحقق المركز بمعنى التحقق السابق الذي أشرنا إليه، إلا أن تلك العلاقة الداخلية المتخيلة للغات هي علاقة تقارب متحيز يقرم على أن اللغات ليس غريبة عن بعضها، إنما متجانسة

سلفاً مع بعضها فيما يخص ما تريد قوله، بغض النظر عن جميع الصلات التاريخية. ويحاولة التفسير هذه يبدو أن الرؤية المنصبة على طرق ماثوية لا قائلة من وراثها أخذت تصب من جديد في نظرية تقليدية للترجمة. إذا ما برهنت الترجمات صلة القرابة بين اللغات، فكيف لها أن لا تنقل شكل النص الأصلي ومحتواه بأكبر قدر ممكن من الدقة؟ بلا شك أن هذه النظرية لم تشغل نفسها بمفهوم الدقة، وبناءً على ذلك لم تستطع الكشف عما هو جوهري في الترجمات. بيد أن صلة القرابة بين اللغات في ترجمة تبرهن في الحقيقة على ما هو أصح وأشدّ تحديداً مما يحمله التشابه السطحي الغامض لتصنيف شعريين. ولكي نفهم العلاقة الحقيقية بين الأصل والترجمة لابد أن نأخذ بعين الاعتبار قضية يتناظر هدفها مع الاستدلالات التي يبرهن فيها النقد العربي على استحالة نظرية التطابق «Abbildtheorie»، إذا ما اتضح هناك بأن ليس ثمة موضوعية في المصرفة، بل ليس هناك حتى حق بالمطالبة بالموضوعية، إذا ما قامت على التصوير الحرفي للواقع، فيقوم البرهان هنا على استحالة أي ترجمة تسمى في جوهرها إلى التشابه مع الأصل. لأن الأصل في ترجمة ديومته، والذي لا يمكن أن تطلق عليه هذه الصفة لولا التحول والتجديد اللذان يشهدهما ما هو حيوي فيه، يكون خاضعاً للتفسير؛ فتتضح متأخر للكلمات المحددة المعاني. فيبقى النظر عما كان يشكل مغزى لثمة شعرة في زمن كاتب ما، فإنه سيضمحل فيما بعد، لتنتشأ من ما هو مسطر شكلياً نزعات مضمرة جديدة. فما كان دائماً غضاً آنذاك يستهلك فيما بعد، وما كان مستخدماً سيصبح وقعه قديماً مهجوراً. فالباحث عن جوهر تحولات كهذه وكذلك عما هو ثابت المعنى في ذاتية الأجيال اللاحقة بدلاً من البحث عنه في خصوصية اللغة وتناجها يعني - مع الاعتراف حتى بأشد التحليلات النفسية فجاجة - تبديل أساس القضية وجوهرها، ويمكن القول بصراحة إن ذلك يعني إنكار أشد القضايا التاريخية فعالية وخصوصية بفعل قصور التفكير. وحتى لو أراد المرء أن يجعل آخر جرّة قلم للمؤلف بمثابة رصاصة الرحمة للعمل الفني فإن ذلك لن ينقل نظرية الترجمة الميتة تلك. فمثلما تتغير نبرة الأشعار العظيمة ودلالاتها عبر القرون تغيراً تاماً تتغير أيضاً اللغة الأم للمترجم. وبينما تدوم كلمة الشاعر متجاوزة عصره يكون قدر الترجمة المقترنة النمو داخل لغتها أو الاندثار في اللغة المتجددة. وهكذا تصبح بعيدة عن أن تكون بمثابة المعادلة الصمّة للغتين خافتين، بحيث أنها ستقع على خصوصيتها المتميزة من بين جميع الأشكال وتتسبب إلى النضج المتأخر للمفردة الأجنبية، أي على مخاض مفردتها.

وضع حلّ لا زمني وغير مؤقت لهذه الغرابة، أو أن هذا الحلّ لن يكون على أية حال ما يسعى إليه المرء بصورة مباشرة. لكن وبشكل غير مباشر يستطيع نحو الديانات الكامن في اللغات إحصاء البذور المستترة للغة راقية. إن الترجمة إذن، مع أنها لا تطلب بدوام تركيبها وبهذا لن تكون شبيهة بالفنّ، لا تنكر انجذابها نحو مرحلة أخيرة نهائية وحاسمة لتقدها اللغوي برمتة. وفيها يرقى الأصل إلى أفق لغة عال وصفاء معاً، لا يتمكن بلا شكّ من البقاء فيه بصورة دائمة، والذي لا يتمكن أبداً من الوصول إليه في أجزاء شكله جميعها، إلا أنه مع ذلك يشير إليه على الأقل بطريقة راقية وملحة أكثر مما يشير إلى مجال استجابة اللغات وتوافقها العاجز والمحدد مسبقاً. وهو لا يصل إليه ببساطة، لكن في هذا المجال ثمة ما هو أكثر من مجرد إبلاغ في الترجمة. ويمكن بدقة تحديد هذه النواة الجوهرية في الترجمة باعتبارها الشيء العصي على الترجمة من ناحية أخرى. ويعتقد المرء أن يستخلص منها ما يشاء من الإبلاغ ثم يترجمها، لكن ذلك الشيء الذي يهدف إليه عمل المترجم الحقيقي سيبقى ثابتاً في مكانه. فهو غير قابل للترجمة مثلما هي كلمة الشاعر في الأصل، لأن نسبة المحتوى إلى اللغة مختلفة تماماً في الأصل والترجمة. وإذا ما شكل الأصل والترجمة وحدة معينة في البدن مثل وحدة القشر والشر فإن لغة الترجمة ستحتيط بالمحتوى كما المعطف الواسع الطيأت. إذ أنها تدلل على لغة أرقى منها، وبذلك ستكون فعّالة وغريبة وغير متناسبة مع محتواها نفسه. وهذا الانكسار يحصل دون النقل مثلما يمكنه في الوقت ذاته. إذ أن كلّ ترجمة لعملٍ فنيّ في فترة زمنية محددة من تاريخ اللغة تمثّل، بالنظر إلى ناحية محددة من المحتوى، تلك الترجمات في جميع اللغات الأخرى. إن الترجمة إذن تفرس الأصل في مجال لغويّ نهائيّ – تهكمي من هذه الناحية، لأن الأصل لن يتزحزح عن مكانه في هذا المجال عبر أية ترجمة مهما كانت، بل يمكن أن يستخلص منه كلّ مرة من جديد وعبر أجزاء مختلفة. ولعلّ مفردة "تهكمي" تذكر بأفكار الرومانسيين ليس بدون سبب، فهو لا كانوا يمتلكون نظرة متميزة إلى حياة الأعمال الأدبية قبل غيرهم، هذه الحياة التي تشهد لها الترجمة شهادة حيّة. بالطبع أن هؤلاء الرومانسيين لم يدركوا الأمر على هذا النحو، بل كانوا يصيرون جلّ اهتمامهم على النقد الذي يشكّل بدوره لمحّة، وإن كانت قصيرة، من ديمومة العمل الفنيّ. وإن كان لا يمكن تقويم نظريتهم حول الترجمة، إلا أن علمهم الرائع الترجمة كان يأتي متلازماً مع الشعور بجوهر هذا الشكل ومكانته. وهذا الشعور – حسبما يدلّل كلّ شيء على ذلك – ليس من الضروري أن يكون موجوداً بقوة لدى الشاعر وحده، ولعلّ هذا الشعور

وإذا ما أفصحت الترجمة عن صلة قرابة بين اللغات فإن ذلك يحدث بشكل مختلف عن التشابه الواهي غير المحدد بين التقليد والأصل. فكم من المتعقّب القول بأن التشابه لا ينشأ بالضرورة بفعل القرابة. ومن هذه الناحية فإن مفهوم القرابة اللغوية يكون في هذا السياق متوافقاً بالكامل مع استخدامه الدقيق أكثر مما يمكن تعريفه تعريفاً واضحاً من خلال مساواة النسب في كلا الحالتين، على الرغم من أنه سيبقى ضرورياً بالطبع لتعريف الاستعمال الحصريّ لمفهوم النسب. فإين يمكن البحث عن صلة القرابة بين لغتين، بعيداً عن صلتها التاريخية؟ إن ذلك لا يتحقّق على أية حال في تشابه الأسماء ولا في تشابه مفرداتها، إنما تكمن القرابة غير التاريخية للغات في أن هناك شيئاً واحداً في كلّ واحدة منها يوجد فيها كلّها مجتمعة وهو في الواقع الشيء المراد نفسه، ومع ذلك فإن أي واحدة من هذه اللغات غير قادرة بمفردها على الوصول إليه إلا عبر كليّة الأغراض والمعاني المكملّة لبعضها: أي اللغة الخالصة. فبينما تتعارض جميع العناصر المتفرقة للغات الأجنبية، من مفردات وجمل وأساق، فإن هذه اللغة تكمل بعضها في مقاصدها - Intention نفسها. وهذا القانون الذي هو من أهم قوانين فلسفة اللغة يفرّق في قصده، لكي يفهم بدقة، بين ما هو «مقصود» (Gemeinten) وطريقة «الفهم» (Meinen)، وفي مقدرات مثل «Brot» و «pain» يكون المقصود هو نفسه، لكن الطريقة التي يقصد فيها تكون على العكس من ذلك. ففي طريقة الفهم تكمن حقيقة أن ثمة دلالة مختلفة في كلا المفردتين الألمانية والفرنسية بحيث لا يمكن إبدالهما ببعضهما، بل أنهما يتعارضان مع بعضهما في نهاية المطاف؛ بيد أنهما من ناحية ثانية، إذا ما نظرنا إلى الأمر بصورة مطلقة، يتماهيان ويعبران عن المعنى ذاته في المقصود. وبينما يتعارض نمط الفهم في هاتين المفردتين يتعارضاً شديداً، فإنهما تكملان بعضهما في كلا اللغتين اللتين تنتميان إليهما، والحقيقة أن نمط الفهم هو الذي يكمل المقصود. وفي اللغات المتفرقة غير المكملّة لبعضها لا نعرّض على «مقصودها» أبداً في استقلالية نسبية، أي في بعض المفردات المتفرقة أو الجمل، بل إنه يكون دائماً في حالة تحوّل إلى أن يتلو من تناسق جميع أعماق المقصود متحوّلاً إلى لغة خالصة؛ وطوال ذلك سيبقى كامناً في اللغات. لكن إذا ما تمت هذه اللغات حتّى نهاية تاريخها السرمدي، فستكون الترجمة المتحمسة إلى ديمومة الأعمال الأدبية وإلى الانتعاش اللاتمنائي للغات، متصلة دائماً وأبداً على القيام بالتجربة على ذلك النسو المقدس للغات: أي كم سيكون مكنونها بعيداً عن الإحياء وكم ستكون معرفتها بهذا البعد حاضرة. بذلك نكون قد اعترفنا بأن كلّ ترجمة هي إلى حدّ ما طريقة مؤقتة للتصالح مع غرابة اللغات. وسيخفق المرء في



فيليب سارتر، تصوير Gold Frutkin

diversité, sur terre, des idiomes empêche personne de proférer les mots qui, sinon se trouveraient, par une frappe unique, elle-même matériellement la vérité.*» وإذا كان ما قصد فالأمر به بكمالاته هذه يمثل في نظر الفيلسوف رأياً قاطعاً فإن الترجمة تقف مع أجنّة لغة كهذه موقفاً وسطاً بين الشعر والمذهب. وعملها يكون متخلفاً عن هذه الخصوصية البارزة، إلا أنه لا يكون أقل رسوخاً من ناحية التاريخ.

ولو تكشّفت مهمة المترجم تحت ضوء كهذا، فستكون الطرق المؤدية إلى حلها مظلمة كشيء الظلام. إن هذه المهمة: أي مهمة إنضاج نواة اللغة الصافية عبر الترجمة، يبدو أنها غير قابلة للحلّ مطلقاً، ولا يمكن تحديدها في أي حلّ كان. إذ ألا تنتهي مصداقية حلّ كهذا إذا ما فشل نقل المعنى عن أن يكون نقلاً مستمراً؟ ولا يتخلف - من وجهة سلبية - كل ما سبق ذكره في هذا الخصوص. فالأمانة والحريّة - أي حريّة النقل المتأرجح للمعنى حيث تكون الأمانة في خدمتها إزاء الكلمة - هما من المفاهيم العتيقة المستخدمة في كلّ نقاش حول الترجمات. لكن يبدو أنهما غير قادرتين على خدمة نظرية تبحث في الترجمة عن شيء

لا يجد في صدر الشاعر متسعاً له. وليس التاريخ نفسه هو من أوحى بالرأي التقليدي المتحيز القائل بأن المترجمين الملهمين هم من الشعراء، أمّا المترجمون الأقل قلرة فهم من الشعراء الأدنى أهمية. فهناك نخبة من العظماء من أمثال لوثر وفوس وشليغل كانوا مهيمين، بما لا يقاس، باعتبارهم مترجمين أكثر مما هم شعراء، أمّا غيرهم من العظماء مثل هولدرلين وغيورغه لا يمكن حصرهم بمفهوم الشاعر وحده إذا ما وضعنا إنتاجهم كلّ بنظر الاعتبار، بل لا يمكن اعتبارهم حتى مترجمين. ومثلما تكون الترجمة شكلاً خاصاً فيمكن أيضاً أن نفهم مهمّة المترجم بصفتها مهمّة خاصة، ولابد من التفريق بينها وبين مهمّة الشاعر.

إنها تسكن في الشعور على ما هو مقصود بالنسبة للغة المترجم إليها، التي يُحيي فيها صدى الأصل. وهنا يقع بلا شكّ ملمح للترجمة يختلف عن المؤلف الشعري، لأن مقصده لا يتجه أبداً إلى اللغة باعتبارها لغة، أي إلى كليّتها، بل فقط إلى سياقات المحتوى اللغوية للحددة والمباشرة. فالترجمة لا ترى نفسها كما هو الحال مع الشعر في داخل الغاية الجبيلية للغة، بل خارجها، أي مقابلها، دون أن تدخلها، إنما تدعو الأصل إلى داخلها، أي إلى ذلك المكان الوحيد، حيث يرجع إيقاع اللغة، كلّ مرة، صدى الأثر الأدبي المدوّن باللغة الأجنبية. فمقصدها لا يعود إلى شيء آخر سوى مقصد الشعر، أي إلى لغة شاملة تنقل العمل الفني المنفرد إلى لغة أجنبية، إنما المقصد نفسه مختلف أيضاً: فمقصود الشاعر أوكي، ساذج، جليّ، بينما يكون مقصد المترجم مستتبهاً، نهائياً، غنيّاً بالمعاني. إذ أن الدافع الكبير لاندماج اللغات الكثيرة في لغة حقيقة واحدة هو الذي ينجز العمل. لكن هذا الاندماج الذي لا تفاهم خلاله الجمل والقصاص والأحكام أبداً مع بعضها - لأنها تبقى معتمدة أيضاً على الترجمة - هو الذي تنفق فيه اللغات مع بعضها، مكتملة ومتراضية في نخط قصدها. وعلى خلاف ذلك، إذا كانت هناك لغة للحقيقة محفوظ فيها آخر الأسرار التي يسمّى إليها كلّ تفكير حفظاً صامتاً وخالياً من التوتر، هكذا هي لغة الحقيقة هذه، أي اللغة الحقيقية. وهذه اللغة بالذات التي يكمن الكمال الوحيد في هاجسها وقدرتها على الوصف هي التي يتحداها الفيلسوف، وهي مسترة بتركيز في الترجمة. فليس هناك رغبة للفلسفة ولا رغبة للترجمة، غير أن هذه الترجمات ليست خالية من الذوق الفنيّ مثلما يدعي بعض الفئتين للفريقين في العاطفة: إذ أن هناك إبداعاً فلسفياً من سماته الاشتياق إلى لغة تتجلى فيها الترجمة:

Les langues imparfaites en cela que plusieurs, manque la suprême: penser étant écrire sans accessoires, ni chuchotement mais tacite encore l'immortelle parole, la

آخر موى إعادة المعنى، وينظر في الواقع إلى هذه المفاهيم بشك مستمر على الدوام. فما الذي يمكن أن نقله الأمانة من خدمة لإعادة المعنى؟ إن الأمانة في ترجمة المفردة الواحدة لا تستطيع إلا نادراً أن تنقل المعنى الذي ينطوي عليه الأصل نقلاً كاملاً. لأن هذا المعنى، وبعد دلالاته الشعرية في الأصل، لا يتجسد في ما هو مقصود، إنما يكتسب هذه الدلالة حسب اقتران المقصود بطريقة القصد في الكلمة المعينة. لقد دأب المرء على التعبير عن هذه الظاهرة بالصيغة القائلة بأن الكلمات تحمل معها نبرة إحساس معين. وبالنسبة لبناء الجملة فإن الحرفية بالذات ستزعم بكل نقل للمضمون مباشرة إلى سلة المهملات، وتؤدي لا محالة إلى الإبهام. وتعدت ترجمات هولدرلين لسورفوكليس في القرن التاسع عشر مثلاً صارخاً مشوهاً على هذه الحرفية. ومن البديهي القول إن الأمانة في إعادة الشكل ستجعل إعادة المضمون صعبة بما لا يقاس، وبناءً على ذلك فإن مطلب الحرفية لا يستتبع من مصلحة الإبقاء على المعنى. وهذه المصلحة تخدم بلا شك الحرية الفاسدة للمترجمين السيئين أكثر مما تخدم الشعر واللغة. ومن الضروري إذن أن نفهم هذا المطلب، الذي يجهز بحقه بينما يفي على سببه مضمرًا، عبر سياقات مقنعة. ومثلما على شطابا الإناء أن تعقب بعضها في أصغر التفاصيل لكي تجتمع ببعضها، لكن دون أن تشابه إحداها مع الأخرى، فإن على المترجم أن تملك طريقة القصد الموجود في الأصل حتى أدق تفاصيلها وتصوغها في لغتها الخاصة، بدلاً من تقليد معنى الأصل، لكي تكشف عن علاقة الأصل بالترجمة، تماماً مثلما تكشف الشطابا عن جزء الإناء، أي الكشف عن جزء اللغة راقية.

ولهذا السبب بالذات فإن على المترجم أن تعمل عن إيلاخ شيء ما، وأن تصرف النظر عن المعنى بصورة أكبر، وأن تعتبر الأصل بالنسبة لها جوهرياً فقط عندما يعنى المترجم وعمله من نظام ومشقة كل ما هو إيلاخي. وستكون العبارة القائلة: في البدء كان الكلمة سارية المفعول حتى في ميدان الترجمة. وعلى العكس من ذلك تستطيع، بل يجب على لغة الترجمة، أن تفسح المجال لمرور المعنى، لكي لا تجعل قصده يتردد بمثابة إعادة، إنما بمثابة تناسق هارموني وإقام للغة يعرب فيها المعنى عن نفسه وتعبّر هي نفسها عن مرادها. وبهذا المعنى لا يمكن إطراد الترجمة التي تُقرأ لنفسها كما تقرأ لغة النص الأصل، لا سيما في زمن نشوئها، بل ينبغي على المتطلع الكبير إلى تكلمة اللغة وعلى دلالة الأمانة في النقل، المكفولة بالحرفية، أن ينطقا عبر العمل الأدبي. إن الترجمة الحقيقية شافهة، لا تغطي على الأصل، ولا تخجّب عنه الضوء، بل تجعل اللغة الصافية تهبط على الأصل، معززة بأدائها الخاصة، هبوطاً

أكثر كمالاً. وهذا يقتضي قبل كل شيء الحرفية في نقل بناء الجملة، لأن هذا البناء بالذات هو الذي يدل على أن الكلمة، وليس الجملة، هي التي تشكل العنصر الأساسي للمترجم؛ فالكلمة هي الجدار القائم أمام لغة الأصل والحرفية هي «الأركادة، الرواق المقنطر.

وإذا ما كان يُنظر إلى الأمانة والحرفية في الترجمة باعتبارهما نزعيتين متعارضتين منذ القدم فيبدو حيثن ذلك التفسير العميق لإحداها غير قابل لإصلاح ما بينهما، إنما سيترك، على العكس من ذلك، حق الأخرى إنكاراً كاملاً. فإلى أي شيء تستند الحرية إذا لم تستند إلى إعادة المعنى التي عليها أن تتوقف عن أن تكون صاحبة الأمر والنهي؟ فقط عندما يستخدم معنى التركيب اللغوي استخدماً مطابفاً لمعنى إيلاخ، يبقى محظوظاً بشيء أخير حاسم يتجاوز كل إيلاخ، شيء قريب جداً ويعيد أشد البعد، كامن فيه أو سافر في آن، منكسر به أو قوي جبار من خلاله. وباستثناء الإبلاغ ثمة شيء لا يُبلغ قائم في كل لغة وتركيباتها، شيء يرمز إلى شيء ما أو يرمز له، حسب السياق الذي يرد فيه. فهو يرمز إلى شيء ما فقط عندما يدخل في التركيبات المتناهية للغات، لكن يرمز له في صيرورة اللغات نفسه. أما ذلك الشيء الذي يمثل نفسه، لا بل يبحث عن إنتاج نفسه في صيرورة اللغة، فهو نواة اللغة الخالصة ذاتها. إلا أن هذه النواة، سواء كانت كامنة أو على صيغة شلرات، لكنها مع ذلك حاضرة في الحياة باعتبارها الشيء المرموز له نفسه؛ فإنها تكون مقيمة فقط إقامة رمزية في التركيبات اللغوية. وإن كان هذا الجوهر الأخير الذي هو هنا بمثابة اللغة الخالصة مرتبطاً في اللغات بما هو لغوي فقط ويتحوّلات هذا اللغوي فإنه سيكون مرتباً بالمعنى الصعب والغريب فيما يتعلق بالتركيبات اللغوية. والقدرة العظيمة الوحيدة للترجمة تكمن في تحررها من هذا المعنى وتحولها الرامز إلى مرموز، وفي اعتمادها اللغة الخالصة على هيئة حركة لغوية.

في هذه اللغة الخالصة التي لا تعبّر عن شيء أو تعنيه، بل هي عبارة عن مفردة خلقة خالية عن التعبير، إنما تكون مقصودة في جميع اللغات، في هذه اللغة يلتقي الإبلاغ والمعنى والقصد على مستوى واحد، يكون مصيره الزوال، وبهذه تكتسب حرية الترجمة حقاً جديداً وكبيراً. والحرفية لا تستمد بقاءها من معنى الإبلاغ الذي تكون مهمة الأمانة التحرر منه أصلاً، إنما تنبثق الحرية وجودها عبر لغتها نفسها من أجل اللغة الخالصة. إن مهمة المترجم هي العثور على تلك اللغة الخالصة المتحررة من نفسها المدونة في اللغة الأجنبية، للحررة لما هو أسير في العمل الأدبي عبر صياغة الأشعار من جديد. ومن أجلها يحطم المترجم المحواجز للهشة للغته نفسها: لقد وسّع لوثر و فوس و هولدرلين

و غيورغه من حدود اللغة الألمانية، وما يتبقى إثر ذلك من دلالة في المعنى بالنسبة لعلاقة الترجمة بالأصل يمكن الإمساك به من خلال عقد مقارنة. فمثلما يسّ الخط المستقيم «الماس» محيط الدائرة مساً عابراً وفي نقطة واحدة فحسب، ومثلما يفرض هذا التماس، وليس النقطة، القانون على الخط المستقيم، أي عندما يجرّ نفسه في مساره المستقيم غير المتناهي؛ فإن الترجمة تفسّ فقط النقطة غير المتناهية الصغر لمعنى الأصل مساً عابراً، لكي تتابع مسارها الخاص وفق قانون الأمانة في حرية حركة اللغة. وقد وصف رودولف بانفستس^١ Pannwitz في تأملاته الدلالة الحقيقية لهذه الحرية، دون أن يسميها أو يقدم لها حججاً، هذه التأملات المدونة في كتابه «أزمة الثقافة الأوربية» والتي يمكن اعتبارها ببساطة، إلى جانب ملاحظات غوته حول «الديوان»، من أفضل ما نُشر في ألمانيا حول نظرية الترجمة. يقول بانفستس: "إن ترجمتنا، وحتى الجيدة منها، تتطرق من قاعدة خاطئة. فهي تريد أن تجعل ما هو هنديّ أو إفريقي أو إنجليزيّ ألمانياً، بدلاً من أن تجعل ما هو ألمانيّ هندياً أو إفريقياً أو إنجليزيّاً. وهي تخشى خشية عظيمة من استخداماتها اللغوية ذاتها أكثر مما تخشى من روحية الأثر الأدبي الأجنبي. والخطأ الأساسي للناقل هو أنه يتمسك بالمستوى العرضي للغة نفسها، بدلاً من أن يحركها بفعل اللغة الأجنبية تحريكاً قوياً. وعليه أن يتغلب على آخر عناصر اللغة حيث تمتد الكلمة والصورة والنبذة معاً، بالأخص إذا ما كان ينقل عن لغة بعيدة جداً. وعليه أن يوسّع من لغته ويعمقها عبر اللغة الأجنبية. فليس هناك مفهوم يحدد إلى أي مدى تكون أي لغة ما قادرة على التحول، إذ أن أي لغة تختلف عن الأخرى بمقدار اختلاف لهجة عن أخرى إلى حدّ ما، لكنّ ذلك لا يتمّ إذا تعامل المرء معها بسهولة، إنما بالقصى قدر ممكن من الصعوبة."^٢

والى أي قدر تتطابق الترجمة مع جوهر هذا الشكل فلذلك أمر يتقرر موضوعياً عبر قابلية الأصل للترجمة. وكلّما كانت لغة الأصل قليلة القيمة والمرتبطة، أي كلّما كانت مجرد إيلاخ، أصبح من الصعب أن تكسب الترجمة شيئاً جديداً، إلى أن يعجز الطغيان التام للمعنى عن أن يكون مفتاحاً لترجمة مكتملة الشكل، فيفسدها. وكلّما كان العمل الأدبي راقياً يكون قابلاً للترجمة حتى لو مُسّ معناه مساً عابراً، بالطبع إن هذا ينطبق فقط على الأصل. أمّا الترجمات فتثبت على العكس من ذلك عدم قابليتها للترجمة، ليس بسبب الصعوبة، إنما بسبب السطحية الكبيرة التي يتواجد فيها المعنى داخل الترجمات نفسها. لذلك، ومن ناحية جوهرية أخرى، تؤكّد ترجمات هولدرلين، لا سيما المسرحيتان التراجيديتان لـ «سوفوكليس»، هذه الحقيقة؛ إذ نجد فيها الانسجام بين اللغات عميقاً لدرجة أن

المعنى يلمس لمساً من قبل اللغة كما تلامس الريح أوتار القيثارة. إن ترجمات هولدرلين نموذج أصيل لشكلها، فهي تقف أيضاً من الترجمات المكتملة لنصوصها الأصلية وقفة النموذج الأصلي أمام مثال النموذجي، مثلما تظهر المقارنة بين ترجمتي هولدرلين وبورشارت^٣ Borchardt لقصيدة بندار Pindar «البينة» الثالثة. ولهذا السبب بالذات يكمن فيها، قبل غيرها، الخطر الأوّلي الكبير للترجمات جميعها: وهو أن أبواب أي لغة مهما بلغت سمعتها والتمكن منها ستطّبق وتستجمل للترجم رهيبة الصمت. كانت ترجمات سوفوكليس هي آخر إنجازات هولدرلين، وكان المعنى فيها يتردى من هوة إلى أخرى، حتى يوشك أن يتبدد في أعماق لغة لا قرار لها، بيد أن هناك مستقراً ما. وليس هناك نصّ يتضمن هذا المستقر، باستثناء النصّ المقدس الذي كفّ عن أن يكون الحدّ الفاصل بين اللغة المتدفقة والوحي المتدفق، وحيثما يتمي النصّ إلى حرية اللغة الحقيقية أو إلى الحقيقة نفسها أو إلى العبرة مباشرة، وبدون معنى بسيط، فإنه سيكون قابلاً للترجمة تماماً. وذلك ليس لأجل النصّ في الواقع، إنما لأجل اللغات وحدها. والترجمة تطالب هذا النصّ بقدر لا محدود من اليقين، بحيث أن اللغة والوحي يتحدان فيه من خلال الحرفية والحرية على شكل ترجمة ما بين السطور. فالنصوص العظيمة بمجمليها، وبالأخص النصوص المقدمة، تحثوي إلى حدّ ما على ترجمتها الفعلية بين السطور؛ وأن ترجمة ما بين سطور النصّ المقدس تمثّل النموذج الأوّل أو المثال لكلّ ترجمة.

(١) غوستاف فستر (١٨٠١ - ١٨٨٧): استاذ فيزياء وعلوم طبيعية وعالم نفس ألماني؛ مؤسس «المذهب التبريري لفسلفة الحواس» الذي ينظر إلى العالم باختياره مكوّناتاً روحياً.

(٢) رودولف بانفستس (١٨٨١ - ١٩٦٩): فيلسوف وعالم اجتماع ألماني سعى إلى تجديد الإنسان الأوروبي تجديداً كلياً والتغلب على الأزمة الثقافية.

(٣) رودولف بورشارت (١٨٧٧ - ١٩٤٥): شاعر وكاتب ومترجم ألماني يعدّ من الكتّاب المحافظين، منّع من النشر في ألمانيا إبان الحكم النازي.

المصدر: Walter Benjamin, Illuminationen,

Suhrkamp Verlag, Frankfurt/Main 1977

* «تعد اللغات غير كاملة، حيث يوجد منها الكثير ونقص أغلبها. وحيث أن الفكر - بلا حس أو أية إضافات أخرى - مثل كلمات خالدة، يمنع تنوع اللغات على الأرض أي شخص من أن يعطى بالكلمات التي يمكن لها فيما عدا ذلك أن تمثل الحقيقة نفسها تقريباً». ترجمة لنص مالارميه عن الألمانية. النص مأخوذ عن عمل مالارميه بعنوان: «أزمة الشعر».

ترجمة: حسين الوززاني

الرقص على الحبل الغربي - الشرقي

صعوبات التعريف بالأدب العربي في ألمانيا

في سياق التبادل الثقافي بين الشعوب يحظى التعرف على الآداب الأجنبية بأولوية متميزة، لا سيما وأنه قليل الكلفة، نسبياً، وقادر على الاتصال بأناس كثيرين. بالإضافة إلى هذا، فإنه يشكل قناة متميزة للتعرض على الثقافة الأخرى. فالأدب بكاد أن يعطي الجواب الشافي على كافة الأسئلة المتعلقة بمامية المسائل المهيمنة على تفكير وأحاسيس البشر أو الشعوب، وخاصة بالطريقة التي يفكرون بها وهم يواجهون هذه المسائل، أو الدائرة حول التراث الذي يخنزون في ذاكرتهم ويرجعون إليه في حياتهم العامة. علاوة على هذا كله، فمن خلال الأدب تستطيع الثقافة الأخرى أن تبهر عن نفسها من خلال نتاجها الذي سكبت فيه روحها وليس من خلال طرق ملتوية تمر عبر نظريات العلماء وتقديرات الخبراء.

إلا أن الأدب لا يسهل بين الثقافات المختلفة بفعل قوة دفع ذاتية، لا سيما حينما يضاهي عمق الخندق الفاصل بين هذه الثقافات عمق البحر الأبيض المتوسط. من هنا فإن الأدب بحاجة إلى رابطة ومرشدين ووسطاء. وبالنسبة للتبادل القائم بين الأدبين العربي والألماني ينطوي أداء هذه المهام على حرج لا يقل عن الحرج الذي يخيم على الساعي بالرسائل، فهو يعمل، من حين لآخر، ودر ما يرد في هذه الرسائل من أخبار غير مسارة. وفي الحالات العامة، يتم التعرف بالأدب الآخر من خلال سوق الكتاب القائمة على مبادئ الربح والخسارة. إلا أن هذه السوق لا تلوح بمنافع مالية كبيرة فحسب، بل هي تنطوي على قوانين توجيهية تنظيمية، قد تثير التلذذ والاستياء في بعض الأحيان. ومع هذا، فإنها تظل تتصف بجزء لا يستهان بها أبداً، ذلك أنها لا تسير على هدى أيديولوجية معينة، ولا تتحاذر إلى تقسيمات ذاتية، بل هي تستعين بمجيار موضوعي ممكن القياس كمياً: الربح الاقتصادي.

إن هذه القوانين التوجيهية التنظيمية تلغى في عملية تعريف الناطقين بالألمانية بالأدب العربي أو في سياق تعريف الناطقين بالعربية بالأدب الألماني. فالعبء المالي الناجم عن تشجيع نشر الأدب الآخر - وهو عبء يفترض أن تتحمله مؤسسات القطاع الخاص، أممي دور النشر والترجمين - في الحالات العامة - تتحمله حالياً الموازنة الحكومية. وفي الواقع، لن تكون السوق قادرة على تحمل هذا العبء المالي

في المستقبل المنظور أيضاً، من ناحية أخرى، تقع مهمة التعرف الفعلية بالأدب الآخر على عاتق بضعة أفراد يؤدون مهمتهم بحماسة واندفاع ويكسبون رزقهم باعتبارهم مترجمين أو صحفيين أو مشرفين على اختيار وإعداد المادة الأدبية المراد نشرها. ويجدر بنا أن نزه هاهنا، بأن الأجر الذي يحصلون عليه، لا يعوضهم، عملياً، عما يبذلون من جهود بأي حال من الأحوال. إن هؤلاء الأفراد الذين يرون في مهمتهم وظيفة شرفية يخدمون فيها الأدب، سيظلهم المرء، بلا ريب، إذا اتهمهم بأنهم يؤدون مهمتهم بنحو تعسفي وبطريقة تحمكية. ولا يمنع هذا، طبعاً، من أن تبدو لنا نتائج أفعالهم بطابع تعسفي تحمكي. فكما هو الحال في مجالات الحياة الأخرى، تتأثر هذه المهنة أيضاً بعوامل من قبيل الصدفة والميول الشخصية والأصل الذي انحدر منه المرء وسعة علومه وعمق مداركه. ولكن، وبفضل العدد الكبير للناشطين في مجال التعرف بالأدب الآخر وبسبب المنافسة الشديدة القائمة بين المترجمين والناشرين ومن سواهم من العاملين في هذا المجال، ونتيجة لعملية الانتقاء التي تقوم بها القرى العاملة في اقتصاد السوق، تفرز هذه العوامل الذاتية، عادة، وسطاً حسابياً لا يعكس ميولاً شخصية لفرد معين أو لمجموعة معينة من الأفراد، بل يعكس متوسط الميول الشخصية لأفراد كثيري العدد، أي أنها تفرز قيمة موضوعية الطابع إلى حد كبير. إلا أن هذا لا يمنع، طبعاً، من أن يحمل ما يسجري تسويق في ألمانيا، حالياً، على أنه أدب عربي، بصمات أصابع أفراد يجاهدون فرادى في جبهة التعرف بالأدب الآخر.

وهذه الحقيقة ذاتها، ما كان يمكن أن تكون لها أهمية كبيرة، لو لم تسم العلاقات بين العالم الغربي من ناحية، والعالم الإسلامي من ناحية أخرى، وبين الثقافة العربية في هذا الجانب، والثقافة المسيحية - الأوروبية في الجانب الآخر، بالتوتر والبهوم الثقيلة. بناءً على الظروف السائدة في يومنا الراهن، يعمل الراسيون في التعرف بالأدب الآخر في قلب المحيط الذي تنعكس عليه التوترات السائدة بين الثقافات المختلفة. ويحاول هؤلاء بشيء من الحظ ويقدر من الكفاءة أن يوجهوا الطاقات الهائلة لتصب في قنوات بناءة. إلا أن هذا لا يمنع، طبعاً، من أن يكون هؤلاء، من حين لآخر وبسر وبلا ترو، ضحية هذه الطاقات الهائلة.

المقرر أن تُنشر بعضُ قصائدهم ضمن المؤلف المذكور، إلا أنها، ولأسباب تتعلق بحجم الكتاب، لم تنشر ضمن القصائد المخشاة. وبفعل هذا العمل الاضطرابي تحولت بعض العلاقات الودية إلى قطيعة، لا بل إلى خصام وعداء حقاً وحقيقاً. وإلى جانب اتهامات أخرى، كان هناك من يتهم ناشر هذه المختارات بأنه يسيء، عن قصد وسبق إصرار، إلى تشويه صورة الشعر العربي والإساءة إلى العرب (علماً بأن هذا الاتهام كان قد جاء على لسان شاعرة لم تؤخذ بنظر الاعتبار في المختارات، وإن كانت قد توقعت ذلك). كما وظهرت إلى حيز الوجود حساسيات وطنية. فعلى سبيل المثال اشتكى أديب مصري متقدم في العمر لم تُنشر قصائده ضمن المختارات، من أن مصر لم تمثل في المختارات بالحجم الذي يناسب مكانتها الأدبية وأن بعض الشعراء المخشاة قصائدهم لا يزالون شبابه لم يتوافروا، بعد، على التجارب التي تؤهلهم لمثل هذه المختارات. حقاً بوسع المرء أن يرى في هذا التفتد اتصهاراً لصلحية أثنائية وتفتيساً عن بواعث ذاتية في أغلب الأحيان؛ إلا أن هذا لا يجرده، طبعاً، من الموضوعية بالكامل. ومع هذا، فلا مراد في أن المختارات ما كان يمكن لها أن تتخذ هيئة أخرى غير الهيئة التي ظهرت بها. فالمحدود التي وضعها الناشر بشأن حجم الكتاب أحبطت كل المحاولات التي كانت تسعى إلى إعطاء صورة صادقة وسعيرة تعبيراً دقيقاً عن الشعر العربي وليس إلى انتقاء موضوعي للمثال المبرر فقط. وعلى المرء أن يتفهم موقف الناشر أيضاً، فهو يخضع لما تخليه عليه المناحي الاقتصادية بلا ريب. وهكذا، ومهما كانت درجة صواب النقد وشرعيته، فإن الأمر الواضح هو أن هذا النقد، مثله في ذلك مثل الأسئلة التي طُرحت في معهد فوته بالقاهرة، يتجاهل كلية المشكل الفعلي الذي يدور حوله الموضوع. ويجدر بنا أن نؤكد بأن غالبية الأدباء غير المعنيين بالمختارات على نحو مباشر قد اقتنعوا برأينا ووقفوا إلى جانبنا. أما الآخرين فقد اتهموا معد المختارات بأنه يفسر في داخله نوايا سياسية ويعبر عن طموحات ترمي إلى تعزيز هيمنة الثقافة الغربية. ومن القاد من لم يذهب إلى هذا المدى، بل اكتفى بالقول بأن المختارات دليل على عجز ابن الغرب عن فهم الثقافة العربية. ومن هذا كله يتبين لنا بجلالة أن بوسع المرء أن يبذل ما يشاء من النوايا الحسنة، إلا أن الأجواء الحسبية بالشكوك والريب لا يمكن أن تلد إلا الشبهات والظنون. وفي وسط هذه الأجواء وبين هذه الجبهات يقف الساعون إلى التعريف بالأدب الآخر مرة معززين مكرمين، كما لو كانوا أبطالاً، ومرة، وفي الحالات العامة، متعنين معطين، كما لو كانوا كيش فداء. ومن الممكن، للوهلة الأولى على أدنى تقدير، أن يحاول المرء حل للمشكل القائم من خلال زيادة عدد الأعمال المترجمة

ويتمكن التدليل على هذا، من خلال شواهد تخطر على البال يسر وينحو سريع. فالحجيز بشؤون الإسلام هارتوت فندريش Hartmut Fändrich، على سبيل المثال، يتمتع في المقام الأول، الترجمة، لكنه يقوم، في الوقت نفسه، بتقديم خدماته الاستشارية إلى دار نشر لينوس Lenos، وفي المشاركة باللجنة التي تختار المؤلفات الصالحة للنشر ضمن سلسلة الكتب المسماة «ذاكرة المتوسط» والتي تحصل على دعم مالي من المؤسسة الأوروبية للثقافة في أمستردام. وكانت هذه السلسلة قد نشرت العديد من السير الذاتية لكتاب عرب. ويستحق هذا الرجل، الذي يعمل في هذا المجال منذ ما يقرب من ربع قرن، الشكر والتقدير وذلك لأنه قدم إلى القراء الناطقين بالألمانية (سواء من خلال ترجماته، أو من خلال مراجعاته وإرشاداته أو في سياق عمله في اللجنة المذكورة) حوالي ٣٠ إلى ٤٠ بالمائة من مجمل المؤلفات الأدبية المترجمة عن العربية. وبالنسبة للمؤلفين العرب يحظى فندريش بأهمية متميزة فريدة، فهو أهم شخص تحرير يديه مؤلفاتهم المزمع نشرها في ألمانيا. ولكن، وللأسبب ذاته، أسس فندريش هدفاً يصعب عليه المؤلفون جام غضبيهم، اعتقاداً منهم بأنهم قد غُبنوا في سياق عملية التحكيم أو تم تناسيهم بلا حق. فبالنسبة لغالبية الكتاب العرب بشكل نشر مؤلفاتهم في لغة غريبة نجاحاً كبيراً. من هنا، فكل قرار تتخذه جهة معينة في العالم الغربي لصالح كاتب معين يجر وراءه، على نحو حتمي، نقداً لا نهاية له، نقداً ينصب، دائماً وأبداً وفي المقام الأول على الشخص الذي عهدت إليه مهمة التعريف بالأدب الآخر. وفي سياق إحدى السندوات التي نظمها معهد غوته في القاهرة حول التبادل الثقافي الألماني - العربي كان أحد الأسئلة المطروحة يدور حول الشرعية التي تجيز لوسطاء ومحكمين غربيين قلة العدد أن يقرروا، فرادى، الصورة والقيمة اللتين يتجلى بهما الأدب العربي (وبذلك صورة وسمعة الثقافة العربية ككل) في الغرب؟ فهل يتوافر هؤلاء على المكانة العلمية الضرورية للاعتقاد على نحو موضوعي؟ وما هي الاتجاهات السياسية التي يتلونها؟ وما هي الميول الشخصية التي تشوب تقييمهم وتشوه تحكيمهم؟ ولا ريب في مشروعية طرح هذه الأسئلة. إلا أن الأمر الواضح أيضاً هو أن هذه الأسئلة تتجاهل لب الموضوع. فلو لا هؤلاء الوسطاء والمحكمون المعدودون، الساهرون على التعريف بالأدب الآخر انطلاقاً من القيود التي يخضعون لها (اضطراباً)، لما كان هناك أدب عربي في لغات الغرب أصلاً.

وحيثما نشر كاتب هذه المقالة في سنة ٢٠٠٠ مؤلفاً يضم مختارات من الشعر العربي، تعين عليه أن يلمس عن كتب عمق الغم الذي انتاب العديد من الشعراء الذين كان من

إن عدم وجود سوق للكتاب تفي بالمتطلبات الضرورية، وضآلة عدد القراء للجدلين وعدم وجود الأطر الضرورية للمعاملين في الحقل الثقافي، تقع مسؤوليته على عاتق الحالة الاقتصادية والسياسية المزرية في العالم العربي وليس على عاتق الثمين المتدني للشعر، هنا أو هناك (علماً بأن المعنيين هناك، أي في العالم العربي، غالباً ما يميلون إلى تضييق أهمية الشعر). فهذه الظروف المزرية لا ترك بصماتها على الصورة التي يتجلى بها الشعر العربي في العالم الغربي فحسب، بل هي تترك بصماتها على الشعر ذاته، فبسبب هذه الظروف المزرية على وجه الخصوص لم يعد الشعر العربي يتمتع بذلك الرقي الذي من المفروض أن يتمتع به انطلاقاً من تراثه العريق وإمكانات شعرائه على المعطاء والإبداع. بهذا المعنى فالثقافة العربية لا تعاني من عدم إدراك الغرب لقيمته، بل تعاني من حقيقة أنها لم تعط قواها الذاتية القدرة على التفتح والازدهار. إنها إذن لا تعاني من ضعف في عرض صورتها وحقيقتها فقط، بل تعاني من عيوب ذاتية لا يستهان بها، وتعمق إمكانية عرضها على نحو إيجابي.

إن إسباغ صفات تبالغ في قيمة المادة التي يريد المرء التعرف بها (تماماً كما هو الحال في العالم العربي، حيث نلاحظ، وبالرغم من وجود عرب يتقنون الثقافة العربية المعاصرة، أن هناك عدداً كبيراً من العرب يبالغ في أهمية هذه الثقافة في أغلب الأحيان)، نعم إن إسباغ هذه الصفات يمكن أن يغري المرء في تعريف القارئ الغربي بخصائص تمد في واقع الحال مثالب لا محاسن - ولا مرء في أن المرء سيبيء بهذا الصنيع إلى سمعة الموضوع الذي أراد أن يسدي إليه الخدمة والفتح. ولهذا السبب ينطوي ما بدا حلاً ناجحاً للمشاكل التي تعاني منها محاولات التعريف بالأدب الآخر، أعني مضاعفة النشاطات المبذولة في هذا الشأن، على مزالق لا يستهان بها. فمن يريد التعريف بالأدب الآخر لا ينبغي به أن يلم بمادته إلى أقصى قدر ممكن فحسب، بل ينبغي به أيضاً أن يتيقن تقيمه للحدود التي تحد من مساهمته على أسس حقيقية ومعطيات واقعية. ففي ظل الصراع الدائر بين الشرق والغرب، فإن التعريف بالأدب الآخر ليس بحاجة إلى راقص غارق في أحلامه، بل هو بحاجة إلى راقص يجيد الرقص على الحبال، أي أن حاجته إلى البهلوان أكبر من حاجته إلى الفنان. وكلما أدرك المرء هذه الحقيقة ينحس أسرع، كان أقل تعرضاً لأن يفتن من خمرة التبادل الثقافي، الذي أمسى على كل لسان خاصة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، فيرى نفسه في خنق واحد مع من لا جامع يجمعه به.

ترجمة: علنان عباس علي

والمشورة إلى أضعاف ما هو متحقق حالياً. ومن هذا المنظر، فإنه لا مبرر يستحق الثناء والإطراء فضلاً أن يتزامن نشر المختارات، المذكورة آنفاً، مع نشر مؤلف ثان يضم متجنّبات شعرية أخرى تصب في الاتجاه نفسه وتتناول الموضوع ذاته، وإن كان المؤلف الثاني قد صمّم تصميماً مختلفاً كلياً وسهر على إعلاؤه وإصداره. أدب عربي. وليس ثمة شك في أن كلا المجموعتين تخضعان إلى حدود وصعوبات ما كان يمكن تخطيها، إلا أنهما، مع هذا، يرسمان، إذا ما أخذنا سوية، صورة معبرة، إلى حد ما، للموضوع الذي يدورن حوله: الشعر العربي الحديث.

وكان الاهتمام الذي أبداه الجمهور العربي حيال كلا المجموعتين من المتجنّبات الشعرية قد فاق اهتمام الجمهور الناطق بالألمانية بكثير. فقد نشرت الصحف العربية عشرات المقالات النقدية عنها؛ هذا في حين يكاد أن يكون عدد المقالات المنشورة بهذا الخصوص هنا أقل من أصابع اليد الواحدة. فحتى المستشرقون وحشاق الشعر، ليس بينهم سوى قلة قليلة فقط تدفعها ميولها، الخاصة جداً، إلى قراءة الشعر العربي الباعث في الأسواق بعد أحداث الحادي العشرة بشأن الكتب الباعثة في الأسواق بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر انطباعاً من وضآلة الرغبة التي يضرها جمهور القراء لما نحن في صدد الحديث عنه. فتي حين اندرج القرآن الكريم ضمن قائمة أكثر الكتب المباعة، نرى أن الطلب على المتجنّبات الشعرية ما فتئ عند مستواه المتدني بلا تغير أبداً. وإذا كان العرب يرون في الشعر المادة الأساسية التي يقدمونها حالياً إلى الأدب العالمي، إلا أن الرأي العام الغربي يشك في أن يكون هذا النوع الأدبي قادراً على تمثيل الثقافة العربية على نحو مناسب ومبهر. إنه، أعني الجمهور الغربي، يفضل الركون إلى ما هو أكثر كفاءة وأدق صورة في تجسيد الثقافة العربية: الدين. من هنا فقد جانت يوتنجم سارتوريوس Joachim Sartorius وأمل الجبوري، عضوا هيئة تحرير "ديوان - مجلة للشعر العربي والألماني" الحقيقية حينما اعتقدا بأن "الرحلة الاستكشافية بصيغة الحوار الشعري ... هي هدف هذه للجنة. وسيبت الحوار، الذي سينتدج على صفحاتها، بأنه أكثر جدوى وأهم نفعاً في المنظور الطويل من الحوارات السياسية والاقتصادية التي تلقىها المصالحح". ولا ريب في أن هذا مطمح نبيل، إلا أن تحققه يظل، مع هذا، في علم الغيب. ففي الأمد الطويل لن تضيي الثقافة على الشكوك والريب، بل سيضيي عليها الاقتصاد والسياسة، وذلك لأنهما، أعني الاقتصاد والسياسة، هما العنصران اللذان تسببا في فروق هذه الشكوك. بهذا المعنى، فالثقافة ليست سوى الساحة التي تتنازع عليها الاتجاهات المختلفة، إنها الصفحات التي تلون عليها هذه الشكوك لا غير.

عبور النص إلى الضفة الأخرى

مهنة بين جانبيين: المطرقة والسندان

عصر الرومانسية الألمانية الخالد الذكر، فالواقع الذي لا خلاف عليه، هو أن لكل عصر من عصور الترجمة خصائصه الفريدة. ففي بغداد كلفت الطبقة، التي آلت إليها، آنذاك، المهيمنة على مقدرات المجتمع، بعض المترجمين بنقل مؤلفات «السكان المحليين» إلى لغة الفاتحين، أي إلى العربية؛ أعني أنها كلفتهم بترجمتها عن لغات ما كانت هذه الطبقة ترى أن ثمة ضرورة تحتم عليها تعلمها. من ناحية أخرى، وعلى درب الجيوش التي استرجعت أسبانيا من يد العرب، حضر إلى طليطلة رجال شغفوا بالمطرفة وحب الإطلاع. فحينما كانوا يقيمون في ديارهم (أعني في فرنسا وألمانيا وإنجلترا) كان قد وصل إلى سمعهم أن يوسعمهم أن يحصلوا من هناك، من الأندلس، على معارف عظيمة. وشكلت المعارف التي استقما هؤلاء الرجال من هناك المادة التي راحوا يدرسونها في جامعاتهم المؤسسة حديثاً. أما في العصر الروماني فقد دفع التطلع للفردوس المفقود وللحياة الوديعه الهادئة العديد من الكتاب إلى الاهتمام بماضي العالم الشرقي وبما لدى هذا العالم من حكمة وتراحم إنساني وقدره على التنخيل.

وإذا أردنا أن نقارن بين وضعنا الحاضر والوضع الذي ساد في تلك الحقب والعصور فلا مراء في أن ثمة شاسع عريض بين الوضعين. ففسدت النهر أمستأ على هيئة مختلفة على نحو واضح وجلي. ففي منظور الجانب الغربي لم تعد العربية الضفة التي يلدهب إليها المرء قصد الحصول على شيء يفتقله. فعدم الاكتراث بما في العالم العربي يساعد، في أفضل الحالات، على الإبقاء على القوالب الحسنة والمتخيلة التي سيطرت على منظور الرومانسيين لهذا العالم؛ أما في أسوأ الحالات، فإنه يسمح للغرب بإعادة اهتمامه صوب «طبيعة وفحوى المشاكل» التي تحدثنا عنها وسائل الإعلام الداعية للحشرك بنية حل هذه المشاكل أو المطالبة بالمجابهة وجهاً لوجه. ومعنى هذا هو أن الطلب على الترجمات ضئيل جداً؛ وبالتالي فستظل المعرفة بشؤون العالم العربي مترواحمة بطيئة الحال.

ولكن، ومهما كان الحال، ففي الضفة العربية هناك اعتقاد، محق بلا ريب، مفاده أنه ينبغي ترجمة ما تجود به قريحة الثقافة العربية إلى اللغات الأخرى وذلك لأن هذه الترجمة

حسب ما يبدو لي، هناك صورتان تعبران على أفضل نحو عن النشاطات التي يقوم بها المترجمون والترجمات، أعني صورة النهر وضفتيه وصورة المطرقة والسندان والتورط في السقوط فيما بينهما. والصورة الاستعارية المستقاة من النهر لا تنطوي على معاني جميلة فحسب، بل هي تعبر عن معنى متداول أيضاً؛ ففوق هذه الصورة يعبر المترجم النهر، إما بصفتة معداوي يقود قارباً، أو على قدميه حاملاً على كتفيه عباءة الثمين، عيبه النص الذي يزعج ترجمته، كما لو كان كريستوفوروس Christophorus، ولا مراء في أن الصورة الاستعارية المستقاة من المطرقة والسندان أقل حسناً وظرفاً، ذلك لأن عمل المطرقة والسندان يوحي باستخدام شيء من العنف والوحشية.

لأن الصورة الوديعه للنهر تخفي، أيضاً، مظاهر رافقة خادعة، أضف إلى هذا أنها غالباً ما تُدرك على نحو ساذج وبلا إحاطة بالوقائع التاريخية، في سياق السؤال المتعلق بالكيفية التي تم فيها الانتقال عبر النهر. ولا مراء في أن هذه الصورة لا تنصح عما هو مطلوب، ذلك لأن الإجابة على السؤال المطروح يجب أن تنطوي على معلومات بشأن الإجراءات أو الأساليب المتعلقة بالترجمة. وفي سياق النقاش الدائر في يومنا الراهن بشأن التبادل الثقافي أو الحوار بين الثقافات يبدو لي أن الصورة المستعارة من النهر تنطوي على سؤال أكثر أهمية، أعني أنها تنطوي على سؤال يدور حول طبيعة ضفتي النهر. فالسؤال عن مصدر النص الذي سيترجم وعن اللغة التي سيتبل إليها هذا النص وملامح الجانب الذي صدر عنه النص وخصائص الجانب المنقول إليه النص، يفصح، في الواقع، عن الهوية السائلة بين الثقافات المختلفة وعن التبعية الثقافية ووصاية ثقافة على الأخرى وعما سوى ذلك من أمور أخرى كثيرة.

وسواء نظرنا من وجهة النظر الألمانية أو العربية في سياق تقييمنا لواقع الترجمة من العربية إلى الألمانية، السائلة حالياً، فلا مراء في أن لا فائدة كبيرة من حملنا بما قدمته بغداد من جهود عظيمة في القرنين التاسع والعاشر في سياق نقل المؤلفات الأجنبية إلى العربية، أو بما قامت به طليطلة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من ترجمات عليمه إلى اللاتينية؛ كما لا نفع من العودة بالذاكرة إلى

نسبياً. وفي هذا السياق هناك ورطة أخرى تدفع المترجم لأن يسقط بين طرفي المطرقة والسندان. فالكثير من المؤلفات المزمع ترجمتها يجري اختيارها من قبل المترجم نفسه، أي أنه هو الذي يفتش عنها، وهو الذي يقرؤها، وهو الذي ينصح بترجمتها. وليس ثمة خلاف على أن هذا الجهد عمل إضافي لا يكافأ مادياً، عمل تقوم به في محيط اللغات الغريبة إما دار النشر أو السماسرة والوكلاء. ناهيك عن الحديث عن المهام الأخرى المقدمة بلا مكافأة مادية.

وحيثما يبدأ المترجم بأداء عمله الفعلي، أعني حينما يبدأ بترجمة النص الذي يزمع نقله، فعلاً، إلى اللغة الأخرى، فإنه يسقط في هذا السياق أيضاً بين المطرقة والسندان: المطرقة ممثلة باللغة التي سيتقل النص الأصلي عنها والسندان متجسداً من خلال اللغة التي سيتقل النص إليها. فهنا على المترجم أن يراعي فعلاً الكيفية التي "سيسوغ" وفقها النص الراغب بترجمته، أو وباعتبار أكثر دقة، عليه أن يكتشف الأسلوب المناسب لصياغة النص المعني باللغة المزمع ترجمته إليها. وهنا تنطبق الدُعاية التي يمزج بها البعض في نوادي الهزار والتفكك، أعني القول بأن المترجم قد غدا هو الخائن بعينه؛ وحتى وإن لم يكن الأمر على هذا النحو حقاً وحقيقاً، إلا أن من حق المرء أن يطرح، على أدنى تقدير، السؤال من أمانة المترجم. فمن هنا يبدأ العمل الفعلي الذي يقوم به المترجم عادة، فالأمانة في الترجمة هي القاسم المشترك بين كافة الزميلات والزملاء، فهي تربط بعضهم إلى البعض الآخر بغض النظر عن اللغة التي يترجمون عنها واللغة التي يتقنون النص المعني إليها.

ولكن، ما عسى أن يفعل المترجم إذا كانت لدى لغة النص الأصلي ستة أو سبعة وربما ثمانية أسماء مترادفة للصبراء واللغة المنقول إليها النص لا تتوافر إلا على اسم واحد لا غير للصبراء؟ وما بقدرتنا أن نفعله حيال الملابس والمواد الغذائية، والصور الاستعارية والرموز أو استلهاهم بعض نصوص الأدب العربي الجاهلي؟ وهل سيكون بمستطاع الجميع الوقوف على أن كلمة «بومة» تطوي، أيضاً، على المعنى الذي تطوي عليه الكلمة الألمانية المستخدمة للغراب وأنها ترمز بالتالي، أعني كلمة بومة، إلى غراب البين أيضاً؟ في هذا السياق تغدو الأسئلة المطروحة أكثر تركيزاً، فهي تتمحور هنا حول أمور تقنية-لغوية وأسلوبية بحيث يتعين بالمترجمين والمترجمات مناقشتها. إن هذه الأمور التقنية اللغوية والأسلوبية البحتة يواجهها الجميع. فالأمر يدور هنا حول العلاقة القائمة بين لغات مختلفة الجذور. ولا مراء في أن هذا السؤال ينطوي على معان سياسية عظيمة. من هنا فإن المترجم يعمل في محيط سياسي معين بلا أدنى شك.

ترجمة: عثمان عباس علي

لا تقلل من القصور السائد في معرفة الثقافة العربية فحسب، بل هي قادرة على مد الجسور بين هذه الثقافة والثقافات الأخرى. وفي الجانب الآخر، أعني في الجانب الغربي، هناك، أيضاً، مَنْ يدعوا إلى ما يدعوا إليه المرء في الجانب العربي، إلا أن الملاحظ هو أن عدد أولئك الذين يعتقدون بأن الترجمات قادرة على خلق تقارب بين الثقافات، أدنى بكثير من عدد المؤمنين بذلك في الجانب العربي. ولا يسع المرء هنا إلا أن يتجنى تكافؤ وتماثل المصالح المشتركة القائمة بين كلا الضفتين لإثارة اهتمام الجانب الغربي بالأدب العربي على وجه الخصوص. ولكن، ما العمل، لا سيما وأن أولئك، الذي يتطلعون لأن يترجم أدبهم على نحو واسع وعريض، لا يقدمون يد المساعدة الضرورية، بل يفضلون التحصن خلف الشكاري والانتهازمات؟ نعم ما العمل، إذا كان الطرف العربي يشكو فقط ولا يحرك ساكناً؟

على ضوء هذه الحقائق يغدو المرء العادم على الترجمة، بالرغم من كل هذه المعوقات، كبش الفداء، أو، وإذا ما أردنا استخدام صورتنا الاستعارية أصلاً، سيفدو بين المطرقة والسندان. وما نقوله هنا هو في الواقع أول مراحل السقوط بين المطرقة والسندان: وقوع المترجم ضحية للمواقف غير المتصفة التي يواجهاها في الضفتين الغربية والشرقية؛ فالجانب العربي يعتبره مسؤولاً عن الإهمال الذي تواجهه الثقافة العربية في الغرب، والطرف الغربي يقابل جهده ونشاطه بالإشفاق والرائاء أو بالازدراء والاستهانة. وليس ثمة شك في أن وصفنا هذا يصير عن واقع الحال السائد بقدر تعلق الأمر بالترجمة من العربية. ويشكل الموقع الذي يحتله المترجم في سياق العلاقة القائمة بينه، من ناحية، وبين الكتاب والكاتبات والناشرين والناشرات، من ناحية أخرى، حالة خاصة جداً في العلاقة السائدة بين الثقافات. فهو لا يملأ، أيضاً، المطرقة والسندان اللذين يحطمان رأس المترجم بلا رحمة وهودة. كما وهناك تطلعات وأحلام الكتاب والكاتبات إلى أن يترجم أعمالهم إلى اللغات الأجنبية وذلك لأن هذه الترجمة هي طريقهم للخلاص من الحصار الذي تفرضه عليهم اللغة العربية. وفي الطرف المقابل هناك الرغبات، التي يليها الناشر، الرامية إلى حصولهم على مؤلف رائع ممتاز وعلى ترجمة فاخرة؛ علماً بأنهم يريدون أن يحصلوا على هذا كله بأدنى ثمن ممكن. ولا مراء في أن يوسع المرء أن يسهب في الحديث بشأن الموضوع المذكور أخيراً، على وجه الخصوص، فالترجمة ليست مهنة تضمن للمترجم مورداً مالياً معقولاً. ومعنى هذا هو أنه يستعين عليّ أن أمتهن مهناً أخرى أدمع بمورداه المالي ترجماتي من العربية إلى الألمانية! ويتعين تقديم هذا الدعم حتى وإن حصل المترجم على مكافأة مالية لا بأس بها

رحلة مترجمة

لماذا أحب الحياة مع نجيب محفوظ؟

فوق كلمة «نور» تحط ذبابة. أرحب بها، وأتهمك في الفرجة عليها. آنذاك، عندما بدأت دراسة اللغة العربية وآدابها، كنت فخوراً بمحاولاتي الأولى في الكتابة. لكن كل من يراها، كان يسخر من الخط العربي. كانوا يتهمون قائلين: يبدو مثل خراف الذباب.

الشديد، فلأعد تاريخ مصر القديمة. ولكن، ماذا؟ لقد في أحد مراجع تاريخ مصر القديمة. ونظم أبياتاً جديدة. هل كانت لديه مصادر أخرى؟ أم أنه نسج من لغة المؤرخين فناً روائياً؟ أجابه، أسب والن بصوت عالٍ - ثم أخضع لمشيته. الحياة مع محفوظ لا تعرف الملل. كثيراً ما يكون الحديث معه أثناء النهار، لا بل في أغلب الأحيان، هو الحديث الوحيد الذي أجريه بصوت مسموع. إن الوحدة التي يعيشها المترجم شبيهة بما يشعر به عداء المسافات الطويلة.

أحب الحياة في عالم نجيب محفوظ، ذلك العالم الذي يطلق عليه بعض النقاد وصف «صغير». لهذا أعشق. إنه يرفض السفر، ويهمل عما تقدمه إليه ثقافته، سواء في الماضي أو في الحاضر. أعماله المديدة المتنوعة تدل على أن النبع لا ينضب. لقد التزم خطاً معيناً من الحياة ولم يغيره، التزم رؤية معينة للعالم، واختار طريقاً محدداً في الإبداع، دون أن يفويه إبداعه كي يشرب بيديولوجيا ثابتة، ويجبر الآخرين على اعتناقها باعتبارها السبيل الوحيد في الفن والأخلاق والعقل. هذا الموقف ينم عن عظمة جذيرة بالإعجاب.

ما يؤكد استأذنية محفوظ وثقته بنفسه أنه - وبالرغم من اطلاعه الشامل على مختلف التيارات الفنية في الداخل والخارج - لا يهتم كثيراً عندما يسخر هذا الناقد أو ذاك من أساليب معينة في الكتابة، واصفاً إياها بأنها عتيقة قد تجاوزها الزمن. يقول محفوظ إنه كتب بأسلوب واقعي في وقت كان يُقرأ نمي الواقعية في الأدب. وأن الأدب العالمي الحديث لم ينصرف إلى تيسار الوعي والملاوي والسورالية إلا بعد أن أبدع مشات الأعمال التي تصور الواقع. ما يصوره في رواياته - يقول محفوظ - لم يلق قبله تسجيلاً واقعياً، لذا لم ير مغراً من اعتماد الواقعية أسلوباً.

منذ شهر وأنا أعيش في حضرة الملك حورمجب، والحكيم أي، وكبير كهنة الإله آمون؛ باختصار: لقد عدت إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة من أسر ملوك مصر الفرعونية. إنني أصارع مع الراوي، أي مع المؤلف، لإصدار حكم دقيق على إنسان، يلعبه البعض باعتباره مارقاً، ويحتفي به آخرون مصلحاً فريداً في تاريخ البشرية، بل وقائد ثورة غيرت مجرى التاريخ. هذا الإنسان هو إخناتون.

حتى مطلع هذا الصباح كنت لا أزال أعيش مع شهريار وشهرزاد، وكان يملكني الذهول مثل معروف الإسكافي الذي ادعى أنه يمتلك خاتم سليمان، ثم انقلبت إكليرته حقيقة، ورأى نفسه قادراً على الارتفاع إلى السماء. كما شعرت بالامانة مع دنيا زاد في محتتها وعصارها بعد فض بكارتها. وقبل ذلك ... يا الله، كم هو مُجهد نجيب محفوظ! إنه يتزعمني من عصر إلى عصر، ويحول «الآن» و «الماضي» و «الماضي السحيق» إلى «حاضر» أعيشه في هذه اللحظة. ليس هناك قارئ يتبع كاتباً عبر كل ما كتب، إلا فيما ندر؛ كما أن الفرصة لا تتاح أمام كل مترجم كي يقتحم عالم أديب وينقل أعماله كلها إلى لغة أخرى، كتاباً بعد الآخر. إنني أعيش مع نجيب محفوظ: هذا ما أستطيع قوله بعد كل هذه السنين، وبعد اثني عشرة رواية مترجمة وقصص عديدة لا تحصى.

ذات أربعماء في شهر أغسطس/ آب. إخناتون يتخني بأحد أناشيده. على صدر برلين تجمّع حرارة خائفة. الصحافة الصفراء تكتب بعناوين كبيرة: "برلين أشد حرارة من القاهرة". المنزل يهتز، فاعمال الحفر والبناء التي غزت برلين كلها وصلت إلى شوارعنا أيضاً. الضجيج لا يحتمل. أحاول ترجمة بيت من الشئيد:

نضئ الأرض بنورك
فنتجلي عنها الظلمت

لا بد أن أحرص احتراساً شديداً. لا بد أن تتعد لغة الشئيد، وكذلك اللغات والبركات وكافة الصور البلاغية، ابتعاداً واضحاً عن لغة الكتاب المقدس، فحين ماؤلنا في عام ١٣٥٠ قبل ميلاد المسيح. إذاً علي الحذر من كلمات مثل: «المجسيم» و «الني»، أو من نداءات مثل: «إلهي»، التي كان يستخدمها يسوع المسيح.

ليس دائماً، ولكن في معظم الأحيان، يحصر محفوظ اختياره للمكان في أعماله على جزء صغير من مدينة القاهرة الواسعة الأرجاء. وهو اختيار أراه صائباً وذكياً، لأن ما يحدث في العالم الكبير يتغلغل في وقت ما إلى المدن الكبرى والصغرى، بل إلى كل قرية وكل حي سكني. لا شيء يظل بمعزل عن التغيرات، ولا إنسان يبقو بمأمن منها.

لعل منكم من شاهد فيلم «دخان Smoke». إحدى شخصيات الفيلم الرئيسية تعمل بائع دخان. طواك سنوات يقوم كل صباح، في تمام الثامنة، بالتقاط الصور الفوتوغرافية للجانب المقابل من الشارع. ذات يوم يقلب صديقه، الكاتب، في تلك الصور وقد استولى عليه السأم. «الصور هي هي، لا تتغير»، يقول مستاءً. فيجيبه البائع: «عليك أن تحسن النظر. الناس مختلفون، أو يبدو على هيئة مختلفة، ولكل منهم حكايته».

إن محفوظ يجب «الخارج» إلى داخل رواياته، وبهذا يخاطب شعور ملايين الناس الذين لا يشاركون في الأحداث إلا بطريقة غير مباشرة، إلا أن لكل منهم تاريخه وحكايته. لقد اترتب محفوظ منهم وتناول حياتهم بأشكال لا تحصى، وهو في ذلك يروح بالكثير عن نفسه وحياته هو كما يفعل كل أديب مجيد.

كلما قرأت وترجمت أعمال محفوظ، ترسخ لدي الانطباع بأنه من ناحية مصري حتى النخاع، ومن ناحية أخرى ليس مصرياً على الإطلاق. نعم، إن أسماء شخصوه تبدو غريبة على الأذن غير العربية، لكن الناس الذين يحكي محفوظ حكاياتهم موجودون في كل مكان. إن الأشواق والشكوك والأسئلة التي تترق كمال عبد الجواد في الثلاثية، وتزلزل كيانه، هي نفسها التي ترمي بالناس في برلين إلى هوة اليأس. في «السكرية» يقول لمحبيب محفوظ على لسان إحدى شخصياته إن الفن هو ما يمنح الكيان الإنساني إمكانية للتعبير. ومن مقومات الكيان الإنساني التي يتناولها محفوظ في أعماله: الظلم إلى المعرفة، والبحث عن الحقيقة، والتحرق إلى الشعور بالأمان، والتوتر الناجم عن الرغبة في الحياة والخوف منها.

من الجدير بالإعجاب أن نكتشف لدى محفوظ كيف أنه - في بحثه المستمر عن معنى الحياة - يسير بيراعة متوازناً فوق حبل يورجحه بين الهجة والكآبة. إن من يدع شخصية تعب من الملذات عباً، مثل السيد عبد الجواد في الثلاثية، لابد أن يكون كاتباً عاشقاً للحياة. إلا أننا نصادف في أعماله أيضاً الشكوك التي ترتب المرء أثناء الحياة، وما يصيبه من تعب وإنهاك وسأم. هذا الخط هو ما يربط أعمال محفوظ جميعها. في الجزء الثاني من الثلاثية، «قصر الشوق»، وقبل أن يتم كمال عبد الجواد التاسعة

عشرة، تلج عليه الهواجس المُلْعبَة عن الصيرورة والماضي: "وفكر فيما قبل الولادة، بل فيما قبل الحبل، في المجهول الذي تنبثق منه الحياة... عرف له بداية قرية دعها بالنطفة، فهو لم يكن قبل تسعة عشر عاماً وتسعة أشهر إلا نطفة، نطفة قذفت بها رغبة برينة في اللذة، أو حاجة ملحة إلى العزاء، أو صولة هياج بعثها سكرة غاب فيها الرشاد، أو حتى مجرد إحساس بالواجب نحو الزوجة القابعة في البيت، فابن أي حال من تلك الأحوال كان؟... ومن النطفة مرق حيوان فالتقى ببويضة في البوق وثقبها، ثم انزلنا إلى الرحم معاً، فتحولوا إلى علفة، فكسبت العلفة لحماً وعظماً، ثم خرجت إلى النور والالام بين يديها يسير، ثم بكت قبل أن تستين معلمها، ومضت الغرائز المودعة بها تنمو وتتلور، مستجدة على مر الأيام عقائد وآراء حتى اتخضت، وعشقت عشقاً رعمت لنفسها به نوعاً من الألوهية، ثم زلزلت فتهاوت عقائدها، وانقلبت أفكارها، وعاب قلبها، فردت إلى مكانة أذل من التي جاءت منها أول مرة!"

عندما كتب محفوظ هذه السطور كان في السادسة والأربعين من عمره، أي أنه كان في طور الشباب. وبعد حوالي ثلاثين عاماً كتب قصة بعنوان «السيد س» في مجموعة «التنظيم السري» (١٩٨٤)، وفيها تحدث عن رجل يحاول عبثاً أن يوقف داخله ذكرى الحياة المترعة التي سبقت ميلاده. بعد الرحم الذي لجأ إليه، جاء ما أطلق عليه الراوي خيانة وسلسلة من الإغرامات الحسادة - أي الحياة. إذ، الأمل الوحيد للتبقي هو الموت. وبالفعل يهرب بطل القصة من بدنه، متطلعاً إلى الحقيقة الحرة الطليقة. وبعد مرور عشر سنوات يتحدث الكاتب في «أصداء السيرة الذاتية» (١٩٩٤) بلا مواربة عن الخوف من الانطلاق نحو عالم آخر، عن المجهول الذي يكتنف تلك الرحلة المسماة بالحياة.

سحابة رقيقة من الكآبة، أو على الأقل من الأسى الشفيف، تظلل جل أعمال محفوظ. ليس محفوظ بالمحارب العنيد الذي يعرف تماماً ما هو عدل وما هو ظلم. محفوظ لم يتحكر الحقيقة يوماً، ولم يكن أبداً من أنصار التثوير الدوغمائي، كما أنه لا يرسم صوره بالأبيض والأسود. إنه يمتلك - ولله الحمد - قدراً محترماً من السخرية تجاه الذات، وقدراً من المرح، بل ومن التهكم. يستمتع المترجم، ولاشك، بترجمة عمل مثل «حضرة المحترم»؟ يستمتع وهو يحاول إيجاد مقابل للسخرية اللاذعة أو الخفيفة التي يرسم بها محفوظ شخصية عثمان بيومي. لكن تهكم محفوظ لا يتجاوز الحدود أبداً، ولا يشتم إطلاقاً بالبحث، ولهذا لا تتحول شخصوه في رواية ما إلى كاريكاتير. كم من مرة ابتسمت، واستمتعت - بلذة



نوب محفوظ

سارق - وأنا أعيد كتابة هذا الهمسوس البيروقراطي الذي تحكّم في «بطل» الرواية أثناء سنوات خدمته. ولكنني كنت أنفهم دوماً طموح هذا الرجل وسعيه إلى ارتقاء السلم الوظيفي. ليس هذا فحسب، بل إنني كنت أتعاطف مع هذه الشخصية المحزنة. كلا، ليس من عادة نجيب محفوظ أبداً أن يسخر من شخصه. إن تعاطفه مع الآخرين وتسامحه لا يسحان له أن يجرح إنساناً. محفوظ لا يدعي لنفسه العصمة من الخطأ، كما أنه يتمتع بنصيب كبير من السخرية تجاه الذات: هذا ما يجعلني أحب الحياة مع نجيب محفوظ.

نال نجيب محفوظ جائزة نوبل للآداب، واجهتني بعض المتاعب. آنذاك كانت ألمانيا الديمقراطية لا تزال على قيد الحياة، وكان من المحظور علينا، نحن الألمان الشرقيين، أن نعطي وسائل الإعلام الألمانية الغربية أية أحاديث صحفية، ناهيك أن نتجرأ أحد ويفعل ذلك بدون تصريح. ومع ذلك فقد فعلت المحظور، انطلاقاً من فرحتي العامة لحصول محفوظ على هذه الجائزة، واحتجاجاً على هذه الرصاصة الفكرية المهيبة. وواجهتني متاعب كبيرة. ولكي أجنبها، أددعت المرض لأربعة أسابيع.

على أية حال، لقد انقضى الأمر. والآن أعيش في عصر آخر، عصر إختاتون. إنني مستمتعة بالعيش في تلك الفترة. وعندما اجتازها، فإني أترقب بشغف إلى حياتي الجديدة التي سأبدأها مع نجيب محفوظ.

ترجمة: سمير جريس

هناك سبب آخر أود أن أضيفه. خلال السنوات المديدة التي قضيتها مع أعماله علمتي محفوظ تدريجياً ألا أخشى استخدام الكلمات الخطائية الكبيرة. لكل مترجم تكوينه وطبعه اللغوي، وأنا أنزع إلى السهوين والتقليل، لا إلى التضخيم والمبالغة. لذلك كانت ترجمة الجزء الثاني من الثلاثية، "قصر الشوق"، اختباراً طويلاً ومضنياً لي. وكان طريفاً أن لاحظ كيف أثارت غضبي الفقرات التأملية الطويلة التي لا تنتهي، ثم كيف وجدت نفسي أستمع بترجمتها. لقد أجبرني محفوظ على أن أطلق العنان لقلمي، وأن أسلّل إلى قلب وعقل كمال عبد الجواد وعقله. وفي لحظة ما ينتهش المرء لكل هذه الأشياء التي يختزنها في أعماق لاوعيه. بل إن المرء ليشعر بالسعادة لأنه يغدو لوقت ما إنساناً آخر.

لكن الحياة مع محفوظ تثير في بعض الأحيان المتاعب أيضاً. لا أريد التحدث عن الاجتهاد الواجب التحلي به، ولا عن الحصة اللازم ترجمتها يومياً، ما يتعارض في بعض الأحيان مع حياتي العائلية. أود أن أحكي في الختام واقعة أنظر إليها اليوم باعتبارها نادرة من النادر. عندما

تجربة وكالة «ألف» للترجمة

عائق لدى الناشرين حيال اللغة الفرنسية، ولكن الحال ليس كذلك بالنسبة للغة العربية. فضلاً عن الحاجز اللغوي توجد، حسب رأيي، مشكلة تواصل هيكيلية بين الناشرين العرب والناشرين الألمان. والسبب يعود إلى اختلافات تركيبيّة أساسية على الصعيد القانوني، فيما يتعلق بتخصيص حقوق الترجمة على كلا الجانبين.

في المعتاد لا تكون حقوق الترجمة في البلاد الناطقة بالألمانية لدى المؤلفين ولكن لدى دور النشر. ودور النشر لديها اهتمام تجاري بأن تنشط في بيع حقوق الترجمة وبالتالي عرضها على دور نشر أخرى لشرائها. أما منظومة دور النشر العربية فوضعها مغاير. فبغض النظر عن بعض الاستثناءات القليلة فإن حقوق الترجمة في الدول العربية ليست لدى دور النشر بل لدى المؤلفين ما يعني أنّ دور النشر غير مخولة ببيع حقوق الترجمة وليس لديها الاهتمام التجاري بذلك. ولهذا السبب فإن الناشرين العرب، على النقيض من زملائهم الأوروبيين لا يقدمون أنفسهم كممثلين لكتابهم، ولا يكادون يعملون من أجلهم. وقد لاحظت أن الناشرين العرب إما يظهرون في معارض الكتب مثل معرض فرانكفورت للكتاب كمشتريين فقط لا كبائعين.

إن أغلب الترجمات الألمانية للكتب العربية لا تتم من خلال عقود بين ناشر عربي وآخر ألماني، إنما من خلال عقود بين مؤلف عربي وناشر ألماني. وهنا يفرض السؤال نفسه كيف وبناء على أي مبادرة تتم هذه التعاقدات إذ أن المؤلفين في المعتاد ليسوا رجالاً يقومون بتقديم متجانتهم لأكثر قدر ممكن من المشتريين. إن الجزء الأكبر من الترجمات، التي ظهرت، كانت بناء على مبادرة من الجانب الألماني. وعملية الاتصال تمر في أغلب الأحيان من طريق عدد قليل من الأشخاص المهتمين بالأدب العربي أو من يتفشلون به مهنيّاً.

إن أكثر من يقوم بدور الوساطة بين المؤلفين العرب ودور النشر في البلدان الناطقة بالألمانية هم المترجمون، وإليهم يعود الفضل في دفع نشاط الترجمة إلى الامام، كونهم يقومون في رحلة بحث أدبية لما يمكن أن يثير اهتمام دور النشر الألمانية من المؤلفات العربية، فضلاً عن أنهم هم من يوفرون الاتصال بين المؤلف والناشر في أغلب الأحيان. لكن هذا النشاط يبقى محدوداً لأنه نشاط فردي وعشوائي أيضاً.

وبناء على خبرتي كمترجمة وإداركي لهذا العوائق التي ذكرتها نشأت لدي فكرة تأسيس «وكالة ألف» كحلقة وصل بين

الحقيقة المؤسسة التي ينبغي أن يشار إليها هنا هي أن حضور الأدب العربي في البلدان الناطقة بالألمانية (ألمانيا، النمسا، سويسرا) مازال ضعيفاً جداً. هذا الأمر توضحه الحقائق المؤلة التي صدرت عن مؤسسة تشجيع أدب أفريقيا وآسيا اللاتينية التابعة لمعرض فرانكفورت الدولي للكتاب. ففي أواخر عام ٢٠٠٣ بلغ عدد المؤلفات الأدبية الصادرة لكتاب عرب باللغة الألمانية ٤٧٦ كتاباً، أي أقل من ٥٠ في المئة من مجموع الكتب المتوفرة في سوق الكتاب في الدول الناطقة بالألمانية. وما يجدر ذكره على هذا الصعيد هو أن أغلب هذه الكتب ليست مترجمة عن العربية ولكن عن الفرنسية أو الانكليزية لكتاب عرب يكتبون بهاتين اللغتين. وجزء آخر من تلك الكتب منشور أصلاً باللغة الألمانية لكتاب من أصل عربي يقيمون في ألمانيا ويكتبون بالألمانية. وهكذا تبقى الكتب المترجمة عن العربية ١٧٠ كتاباً فقط. غير أن هذا العدد لا يشمل الطباعات الأولى فقط، بل يتضمن طبعات أعيد إصدارها لاحقاً وكذلك طبعات كتب الجيب. وبالتالي يتراوح مجموع الكتب المترجمة عن العربية إلى الألمانية بين عشرة إلى أربعة عشر كتاباً في السنة. وبناء على البيانات الموضحة لجد أن دور النشر التي تقوم بنشر ترجمات عن اللغة العربية قليلة جداً. فهناك علي وجه التحديد أربع دور متخصصة بالأدب العربي بذلت جهداً مشكوراً منذ الثمانينات وقدمت إسهاماً جوهرياً في هذا الصدد من بينها اثنتان ظلتا مستمرتين بالعمل لغاية اليوم.

ولا يرجع هذا الرصيد المتواضع للأدب العربي في سوق الكتاب الألماني إلى قلة الاهتمام بالأدب العربي نفسه بل لأسباب أخرى عديدة. فخلال زيارتي إلى معارض الكتب وعبر مناقشاتي مع الناشرين تبين لي أن هناك دور نشر كبيرة تبدي رغبة في نشر الأدب العربي للعاصر ولكن اللغة تشكل عائقاً رئيسياً. فمقدم برمجة الأدب العربي في هذه الدور يرجع في جزء كبير منه إلى كون الموظفين، في الأغلب، لا يتقنون العصرية مما يحد من اطلاعهم على الوضع الأدبي في العالم العربي وإمكانية اختيار الكتب المناسبة. وسبب آخر أن الحاجز اللغوي يشكل مشكلة جذوية إذا قارنا نشر وتوزيع الأدب العربي المكتوب بالفرنسية وترجمته إلى الألمانية مقارنة مع الأدب المكتوب باللغة العربية وترجمته للغة نفسها. فإن الأول يتفوق بحجم دور النشر وأهميتها وعدد النسخ المطبوعة وكمية التوزيع، وهذا عائد، بتصوري، لسبب لغوي. فلا

هذه الترجمة. ويحدد مبلغ الدعم من قبل لجنة مستقلة تجتمع ثلاث مرات في السنة.

الرسيد الذي عرضته عن وضع الأدب العربي في البلدان الناطقة بالألمانية مؤسف، خصوصاً، وأتينا نعيش في عصر العولمة وتداول الإنتاج المادي والثقافي على نطاق لم يعرفه العالم من قبل. وتقرض هذه العولمة وانتشاح للمجتمعات والثقافات على بعضها البعض تواصل في الكتابات والأفكار بين العالم العربي والغرب، خصوصاً، في ظل تردّي

المؤلفين العرب والناسخين الألمان للخروج من مأزق العزلة وتخطي الحواجز اللغوية والقانونية. وإذا كانت «وكالة ألف» تلعب دور الوسيط الذي يقوم به المترجم الفرد إلا أن نشاطها يختلف من حيث التكرس والمنهج، إذ أنها ليست نشاطاً فردياً، متقطعاً بل هي مؤسسة جديدة من نوعها تهدف إلى توسيع وتنسيق نشاطات الترجمة القائمة حتى الآن على المبادرات الفردية والمحصورة في الأغلب في دور نشر متواضعة الحجم. تقدم الوكالة أعمالاً أدبية عيزة لعدد كبير من دور النشر الألمانية من خلال ملفات تتضمن عرضاً للعمل الأدبي بالإضافة إلى معلومات خاصة بالمؤلف وفصل مترجم عن العمل المعني بهدف الوصول إلى جمهور أوسع من قراء اللغة الألمانية، فضلاً عن عزمها على إحداث تغيير نوعي في التعامل مع الأدب العربي الذي لم يتمكن حتى الآن أن يخرج من الحانة الشرقية التي حشر فيها وتوفير مكان له في رفوف الأدب العالمي.

وأخيراً أود أن أشير إلى صعوبة أساسية يواجهها الناشرون الألمان حيال نشر الأدب العربي. فنظراً إلى أن الطلب على قراءة الأدب العربي ما زال محدوداً ونخبوياً في البلدان الناطقة بالألمانية فإن نشر مثل هذه الكتب يعني عادة مخاطرة مادية بالنسبة للناسر. لذلك هو لا يقدم على هذه المخاطرة إلا إذا حصل على دعم مادي بدرجة كبيرة. هذا الدعم تقدمه مؤسسة تشجيع آداب إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية التي سبق ذكرها، فهي تساهم في تمويل الترجمات من خلال المؤسسة الثقافية السويسرية «بروهلفيتسيا» ووزارة الخارجية الألمانية. وتهدف هذه المؤسسة المرتبطة بمعرض فرانكفورت للكتاب إلى تشجيع الناشرين على ترجمة ونشر أعمال الكتاب غير المعروفين نسبياً من هذه الفئات الثلاث. والمعايير الحاسمة لهذا الدعم هي خامه وجود العمل وتقدير إمكانية بيعه بشكل جيد، فقد دعت المؤسسة منذ تأسيسها عام ١٩٨٤ ترجمة ٩٧ كتاباً لمؤلفين عرب بما فيهم ٦٠ كتاباً من اللغة العربية.

أما بالنسبة للترجمة في الاتجاه العاكس، أي من الألمانية إلى اللغات الأخرى، ومنها العربية، فيدير معهد فوته، بوصفه أهم مؤسسة ثقافية ألمانية تعمل في الخارج، مشروعاً لتشجيع الناشرين في جميع أنحاء العالم على ترجمة أعمال عن الألمانية وتقديمها لقراء اللغات الأخرى.

ساهم المشروع خلال ثلاثين عاماً منذ تأسيسه في نشر أربعة آلاف كتاب إلى ٤٥ لغة مختلفة. ويتركز الدعم على ترجمة كتب علمية تعالج مواضيع سياسية واجتماعية واقتصادية وتاريخية وتحليلات للنظريات الرائدة على الصعيد العالمي والأوروبي ولا سيما الألماني. علاوة على ذلك فالمؤسسة تساهم في ترجمة أعمال أدبية كلاسيكية ومعاصرة بالإضافة إلى أدب الأطفال. وبإمكان كل ناسر مهتم بالأمر، بعد الحصول على ترخيص حقوق الترجمة، أن يقدم طلباً لدعم



لاريسا بندر - تصوير: جاس ميخايل

الأوضاع السياسية العالية الرأنة. هكذا يصبح الحوار والتبادل الثقافي أمراً أكثر أهمية من ذي قبل.

وللترجمة في عملية التبادل الثقافي دور مركزي بحيث أنها تقيم جسوراً لغوية وتقدم فجوات وتقرب بين عوالم يقال إن كل طرف فيها غريب عن الآخر. وقد تبقى العوالم مجهول بعضها بعضاً من دون الوسيط اللغوي. وما لا شك فيه أن ترجمة النصوص الأدبية تسهم في عملية التواصل الثقافي وتخلق نوعاً من التأثير والتأثير في الإنتاج الثقافي نفسه. فالأدب، كما نعرف، من أكثر الوسائل قدرة على التغلغل في الذات الإنسانية وتصوير حياة البشر في مواقفهم اليومية وفي تناقضاتهم الاجتماعية والعاطفية وفي مخاوفهم وحاجاتهم. هكذا يرسم الأدب صوراً متعددة النواحي والأبعاد للحقيقة ويقدم للقارئ نظرة عن التنوع الثقافي والإنساني تشع بروح الاستطلاع والاهتمام.

ومن أجل إقامة التعاون مع الناشرين في المنطقة الناطقة بالألمانية وبالتالي تدعم نشاط الترجمة من العربية فإنه من الضروري والحتمي أن يقوم الجانب العربي بتسهيل أدبه والتعريف به خارجياً بشكل أكثر نشاطاً.

ليلى شماع مترجمة وصاحبة وكالة «ألف»

النص مأخوذ من محاضرة أليث في معرض الكتاب في بيروت عام ٢٠٠٣.

الجمال الطائر

عشرون عاماً على تأسيس «دار الجمل»

استمر عمل الدار على هذه الوتيرة، وتيرة النشر المتباعد لبعض الكتب أو بالأحرى لبعض الكتيبات، لكن هذه الوتيرة تسارعت ابتداءً من العام ١٩٨٦ واتخذت ذروتها في العامين ١٩٩١/٩٠، حينما تعالي ضجيج الحرب، ذلك أن لسان حالي يقول إن خير رد على هذا الهوس هو التعبير الثقافي. في عام ١٩٩٠، وقبل حرب الخليج الثانية، أصدرت بالتعاون مع بعض المثقفين العراقيين مجلة (فرايس) والتي استمر صدورها السنوي حتى عام ١٩٩٣ وقد أثارت للمجلة الكثير من الضجيج والعجيج، وقد توقفت المجلة عن الصدور نتيجة للتشرد في الجسم الثقافي العراقي في الخارج! لقد حظيت المجلة بالنسج في جميع البلدان العربية ومنعت حتى الأعداد التي سوف تصدر منها. كانت جميع الكتب حتى نهاية عام ١٩٩٤ تُطبع في ألمانيا وتتراوح الطباعات بين ٢٠٠ نسخة و ١٠٠٠ نسخة في حالات نادرة! ولم يكن للدور أي هدف تجاري، ذلك أن الكتب كانت تباع (هذا إذا حدث، ويصعب) بأسعار الكلفة، كما أن أغلبها كان يُرسل إلى قراء مفترضين في أنحاء العالم أجمع. كنت أحلم في أن يُقرأ الكتاب الذي أحب أنا نفسي قراءته. كنت أريد أن أراه مطبوعاً. وهذا كان ديلني منذ البداية وحتى اليوم. لا وجود لأي توزيع طبيعي إنما كانت إرساليات إلى بعض المكتبات العربية في أوروبا، ومحاولات تواصل مع بعض المكتبات العربية التي لم يسد أغلبها الفواتير. مكتبة النورس في البحرين، وهي أول مكتبة عربية طلبت كتبنا وتعاملت معنا بشكل طبيعي. هذه المكتبة كانت مكاننا الأول في العالم العربي ومنه دخلت كتبنا إلى السعودية. قلعة الرقابة الحصينة آنذاك. في عام ١٩٩٤ وصلت إلى نقطة أساسية، إذ دُعيت للمشاركة في معرض الشارقة الدولي للكتاب، وهذه أول مرة تشارك فيها الدار في معرض عربي للكتاب. كانت أغلب العناوين متنوعة والأغرب، أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال بيع الكتب بذات الأسعار التي هي أصلاً غير تجارية لهذا كان عليّ أولاً إيجاد مكان مناسب للطباعة، أيضاً على الدار أن تكون عملية أكثر من ناحية الكمية المطبوعة أي عليها اتخاذ المستوى العربي، خصوصاً من ناحية الأعداد المطبوعة وأسعار البيع. وهنا بدأت النقلة

علاقتي بالنشر لم تكن حتى عام ١٩٨٣ تصدى نشري لمحاولاتي الشعرية والنثرية الأولى، وكتباً شعرياً ضم بعض محاولاتي نشرت قبل ٥ أعوام على حسابي الخاص، قبل تركي للعراق بشكل نهائي عام ١٩٧٩. هنا، في أوروبا، في فرنسا حيث أمضيت عامين تقريباً مشرداً وجائعاً في أغلب الأوقات، وفي ألمانيا وإن كانت الإقامة بمواصفات أفضل حيث سمح لي بأن أعيش في الملجأ وبأن أحصل على المساعدة الاجتماعية، وبهذا كان بإمكانني القراءة والكتابة، قراءة كل شيء يقع في اليد، وبمساعدة القاموس. فكنت أكثس علب السردين والبطاطا من محلات «الألدي» وأسارس طقوس الحياة، طقوس التماس مع العالم الخارجي، القراءة والكتابة في الليل والنهار واستجداء عطف العالم الخارجي إن سمحت لنا الأوضاع وجلسنا في مقهى أو قنادتنا الصدفية وسُمع لنا بالثرثرة مع هذه أو هذا. هنا أيضاً لم تكن علاقتي بالنشر تتمدى مواصلة نشر محاولاتي في الجرائد والمجلات الأدبية العربية.

كان عليّ أن أعبر عن نفسي، كان عليّ أن أتواصل مع الآخر. لديّ أفكار نظرية كثيرة وإطلاعي على تجارب كتاب آخرين أقاموا في أوروبا كانت تمنحني رخصاً قوياً لكي أعود ولكي أتكلّم بثقة. لكن الذي لا أعرفه عن ألمانيا هو أنها بلد آخر، غير فرنسا؛ حتى أنها تختلف عن ألمانيا الشرقية. كم شعرت بعودة الألماني هنا وقسوته. وكم كنت وحيلاً وبحاجة إلى الدفء. لا مفرّ أمامي غير التواصل الإجباري والحلم المستمر بفرنسا، باللغة الفرنسية، بالأغاني الفرنسية التي أضحت وكأنها لغتي العربية الأم وأغانيها.

أحلامي بالنشر قُبرت مع احتلال إسرائيل لبيروت عام ١٩٨٢، هنا في نهاية ذلك الصيف من عام ١٩٨٣ صدر الكتاب الأول الذي حمل اسم (منشورات الجمل) وقد طُبع بشكل بسيط ونفدت بواسطة الآلة الكاتبة، هذه الآلة التي ستكون لسنوات طويلة هي الأساس في هذه الدار الغربية والتي كان رأس مالها أوهام شخص واحد يعيش بمفرده بفضل (المساعدة الاجتماعية) التي تمنحها البلدية للعاطلين عن العمل. لكنه كان مثلاً كان دائماً: يأمل.



موتاز فريدمان، همدان

مثل: غوتفريد بن، باول تسيلان، غونتر غراس، ريلكه، روبرت موزيل، كريست فوف، يورغن هابرماس، أولريش بك الخ وآخرين من فرنسا مثل: شارل بودلير، جليسير سينويه، سيوران، اندريه بروتون، ومن إيران: صادق هدایت ومن تركيا: أورهان ياموك، نديم غورسيل ومن روسيا: أوسيب مندلسنام، ومن الصين، كما اهتمت الدار بشكل خاص باليهود العراقيين ونشرت ترجمات لكتبهم باعتبارهم جزءاً من الذاكرة العراقية القريية، كما أنها اهتمت بكتب الطليعة المصرية بالفرنسية: جورج حنين، جويس منصور، منصور فهمي. وللدار أيضاً مجلته: صيون، وقد صدرت عام ١٩٩٥ وقد دخلت للجنة الآن عامها الثامن وهي تترجم بشكل مقول في المغرب ومصر والبحرين والامارات العربية المتحدة.

كان مبدأ الدار في نشر الكتب، يتلخص في نشر الكتب التي نراها جديرة بالنشر ونحب نحن أنفسنا قراءتها، لم أفكر بقضية الربح أو إمكانية التوزيع، فهي رغم أهميتها بقيت إلى سنوات متأخرة قضيية ثانية، ذلك أن الشيء الذي ظل يزعجنا هو نشر الكتاب الذي لا نحب، حتى لو حظي الكتاب بالرواج. ليس خافياً على أحد مصير هذا الشعراء، فهو يعود إلى هانس ماغنوس انتنسربرغر ومكتبة البديلة.

لقد فهمت بأنه على الناشر اللغامة وعليه أن يمارسها حقاً، فالقارئ مادة خدام وعلى الناشر الوصول إليه إننا سنحت له

النوعية، أي الطبع والتوزيع والانتشار في العالم العربي عبر بيروت. فإذا كانت التجربة السابقة لهذا العام هي تجربة التكوين والنضج بعيداً عن كايوس السوق والأروام التجارية، فإن السنوات التالية شكلت امتحاناً عصياً للدار أمام الناشئين الآخرين، أمام إدارة الرقابة والموزعين، وأيضاً وهذا ما لم آخذه بنظر الاعتبار فيما سبق، الناحية التجارية. لقد نشرت الدار أكثر من ١٨٠ عنواناً منذ عام ١٩٩٥ في طبعات هادئة ومستوى النشر في العالم العربي، وشاركت في أغلب معارض الكتب العربية بشكل مباشر أو عن طريق وكيل، كما شاركت في معارض فرانكفورت، باريس، طهران. ورغم هذا التوسع، فإنها بقيت بلدت المواصلات، والتأثير الوحيد الذي طرأ عليها هو دخول أول شريك عملاً يعني نهار قبل عدة سنوات، والتي أضافت إلى الدار ميزة إضافية، خصوصاً سلسلة الدراسات الإسلامية التي بدأت بمؤلف منصور فهمي: أحوال المرأة في الإسلام، وهي تتواصل الآن مع كتاب أساسي للبرفيسور الألماني جوزيف فان أس: علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة والتكوين من ستة أجزاء، وهانيس هالم، وأنا ماري شيميل والويس موزيل. وفيما عدا هذا بقيت أعمال الدار تنجز بذات الطريقة.

لقد اتخذت الدار لنفسها شخصية كما يقال، من خلال تجربة المشاركة في المعارض العربية، وقد بدأت سلسلة الأدب الألماني التي واصلاها مع نشرنا لمؤلفات لكتاب ألمان

السبل لذلك، كما أن الكاتب الجيد غير المعروف بالمرّة، لا يعني أنه كاتب رديء ويجب التعامل معه بذات المقياس، وإلا فما هي مهمة الناشر؟ ما هي متعة الناشر بالأساس؟ أين هو عامل الاكتشاف الذي قرأنا عنه كثيراً؟ أليس هو الذي يقودنا إلى هذا الكاتب أو تلك الكاتبة التي نتوهج بالمرقة.

أثناء مطالعتي لمذكرات الشاعر التشيلي بابلو نيرودا، وقعت على حادثة - أرجو أن لا تكون الذاكرة قد أفسدتني تفاصيلها - تدور حول إصداره لمجلة أدبية أثناء إقامته في مدريد قبيل الحرب الأهلية الإسبانية، باسم (الحصان الأخضر) وقد صدر منها كما اعتقد عدد واحد فقط، هذه الحادثة/الخبر قادني إلى أن أسمي الدار التي قمت بتأسيسها بذلك الحيوان الذي دهّاه العرب بسفينة الصحراء أو بابي أيوب. فقد عشت طفولتي، سنوات تكوتي الأولى في ظلاله، على ظهره، من حليبه ولحمة وتدفتت بوبره، هذا الحيوان الذي قادنا في الصحراء، إكراماً له، ها نحن ندعه يقودنا في صحراء البشر، حيث الواحات الأخرى، تلك الكتب الرائعة التي تنضج بها اللغات، عليه أن يقودنا في جبال الجليد، في الوديان العارية، بين أنهر الأوهام التي ييسر وضاعت غمراتها ولم تبق إلا الذكريات التي تلوح من بعيد لهذا الشاعر المتحرر أو ذاك الذي يعيش في هذا البلد بين الجبال أو ذاك الخالم بها.

من غرائب العالم العربي الكثيرة هي الرقابة. هناك بعض البلدان التي تكون فيها الرقابة واضحة، فهي تطلب عينات من الإصدارات الجديدة وبعد فترة يعرف الناشر بأن هذا الكتاب ممنوع أو مسموح. وبعضها يُطلب صحافته بأن لا رقابة عنده وهذا هو الأكثر دجلاً. وأفضل مثال عليه هو معرض القاهرة الدولي للكتاب حيث تمارس منذ سنوات رقابة شديدة وكأنها لصالح التنظيمات المتطرفة وضحياتها دور النشر الجيدة والعلمانية. لكن الرقابة في السعودية تمنع الكتب التي تتناول الذات الإلهية (كتب التصوف على الأخص) والأخرى التي تتناول الذات الملكية (والتي تدور حول حياة العائلة المالكة)، ولكن أهم مؤلفات الكتاب السعوديين الممنوع متنوعة ابتداءً من مؤلفات السعودي الشهير عبد الله القصبي، مروراً بالروائي عبد الرحمن منيف، إلى مفكر السعودية السابق بلندن ووزير المياه حالياً عبد الله القصبي الذي لا ينقطع عن نشر الروايات العادية والأشعار والتعليقات حول مواضيع شتى، إلى الكاتب السياسي والروائي تركي الحمد القادم من مدينة بريدة،

المدينة الأكثر محافظة في السعودية، الكاتب المكفّر والذي ترجمت بعض رواياته إلى الانكليزية وحتى الروائي عبده خال الذي منعت روايته الأخيرة (نباح) قسراً! في تونس تمنع تقريباً في الوقت الحالي أغلب الكتب التي تتناول قضية حقوق الانسان، في البحرين فقط الكتب التي تدعو إلى الفتنة الطائفية والعنصرية وكذلك في عُمان وفي الامارات العربية المتحدة. لكن أسوأ رقابة في العالم العربي بعد رقابة صدام حسين المنسوبة هي الرقابة في الكويت، فأعداد الكتب التي مُنعت لديّ مثلاً تجاوزه هذا العام الستين عنواناً حتى قصائد غوتفريد بن، وريكه، انغبورغ باخمان، أغلب الكتب الكلاسيكية العربية المنشورة عندي، كل شيء يخص المرأة، بل أن حملة قام بها مجموعة من النواب الاسلاميين للترسيتين دفعت وزير الإعلام الكويتي إلى منعي بشكل فجائي من المشاركة في معرض الكويت الدولي للكتاب قبل أيام قليلة من افتتاحه.

وهناك الرقابة الشعبية، التي يمارسها أي راثر للمعرض، إذ يحدث كثيراً أن أسمع الشتام لاني نشرت هذا الكتاب أو ذاك أو لاني ترجمت شخصياً هذه القصيدة أو تلك، بسبب باول تسيلان كان عليّ أن أسمع قائمة طويلة من الاتهامات؛ أيضاً بسبب نشرتي لأعمال المتصوّف الاسلامي الحسين بن منصور الحلاج الذي صلب وأحرق ببغداد عام ٩٢٢ أو أعمال الكاتب السعودي الحر عبد الله القصبي، أو المغربي محمد شكوي أو كتاب الشاعر العراقي الغريد من نوعه معروف الرصافي حول السيرة النبوية.

يكتب أحد الكتاب العرب القدامى، واصفاً جماعة من أصحاب القلائس والمجالس وهم يشحنون صدور العامة بترّثات الأباطيل ويقصّون على الناس غرائب المعجائب ثم يقول في وصفهم: إن الحديث إليهم عن جمل طار، أشهى من الحديث عن جمل سارا

هذا هو وضع القراءة والكتابة والنشر اليوم في العالم العربي، حيث لا يتجاوز الطبع في الحالات العادية الألفين أو الثلاث ألف نسخة. وفي حالي كتابات وكناشر وجدت بيتين من الشعر قالهما شاعر عربي قديم هو أبو الحسين الجزار يصف فيهما حاله وحالة مهنة العديّة وبهما اختتم الكلام:

كيف لا أشكرُ القضاة ما عشتُ حيائي وأجرُ الأدبا
وبها صارت الكلاب ترجيني والشعر كنتُ أرجو الكلاب!

الترجمة فعل صوفي

«فكر وفن» محاور د. عبد الغفار مكاوي عن تجربته في الترجمة

الدكتور عبد الغفار مكاوي من الوجوه الثقافية البارزة في العالم العربي. مارس التدريس في الجامعات المصرية والكويتية لثلاثين عاماً، كما قام بترجمة أعمال أدبية هامة إلى اللغة العربية، بالإضافة إلى كتاباته الأدبية في المسرح والقصة القصيرة. وبمناسبة صدور هذا العدد عن الترجمة قامت «فكر وفن» بزيارة مكاوي في منزله بالقاهرة وأجرت معه الحوار التالي:

كبير، بل حدث في التأليف المسرحي. فسرعان ما وجدت أن كثيرين من الكتاب المسرحيين، كمحمود دياب وسعد وهبة والفريد فرج وغيرهم، تأثروا بأسلوب بريشت في المسرح الملحمي. وكان هذا مفاجئاً لي لأن «الاستثناء والقاعدة» ليست من أهم مسرحيات بريشت في مرحلة نضجه، وهي مسرحية تعليمية ومتواضعة. استمر التأثير ببريشت عند عدد كبير من كتاب المسرح العرب كسعد الله ونوس وصالح عبد الصبور وأنا شخصياً في بعض مسرحيات المتواضعة. بعد هذه التجربة ترجمت بريشت من اللغة الألمانية فقط وذلك بعد أن تمكنت من هذه اللغة بعد سفري إلى ألمانيا عام ١٩٥٧.

■ أنت تمجيد لغات أوروبية عديدة وفي بداية حياتك ترجمت من بعضها، لكنّ ترجماتك الأساسية هي من اللغة الألمانية، لماذا؟

معك حق، لكن مع تحفظ بسيط، هو أنني ترجمت نصوصاً شعرية هامة عن الفرنسية والإيطالية والإسبانية. ففي الجزء الثاني من كتاب «ثورة الشعر الحديث» قصائد لشعراء كبار من إيطاليا وفرنسا. ترجمتها عن الإيطالية والفرنسية لكن بالاستعانة بالترجمات الألمانية والإنكليزية. لكنني في الحقيقة أؤمن وكما قال غوته: «من أراد أن يصرف الشعر فليذهب إلى بلد الشعر ومن أراد أن يعرف الشاعر فليذهب إلى بلده». يجب أن نتقن اللغة التي نترجم منها وأن نعيشها. لكنني تمجرت في السنوات الأخيرة وترجمت شاعراً إيطالياً أحبه كثيراً، شاعر الغموض والإفلاخ، الشاعر المتفلسف جورويو أونغراني. ورغم أنني درست الإيطالية في الخمسينات إلا أنني لم أأتم على الترجمة منها دون الاستعانة بترجمة عظيمة إلى الألمانية للشاعرة الكبيرة اتغنورغ باخمان. في الحقيقة عزّ لي أن شاعراً كأونغراني ولد بالإسكندرية وترعرع فيها - قضى فيها اثنين وعشرين سنة - يدخل عالم النسيان، في الوقت الذي نحتفل فيه

■ أستاذ مكاوي أنت متعدد المواهب والنشاطات، أستاذ جامعي، كاتب، مترجم، إلخ. سؤالي الأول كيف توجهت إلى الترجمة بعد محاولات شعرية وكتابيات إبداعية كالقصة والمسرح؟

أرجح أنه كان نوعاً من التعويض عن فقدان هذا الكثر الذي لا يوضع، ألا وهو الإبداع الشعري. ظلمت أكتب الشعر حتى سن الواحد والعشرين وربما أثرت في صدقتي لصديق العمر صلاح عبد الصبور، أن اقتنع، في لحظة صدق، بأن موهبتي في الشعر لا تبشر بخير، أو ليست أصيلة بالقدر الكافي. لكنني مجنون بالشعر واعتقد أنه رحيق الإبداع الإنساني والمبرر الحقيقي عن نبض أي شعب أو حضارة. لذا اكتفيت بأن أترجم الشعر وأحاول أن أبهده من جديد، ولو أن هذه الكلمة كبيرة، وأن أجعل ترجمتي للشعر مقترنة دائماً بدراسة عن الشعر والشاعر بحيث يستمتع القارئ ويستفيد كما قال هوراس. هذا ما حاولته منذ أن بدأت الترجمة بشكل منتظم عام ١٩٥٨ وقصائد لبريشت. لكنني تمجرت قبل ذلك وبهجوم شديد وترجمت بعض القصائد لإيليو، خصوصاً أنه شاعر وفيلسوف، وتوجهي كان دائماً نحو الشعراء المتفلسفين. اليوم لا أقهر أن أترجم من أي لغة سوى الألمانية.

■ لكنك ترجمت بريشت من اللغة الفرنسية أيضاً، أهني مسرحية «الاستثناء والقاعدة»؟

هذا صحيح. كنت أياها في دار الكتب ووقع في يدي عدد خاص من مجلة فرنسية عن بريشت عليه صورته بيلته المعروفة (بدلة العمال). ولم أكن يومها قد سمعت ببريشت إطلاقاً، كان ذلك عام ١٩٥٦. استعرت العدد من دار الكتب واطلعت عليه ثم وقع اختياري على مسرحية «الاستثناء والقاعدة» وترجمتها ونشرتها في مجلة الهدف المصرية في العام نفسه. ودون أن أقصد، أو لتقلّ إني فوجئت، أن هذه الترجمة تحولت إلى حدث مسرحي

دراسي لي بعض دروسه شخصياً. عكفت على ترجمة هايدغر خمس عشرة سنة.

دافعت في كتابك «نداء الحقيقة» بحرارة من هايدغر، عن مواقفه في ظل الاتهامات التي وجهت إليه. نعم. أعتقد أنه كان مخلصاً. وأن يخدع الإنسان فهذا أمر وارد وإنساني. وكما خدع أفلاطون قديماً في ديونيسيوس الأول والثاني، كذلك خدع هايدغر لمدة عشرة أشهر فقط في هتلر وتصور أن الاشتراكية الوطنية (النازية) ستجسد شباب ألمانيا. وكان هذا خطأ كبيراً كفر عنه بصمت مطبق إلى أن أدلى بالحديث المشهور لمجلة «دير شبيغل» عام ١٩٦٦ وأوصى بأن لا ينشر إلا بعد وفاته.

وبالعودة إلى مؤالك عن الترجمة فأتا ترجمت بالإضافة إلى هايدغر نصوصاً لأفلاطون وأرسطو وكانط. والآخر ترجمت له ويتكليف من أستاذي عبد الرحمن بدوي كتاب «تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق» عام ١٩٦٢ وأعاد «دار الجمل - كولونيا» طباعته مؤخراً. الجانب الأعظم من النصوص التي ترجمتها، سواء في الفلسفة أو الشعر أو المسرح، كان من منطلق الحب والإحساس بأنني أنقل للقارئ العربي تجربة أثرت في وتعلمت منها واستمتعت بها وأحب أن يشاركني هذه المتعة والفائدة المعرفية. فالترجمة عندي فعل صوفي، فعل حب، وقد تفرست فيها بفضل الخبرة والتجربة الطويلة، لكنني أقتصر إلى أسس علم الترجمة لأنني لم أدرسها.

أنت تستشهد بالمحافظ وآخرين وتقول إن الشعر لا يترجم، ومع ذلك ترجمت الشعر. كيف تحل هذا التناقض، بمعنى إذا كان الشعر لا يترجم فلماذا أقدمت على هذه المغامرة؟

ارتكبت ذنباً كثيرة في حياتي وأرجو أن يغفرها الله لي، لكنني لا أؤمن بكلام المحافظ تماماً. المحافظ معه حق عندما يقول: "إذا نُقِلَ (الشعر) فقد موضع التعجب وبطل مآزه وذهب نغمه...". لكن لا يصح أن يشبط هذا الأمر همتنا عن الترجمة، لأن كل الشعوب تترجم شئنا أم أبنا. المهم أن تكون الترجمة، بقدر الإمكان، متماهية مع الأصل ويمكن أن تفني القارئ، الذي لا يعرف اللغة الأصلية، عن الرجوع إلى النص الأصلي.

علائقك بالشعر غريبة، فنصوبك الإبداعية كلها نثرية، بمعنى أنك كتبت القصة القصيرة والمسرحية. لكن في الترجمة تجاهلت النثر وخصوصاً الرواية واقتصرت في ترجمتك على الشعر وبعض النصوص المسرحية، هل لك أن تضيء هذه النقطة؟

بشاعر سكندري آخر هو كافافيس (وهو حقاً شاعر كبير وجدير بالاحتفال به). فمن باب الحب والواجب ترجمت لهذا الشاعر.

أما لماذا تركيزي على الترجمة من اللغة الألمانية دون غيرها، فهو لأنني لا أحب أن يترجم المترجم إلا عن لغة عاشها وتكلم بها وأحب بها وثرثر بها لسنوات طويلة. لكن للأسف ما ألاحظه ومن خلال خبرتي الشخصية أن كثيرين في مصر والعالم العربي يتجربون على نصوص بلغات مختلفة لا يحسنونها أو تعلموها من الكتب، أي بالعين فقط. وهذا خطأ كبير، لأنهم لا يدركون المعنى



هد الغمار مكودي. تصوير: Laila Bentou

الخفي للمبارة. كيف تترجم برشت وأنت لا تعرف السخرية الألمانية والحياة الشعبية البسيطة التي يعبر عنها من خلال العمال والجنود وغيرهم. أتمنى أن يكتفي المترجم بالترجمة عن لغة واحدة كأستاذنا وكفي نجيب محمود الذي ترجم عن الإنكليزية فقط، بعكس أستاذنا عبد الرحمن بدوي الذي تجرأ على لغات كثيرة، وأقول هذا بكل أسف، لأنني لا أكن له إلا الإجلال والتقدير لودره العظيم، إنما ترجم عن الألمانية وهو لا يحسنها لأنه تعلمها قراءة ولم يزر ألمانيا إلا في المناسبات. والدليل أن ترجمته عن الأدب الألماني سيئة جداً، وحتى ترجمته عن الإسبانية فيها أخطاء عجيبة، كما يقول المتخصصون في الأدب الإسباني.

أستاذ مكاري، ترجمت للفلسفة والمسرح والشعر، والسؤال كيف تختار نصوصك؟ ترجمت بعض النصوص، وخصوصاً في الفلسفة، تحت إلحاح العمل وبعضها تحت إلحاح الحب.

هايدغر مثلاً؟ ترجمت هايدغر لأنني عشت في فرايبورغ خمس سنوات وتعلمت على أحد تلاميذه كما حضرت في أول فصل

الحقل من باب الحب والتعاطف، أي أحسبت نصوصاً حاولت أن أشرك القارئ العربي ممي في حبها. ويكفي أن أقول إن عدداً كبيراً من القاصات، التي ترجمتها لشعراء مختلفين، من البابليين ومن اليونان إلى الشعراء المعاصرين ولا سيما في ألمانيا وفرنسا وغيرها، جاءت منظومة شعرياً، لدرجة أنني جمعتها في آخر كتاب لي. اعتقد أن لدي موهبة التعاطف - ربما هي موهبتي الوحيدة - وهي تؤهلني في أن أعيد نظم الشعر الذي أترجمه، أي أقوم بالترجمة "المكافئة" كما علمنا غوته في الفقرة الجميلة التي كتبها في تعليقاته على الديوان الشرقي. لأن الترجمة



عبد السلام مكادي، تصوير: Larissa Bender

للتعاطية مع النص الأصلي تكاد تكون مستحيلة. فالشعر معنى وروح وفي الوقت نفسه جسد من الانفاظ والانغام وتوافق الأصوات وتساوقها، وكل هذه الجماليات تختفي بمجرد أن تنقل نصاً شعرياً من لغة، من نظام صوتي ودلالي وبلاغي إلى نظام صوتي ودلالي وبلاغي آخر في لغة أخرى. مع ذلك علينا أن لا نياس وأن نترجم، فما نكتبه من خلال الترجمة أكثر بكثير مما نخسره. والترجمة برأيي واجب ثقافي وحضاري لا غنى عنه وقد مارسته البشرية منذ العصور السحيقة. ولا نستطيع، نحن العرب، أن نفتتح على العالم وثقافات العالم دون أن نقرأ للشعراء والكتاب العظام في كل اللغات، ليست الأوروبية فقط بل الآسيوية والإفريقية أيضاً. أما مدخلي الشخصي إلى الترجمة فهو مدخل صوفي وجدائي، مدخل تعاطف.

■ كيف تُقَوِّم حركة الترجمة من اللغة الألمانية إلى العربية خصوصاً أنها توقفت عند الجيل القديم من الأدباء الألمان وأنّ الجيل الجديد يكاد يكون غير معروف في العالم العربي؟

المسألة متشابكة قليلاً ومعقدة. لكن قبل أن أبدا الكلام عن هذا الموضوع لا بد من الحديث عن شخصين أنفصلهما

كان توجهي منذ الطفولة نحو الشعراء المتفلسفين. ومعظم الشعراء الذين ترجمت لهم هم كذلك وفي مقدمتهم غوته وهولدرلين والشعراء العظام بودلير ورامبو ومالارميه، لأنّ وراءهم توجه فكري وجسمالي يصعّبني ويرضي نزعتي الفلسفية. اهتممت أيضاً بالشعراء الآخرين - ربما لئلا تزعج ثورية مقهورة لدي - الذين لا يهدفون إلى متعة جمالية فقط كما فعل الرمزيون، بل يريدون أن يغيروا الواقع. لهذا نشيت ببرشت رغم تحفظاتي على الإيديولوجيا الطاغية على بعض مسرحياته، لكنه شاعر عظيم. لذلك اهتممت بشعره أكثر من مسرحه مع أنني ترجمت له ست مسرحيات. أحس أن ببرشت شاعر ثوري آمن بأنّ الشعر يمكن أن يكون منفذاً للواقع ومغيّراً له ومؤثراً في الوعي. ببرشت والساثرون في خطه كارلش فريد ثائرون على الظلم الاجتماعي. وأظن أن أي إنسان يعيش في العالم العربي وبالذات في مصر لا بد أن يشور على الظلم الاجتماعي، على التسلط، على الفقر البشع، لا بد أن يكتب على أمل التغيير. نحن نعلم أنّ الكتابة لا تغير، لكنها يمكن أن تلهم المغيّرين، أي الذين في يدهم القدرة على التغيير. وهذا ما دفعني إلى ترجمة هؤلاء.

■ عطفاً على السؤال السابق، الرواية، وكما قيل عنها، هي ملحمة البورجوازية، والرواية أخذت من الشعر ووضعته على الرف تقريباً، ومع ذلك لم تترجم الرواية؟ ليس إلى هذا الحد. هنا رأي جابر عصفور، حبر عنه في كتابه القيم والجميل «ومن الرواية».

■ في الحقيقة لم أطلع على هذا الكتاب إنما سؤالي لماذا لم تترجم الرواية؟

ربما لقصور في شخصي. فأتأ قليلاً الصبر، وقلما أقرأ الروايات إلا المهمة جداً. وربما تستغرب، بأنه رغم ما قلت، فإنّ لدي تخطيطات لسيرة ذاتية بشكل روائي. ومعظم قراءاتي الروائية هي لروايات السيرة الذاتية. أنا مقتدر تماماً لأهمية الرواية، لكن يبدو أنني «ضيق العطن»، كما يقولون في اللغة العربية، وليس لدي صبر على قراءة الرواية وترجمتها ولا على تأليفها، وأنّ تكويني العصبي يميل أكثر إما إلى الشعر بسبب حبي للسكينة والتأمل والهدوء وإما إلى المسرح للحوار والدرامية اللذين يشتم بهما.

■ اليوم يكثر الحديث عن الترجمة ودورها كجسر وتواصل بين الثقافات والحضارات، كيف تنظر أنت إلى دور الترجمة خصوصاً أنك من المترجمين الكبار وقدمت نصوصاً هامة؟

من باب الصدق عليّ أن أقول بداية إنني لم أتعلم علوم الترجمة، بمعنى لم أدرسها كعلم وإنما دخلت إلى هذا

المشروع القومي للترجمة خطوة كبيرة لا بد أن نباركها جميعاً. لكن في تقديري الخاص أنه يسير بشكل عشوائي حتى الآن ولا يهتم بالأمهات والبنانيق، في كل الشغافات الشرقية والغربية، إلا ما ندر، أي باستثناء كونفوشيوس وترجمة بعض الأدب الفارسي. صحيح أنه يحاول أن يغطي العيون والكلاسيكيات، لكنه يركز على الأشياء الحديثة في السياسة والاقتصاد، وهذا واجب طبعاً، إلا أنني أخشى أن يكون سائراً بلا خطة واضحة. هو في النهاية مشروع عظيم بالطبع وتتمنى أن يزدهر ويشارك فيه إخواننا في العالم العربي، أي أن يتحول إلى مشروع عربي.

■ استاذ مكاي هناك سؤال أشعر أنك لم تحب عليه تماماً وهو لماذا أعدت ترجمة الديوان الشرقي لغوته؟ والله يعز عليك أن تجد شعراً عربياً وجيلاً، ومن أجمل ما كتبه غوته ومن أصعب ما كتب باللغة الألمانية، مترجماً ترجمة جافة وتكاد تكون خالية من الروح، أي تكاد تكون ملبوحة. صحيح أن هناك دراسات قيمة لاستاذنا عبد الرحمن بدوي، رحمه الله، لكن ومن أجل الحقيقة - وأرجو أن لا تغضب روحه من قول الحقيقة خصوصاً أنه علمنا أن نقول الحقيقة - أقول إن ترجماته الشعرية، وخصوصاً للشعر الألماني، سيئة جداً وأسوأ ما ترجمه إلى العربية هو ترجمته لريلكه وهولدرلين. هو حاول أن ينظم قصائد كبيرة كـ «خيز ونبيذ» لهولدرلين مثلاً، لكن النتيجة كانت ترجمة سيئة لا علاقة لها بشعر هولدرلين. هذا ما دفعني إلى إعادة ترجمة الديوان الشرقي، خصوصاً أنه ارتكبت، إلى جانب ما ذكرت، أخطاء جسيمة في فهم النص. أنا حاولت ألا أترجم فقط، بل أعلق على النص وأروده بتعليقات وهوامش. وقلت في مقدمتي للديوان إن ترجمتي لا تنهي أنها أصح من ترجمة استاذي لأن النص يحتمل عدة ترجمات شأن النصوص العالمية الكبيرة. انظر هاملت مثلاً، كم مرة ترجم إلى العربية. أنا لا أرى مانعاً، بل أرحب بأن يأتي مترجم آخر ويقدم ترجمة جديدة وأدق من ترجمتي للديوان. أمر آخر أود الإشارة إليه وهو يتعلق بغوته أيضاً، فبالإضافة إلى الديوان الشرقي ترجمت مسرحية «توركوواتو تاسو» وأنا نادم لأنني لم أترجم «فاوست» مع أنني عملت عليها لفترة طويلة جداً وكتبت بحثين عن فاوست وقرأت الاثني عشر ألف بيت قراءة متأنية. على كل حال فاوست ترجمت أكثر مرة ولا أريد أن أحكم على هذه الترجمات.

أجرى الحوار: أحمد حسو

على الترجمة عن الأدب الألماني. أولها استاذنا الراحل محمود إبراهيم الدسوقي الذي تلمذت عليه في تعلم اللغة الألمانية في منتصف الخمسينات. ترجمة الدسوقي رواية توماس مان «بودنبروكس Buddenbrooks»، وترجمة لغوته وآخرين. وربما تجدر الإشارة إلى القول إن الدسوقي ترجم كثيراً لكاتب متواضع اسمه إميل لودفيغ ولا أعرف سر اهتمامه به، ربما كان معروفاً في عصره. والنقطة الأخرى أنه لم يخدم ترجماته من الناحية العلمية. فهو لم يكن متخصصاً بالأدب الألماني. والشخصية الأخرى التي علي أن أذكرها بالفضل والعرفان هي الدكتور مصطفى ماهر، الذي لا أباغ إذا قلت أنه قدم عشرات النصوص المترجمة والدراسات القيمة عن الأدب الألماني. كما أن له الفضل في تأسيس مدرسة علمية ورعاية أجيال من الطلاب في كلية الآلسن الحالية. ترجمات ماهر امتدت من غوته وشيلر إلى كانكا وبير هاندكه وماكس فريش. أما عن الأجيال الجديدة، وأود هنا أن أركز حديثي على المترجمين، فيؤسفني القول إن المترجمين من الجيل الشاب ضعاف في اللغة العربية، ضعاف الصلة بالتراث العربي والإسلامي إلا ما ندر. وربما لا يكون هذا ذنبهم وإنما ذنب نظام التعليم نفسه الذي قام وخصوصاً بعد ثورة ١٩٥٢ في مصر على ضعف الاهتمام بالتراث العربي، أنا أتحدث هنا عن مصر. ربما تكون المسألة مختلفة في سوريا والعراق. هناك تقصير شنيع في تحييب الشباب باللغة العربية وتراثها ويندوقها. ومن هنا تأتي ترجمات هؤلاء الشباب ضعيفة وعاجزة. وعجزها لا يعود إلى ضعف في اللغة الألمانية، على العكس، فهم يجيدون الألمانية جيداً وربما تعلموها الكثيرون منهم منذ رياض الأطفال. لهذا أرى أنه من الواجب أن يتم تأسيس معاهد حقيقية للترجمة في مصر والبلاد العربية أسوة بالمعهد الذي تم تأسيسه في لايزرغ في ألمانيا الشرقية سابقاً. فالضعف موجود في النشر بسبب ضعف في اللغة العربية وضعف في الاتصال بالتراث العربي والإسلامي كما أسلفت. فكم من شاب قابلته واكتشفت أنه لم يقرأ قصيدة لشوقي، لم يقرأ للمتني، ولم يقرأ صفحة للجاسط حتى لم يقرأ لطف حسين. وبعضهم قرأ لنجيب محفوظ وآلفاء صعباً ومع ذلك يتجراون على الحقيقة والأدب والفن ويكتبون روايات وأشعاراً وترجمون. والنتيجة أعمال ركيكة وهزيلة لغوياً وأدبياً. هذه محنة كبيرة على مستوى الترجمة والإبداع على السواء.

■ هل نحتاج الترجمة إلى مؤسسة؟ هناك في مصر مشروع قومي للترجمة وصدرت عنه المئات من العناوين، لكن ما لاحظته أن العناوين الألمانية قليلة، ما رأيك؟

من الاقتباس إلى الالتزام

نبذة عن الترجمة العربية من اللغات الأوروبية

لو تُرجم ما دون في الغرب عن التحولات والتغيرات الاجتماعية، لامكنا تطبيقه والاستفادة منه. تلك كانت قناعة محمد علي باشا الذي عيّ سنة ١٨٠٥ - أي بعد مرور أربع سنوات على انتهاء الحملة الفرنسية (١٧٩٨ - ١٨٠١) - والياً على مصر وحكم البلاد طيلة ثلاثة وأربعين عاماً. طمح محمد علي إلى بناء دولة قوية ومستقلة وأراد لشدة انبهاره وإعجابه بتفوق أوروبا بلوغ التقدم والرخاء اللذين احتاجت أوروبا سنين لتحقيقهما في أسرع وقت ممكن.

في تلك الحقبة أخذ يسود الاعتقاد بأن ازدهار أوروبا الحضاري عائد إلى تفوّقها العلمي. فإذا ما تم نقل هذا العلم إلى اللغة العربية لأمكن دفع عملية التطور وإقامة حضارة مماثلة في فترة وجيزة، ودون الاضطراب إلى المرور بسائر مراحل ذلك التطور.

هذا ما يؤكده رفاة رافع الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٣٧) في مقدمته لمجموعة من المقالات التاريخية ترجمها عن الفرنسية ونشرها عام ١٨٣٦ بعنوان «بداية القدماء وهلاية الحكماء»، إذ يقول: "يمكن بلوغ ما احتاج الفرنج سوات كثيرة وأمد طويل لإنجازه في فترة وجيزة وعلى أكمل وجه". ذلك أن الطهطاوي، المفكر الأدبي، كان يشارك محمد علي، الحاكم البراغماتي، رايه بأن ازدهار أوروبا الحضاري عائد إلى تقدمها العلمي. فكان ذلك حافزاً قوياً لحركة الترجمة في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

في بادئ الأمر جاءت حركة الترجمة لإشباع رغبة محمد علي باشا في معرفة المزيد عن أوروبا ومن ثم لتلبية متطلبات العصر في كل من المجال العسكري والصناعي والإداري والتعليمي. ساهم محمد علي مساهمة فعالة في دعم حركة الترجمة فقام بمكافأة أعمال الترجمة وسعى دوماً إلى تشجيعها. ولقد كانت أولى مهام أعضاء البعثة الدراسية التي أرسلها الباشا عام ١٨٢٦ إلى فرنسا ترجمة الكتب العلمية والدراسية التي اطلموا عليها خلال إقامتهم في أوروبا. وعند عودة أعضاء البعثة تم احتجازهم في قلعة القاهرة إلى أن انتهى كل منهم ترجمة كتاب علمي في مجال تخصصه. في عام ١٨٢٠ أسست مطبعة بولاق وبدأت عام ١٨٢٢ العمل بها. وكان تأسيسها يهدف بالدرجة الأولى إلى نشر الكتب المنقولة من الإيطالية أو الفرنسية إلى اللغة العربية والتركية. كما كان الهدف من تأسيس مدرسة الآلسن عام ١٨٣٥ إنشاء مكتب للترجمة يعمل فيه خريجو تلك المدرسة. ولقد أوزع الباشا إلى مثاليه في كافة العواصم الأوروبية بإرسال الكتب والدراسات في مختلف العلوم الحديثة ل تتم ترجمتها في مصر.

ويُقدّر عدد الكتب التي تم نقلها إلى العربية في عهد محمد علي بأربعة عشر كتاباً - بينما ترجم كتاب واحد فقط من العربية إلى الفرنسية - تأتي في مقدمتها المؤلفات العسكرية، تتلوهما الطبية فكتب العلوم الطبيعية. وما يدعو إلى الدهشة أن عدد كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات تجاوز الإثنى والثلاثين كتاباً ما ينمّ عن تعطش كبير إلى سائر مجالات المعرفة. كانت تلك الكتب تترجم إما إلى التركية أو إلى العربية حسب موضوعاتها ونسبة قارئها، فالمجال العسكري مثلاً ظل فترة طويلة حكرًا على الأتراك في حين كانت غالبية الطلاب في الفروع الأخرى من المصريين. كانت تلك المؤلفات - باستثناء كتب الطب البشري والبيطري - قلماً يقوم مختصون بترجمتها بل غالباً ما كان يشارك عدة مترجمين في نقلها.

أما ترجمة الأعمال الأدبية فلقد ظلت حتى مستهل القرن العشرين وانتشار الصحف والمجلات عملاً فردياً لا يخلو من المغامرة ومروءة بجهود الترجمة الشخصية. كان أول عمل أدبي نُقل من لغة أوروبية إلى العربية كتاب «مغامرات تاليماك» لفينيون، ترجمه رفاة الطهطاوي، مدير مدرسة الآلسن، إثر نفيه إلى الخرطوم. ولم يُنشر هذا الكتاب إلا عام ١٨٦٧ في بيروت. أما العمل الأدبي الثاني فكان كتاب «رونسون كروزو» لديفوي، ترجمه عام ١٨٦٠ بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣)، علامة سوريا ولبنان الشهير.

آنذاك كانت كتابة السجع لا تزال شائعة فجاءت ترجمة الطهطاوي لكتاب «فينيلون» برمتها بالكلام السجع: «مواقع الأفلاك في وقائع تاليماك». ولقد بذل الطهطاوي قصارى جهده لنقل الكتاب بأمانة ودقة بالغة. إلا أن السجع يستلزم الإكثار من المحسنات اللفظية من جناس وطباق ومقابلة وتكرار. كما يقتضي عكس الكلام وقلبه لمراعاة الوزن والقافية. فكان من البديهي أن تؤثر تلك البديعيات سلباً على لغة الحوار وتعيق استخداماً كوسيلة جدل ومحاور. ومن الجدير بالذكر أن الطهطاوي لا يقوم بتعريب العمل إلا أنه كثيراً ما كان يعمد إلى تحويره ليتمائش مع المبادئ والمثل العربية. وفي مقدمة كتاب «تاليماك» يعبر الطهطاوي عن أسفه لعدم إضافته بضعة أبيات من الشعر العربي القديم أو بعض الأقوال المأثورة إلى الترجمة، بخلاف ما فعل في «تخليص الإبريز في تلخيص باريز».

أما البستاني فلقد نهج في ترجمته لكتاب روبنسون كروزو نهجاً مختلفاً. عنوان الكتاب مُصاغ على الطراز القديم، «كتاب النخلة البستانية في الأسفار الكروزية»، إلا أن البستاني يتخلى بصورة شبه تامة عن السجع ليترجم الكتاب بلغة بسيطة وجزلة وإن كانت لا تخلو هنا وهناك من الإطناب والحشو. ومن الملفت للنظر أن البستاني يستخدم أحياناً، وتعمير أدق في الحوار، بعض العبارات المحلية الدارجة. وإذا يوشك القرن التاسع عشر على الانتهاء، يغلب في الترجمة أسلوب النثر شبه الخالي من المحسنات اللفظية والمعنوية. حتى أنه يمكن القول إن الترجمة من اللغات الأوروبية قد ساهمت إلى حد كبير في تحوير اللغة العربية من قواعدها الإنشائية المركبة وأدت إلى نوع من التكيف مع جماليات اللغة المنقول عنها. فاقتراس الأفكار والمواد النابغة عن ثقافة مغايرة أدى رويداً رويداً، وبالرغم من تمتع لغة بلغت منذ أمد بعيد أسمى أشكال تطورها، إلى تغير لا مثيل له في تعابير تلك اللغة وبنيتها.

في التاريخ الحديث للترجمة العربية تستأثر اللغة الفرنسية طوال القرن التاسع عشر بالمرتبة الأولى، من حيث عدد الكتب المترجمة عنها. وسترقي الفرنسية اللغة المهيمنة لفترة طويلة وحتى بعد الاحتلال الإنجليزي لمصر سنة ١٨٨٢ وجعل التعليم في المدارس باللغة الإنجليزية (١٨٩٧). وهذا عائد حتماً إلى الدور الكبير الذي لعبه آنذاك المهاجرون السوريون والليثانيون، خريجو المدارس والكلديات الفرنسية، في حركة الترجمة في مصر. فبالرغم من أنه قد تم مبكراً ومراراً نقل مسرحيات شكسبير إلى اللغة العربية إلا أن الترجمة عن الإنكليزية لن تحل إلا في مطلع العشرينات نفس المرتبة من الأهمية وتتنازع اللغة الفرنسية مكانتها. ولقد جاءت نشأة جيل جديد من الأدباء المصريين المتأثرين بالثقافة الانجلوسكسونية ممهدة لذلك التحول فكان أهم مثليها، كالمقاد والمازني وشكري، رواداً لحركة أدبية معجدة. أما الأدب الروسي والألماني فلقد كان يتم تلقيه في تلك المرحلة عن طريق اللغة الإنجليزية أو الفرنسية. إلا أن ترجمته إلى العربية ظلت في نطاق محدود.

ويمكننا انطلاقاً من أعمال نجيب الحداد (١٨٦٧ - ١٨٩٩)، أحد صحافي وأدباء لبنان القديرين، تتبع مختلف الطرق التي سلكتها الترجمة إلى العربية. ولا شك أن أهم أعمال نجيب الحداد هو ما قدمه للمسرح. فلقد ترجم مسرحية «السيد» لكورنيلي وعُرب «هرناتي» لفيكتور هوغو كما قام بإعداد «تاليسمان» لوانتر سكوت للمسرح بعنوان «صلاح الدين الأيوبي». ويمكن اعتبار تلك المسرحية التي نجدها مدرجة ضمن مؤلفات الحداد مثلاً واضحاً للاقتباس وهو التعبير الشائع آنذاك للدلالة على مسرحيات أو روايات - وفي وقت لاحق أفلام - مأخوذة عن أعمال أخرى. فالأقتباس يعني أخذ المادة أو الفكرة الأساسية من أصل أو مؤلف ما والتصرف بها بكامل الحرية. يُنشر العمل المقتبس عادة بعنوان مغاير للأصل وغالباً ما لا يرد ذكر مؤلف أو عنوان النص الأصلي. ترجم الحداد «السيد» ترجمة تقليدية، فراعى بحور اللغة العربية وأوزانها مما أدى به إلى الابتعاد عن النص الأصلي وتغيير سياق الحوار. كما تم تبسيط أو تغيير الفكرة الأساسية والأحداث لتتلاءم مع مشاعر وعواطف الجمهور. هذه التعديلات كانت تمس بشكل خاص شخصيات المسرحية التي كان عليها أن تتحلى بمكارم الأخلاق العربية. أما رضاء الجمهور فيتم كسبه بإدخال المقاطع الخطابية أو الأغاني والأشعار، بالإضافة إلى المبالغة بالإشارات والإيماءات وتصعيد الأحداث إلى درجة مأسوية قبل بلوغ النهاية السعيدة. هذا بالنسبة للاقتباس أما التعريب فالمقصود به نقل شخصيات المسرحية والمكان الذي تدور فيه الأحداث إلى بيئة عربية وإضفاء الطابع العربي عليها. ومن نافلة القول إنه قلماً نجح مترجم في ذلك. فالفروق الواضحة في مظاهر الحياة والقيم المتباعدة في الشرق والغرب تجعل من تلك الأعمال المقتبسة خليطاً عجيباً: فيصبح القيصر

ماكسيميليان الأمير الناصر، والقصر شارلمان الكبير عبد الرحمن الأول وفرنز الأول هارون الرشيد، في حين نحل بغداد محل ألمانيا ويصير قصر ألمانيا الروماني «قصر العرب».

ويجز جرجي زيدان (١٨٦١- ١٩١٤)، الأديب والمؤرخ المشهور ومؤسس فن الرواية التاريخية في الأدب العربي، لدى الحديث عن كتاب عصر العرب بين ثلاث فئات: تشمل الفئة الأولى الكتاب الذين يترجمون ويلخصون، والثانية المؤلفين، أما الفئة الثالثة فتضم هؤلاء الذين يقومون بجمع ما كتب. الأولى أكبر الفئات عدداً وأغزرها إنتاجاً. ونظراً لتفوق الغرب يعتبر جرجي زيدان الترجمة والتلخيص، على السواء، أكثر فائدة من التأليف والجمع. كما يرى أن الكاتب يمر بثلاث مراحل: في بداية عمله يترجم ويلخص، ثم يجمع، وفي خاتمة المطاف يؤلف (للهملا، السنة الخامسة، ١ تموز/يوليو ١٨٩٧). ترتيب جرجي زيدان يعكس لنا مدى الأهمية التي يوليها لعمل الترجمة، وذلك نظراً لمشقة نقل نص ما - أدبياً كان أم علمياً - نقلًا دقيقاً وأميناً إلى العربية. أضف إلى ذلك عدم توفر الإمكانات المادية التي تساعد على القيام بعمل متميز.

كان المترجمون الأوائل في القرن التاسع عشر موظفي دولة مهينين خصيصاً لهذه المهمة. أما في أواخر ذلك القرن فكان المترجمون يتفاوضون أجراً يومياً لقاء جهودهم فيمدون الصحف والمجلات الدورية بالقصص للسلسلة والمفالات ويزودون الفرق المسرحية بالأعمال المسرحية المكتوبة. وبينما اقتصت الترجمة في مرحلتها الأولى بنقل النصوص ذات الطابع العلمي - العلوم الطبيعية والتاريخية والجغرافية - انصب الاهتمام في المرحلة الثانية على القصص والنصوص الأدبية. ففي العقود الأولى التي عقيبت الحركة الوطنية الأولى وفشل ثورة أحمد عرابي والاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ اتخذ الفكر العربي منحى جديداً واكتسب الأدب أهمية فائقة.

ويروى عن طانيوس عبده (١٨٦٩ - ١٩٢٦)، شيخ المترجمين في عصره، أنه كان يجلس في المقهى، يتناول طعامه ويترجم. كان بين الحين والآخر يفتح الكتاب الفرنسي الذي بين يديه، فيقرأ عدة صفحات ثم يضع الكتاب جانباً ويشرع في كتابة ترجمته دون أن يضطر فيما بعد إلى تفسير كلمة واحدة (المنال، الجزء ١٧). كان طانيوس عبده يحلف من النص أو يضيف إليه حسب ما يراه ملائماً للذوق القراء. ويُقدّر عدد الكتب والمسرحيات التي ترجمها عن اللغة الفرنسية بأكثر من ستمئة كتاب، منها مسرحية شيلر «الحب والديسية»^١. ولقد قام بتحويلها لإعطائها طابعاً شرقياً محضاً. في مستهل القرن العشرين كانت الروايات التاريخية أو قصص المغامرات وأدب الرحلات، بما فيها حكايات الشرق - تلك القصص التي تم اختيار الشرق كوليصة رومانسية لها - تستولي على الحيز الأكبر من الأعمال الأدبية المترجمة وذلك دون تمييز يُذكر بين أدب راق ومبتذل.

ولم يلبث أن ظهر، كردة فعل على غلبة الترجمات التجارية المنجزة على عجل، عدد من الكتاب يطالبون بترجمات دقيقة وذات مستوى أدبي عال. ويؤكد شاهر النيل، حافظ إبراهيم، في مقدمة ترجمته للجزء الأول من كتاب «البؤساء» لفكتور هوغو أن هدفه الرئيسي هو إعادة الاعتبار للنص الأصلي وإعطاء الترجمة الأدبية رونقها. والحقيقة أن حافظ إبراهيم، الأديب الحريص على اللغة العربية الفصحى، لم يكن معنياً بترجمة آمنة ودقيقة للنص بقدر ما كان يطمح إلى إنجاز عمل أدبي متميز. فكان يستعيز عن قصور معرفته باللغة الفرنسية بأسلوبه البلاغي القوي ولغته المجازية النابعة عن معرفته الواسعة بالتراث الأدبي. فنجدته يكثر من استخدام الشواهد المستقاة من القرآن الكريم أو من الشعر العربي القديم. كان حافظ إبراهيم - على حد تعبير أحد الكتاب المعاصرين له - يترجم الرواية وكأنها قصيدة. ويبدو أن هذه الملاحظة في موضعها: «جلس الشاعر الكبير حافظ إبراهيم في مقهى «الشيشة» يدخن ويشرب قهوته، ويترجم من كتاب فيكتور هوغو. جلس ثلاث ساعات لم يخط خلالها سوى ثلاث جمل على الورق.»^٢

شاعت في تاريخ الأدب العربي تسمية العقد الأول والثاني من القرن العشرين بعهد المنفلوطي (١٨٢٦ - ١٩٢٤). ويجهل عدد كبير من القراء العرب أن شهرة المنفلوطي عائدة إلى روايات مقتبسة عن أعمال أوربية: فرواية «تحت ظلال الزيزفون» من تأليف ألفونس كار، و«بول وفرجين» لبرناردان دي سان بيير Bernardin de St. Pierre و «غادة الكاميليا» لالكسندر دوما. وإلى يومنا هذا ما زالت جميع هذه الأعمال تنسب إلى المنفلوطي. علماً بأن المنفلوطي لم يكن ملماً بأي لغة أجنبية، فكان يكتب رواياته وفق مسودات لترجمات حرفية أجهزت خصيصاً له. ففي كتاب «العبرات» مثلاً يلخص المنفلوطي ويعيد سرد مجموعة من القصص للمأخوذة عن مؤلفات فرنسية، ما كان له أن يطلع عليها مباشرة.

إن شهرة المنفلوطي وتأثيره الواسع يعودان بالدرجة الأولى إلى فصاحة لسانه وقدرته البالغة على التعبير وإثارة مشاعر القارئ. وعن ترجمته لرواية ألفونس كار، التي نشرت بعنوان «ماجدولين»، كتب عبد العزيز البشري، إحدى الشخصيات الأدبية البارزة في ذلك العصر: "لقد قرأت الكثير من الكتب والقصص لكبار الشعراء والروائيين، من مؤلفي الأدب القديم والحديث؛ عادلٌ معظمها «ماجدولين» من حيث تجارر المألوف وسعة الخيال وقوة التعبير إلا أن أياً منها لم يثر عواطفني ويملك عليّ إحساسي بالمقدار الذي فعلته روايتك. فبالله قل لي، كيف تمكنت أن تبرع بهذا الشكل وتستحوذ على وجدان القارئ...؟ فلم يكن بوسع معنى أو لفظ التمتع على قلمك...". (جريدة الأهرام، ١٨ نوفمبر سنة ١٩١٧).

وعن تأثير المنفلوطي كتب اسماعيل أدهم، مؤرخ الأدب العربي، سنة ١٩٣٨: "والحقيقة أن أعمال المنفلوطي كان لها تأثير لا يصدق على الأدب العربي. فنفخ قلب جيل بكامله، من دمشق في المشرق إلى قاس في المغرب، على وقع دقات قلب «ماجدولين». (مجلة «الحوادث»، ١٩٣٨).

وبالرغم من أن مصطفى لطفي المنفلوطي انتقد بشدة ظاهرة التفرغ وطالب بالحد من تأثير الشفافة الأوروبية فإنه قد وجد نفسه مضطراً إلى الاستقاء من الأدب الأوروبي لكتابة رواياته وإبراز قدراته اللغوية. ذلك أن ترجمة أو إعادة سرد نص كانت تعني بالدرجة الأولى إثبات مقدرة اللغة العربية على مواجهة اللغة الأجنبية. فكان من المهم بالنسبة له وبالنسبة لأدباء آخرين من جيله الرد على الادعاءات القائلة بقصور اللغة العربية والتأكيد على أنها قادرة كعادة تعبير حديثة على إبداع العبارات والأساليب الجديدة.

في العشرينات، وعلى أثر الثورة الشعبية في مصر سنة ١٩١٩، علقت الأصوات المطالبة بترجمة دقيقة ومبدعة في آن واحد. وإزداد وضوحاً أن نهضة الأدب العربي التي يسعى إليها جيل جديد من كبار الأدباء، من أمثال طه حسين ومحمد حسن الزيات ومحمد فريد أبو حديد وعباس محمود العقاد وأحمد أمين وعبد القادر المازني، لن تتم إلا عبر نقل الشفافة الأوروبية إلى العربية. فكما احتوت اللغة والحضارة العربية في الزمن الغابر مختلف الثقافات وارتقت بها إلى مقام لغة عالمية، لن يتم اليوم تجديد اللغة العربية إلا عن طريق تلقي واستيعاب الأدب والفن الأوروبي. ولن تتمكن العربية من المساهمة في الأدب العالمي ما لم تستطع التغلب على عزتها وإقامة جسر يصلها بعالم الحداثة. هذا ما أكدته المترجم والناقد والناشر محمد حسن الزيات بمناسبة تأسيس لجنة التأليف والترجمة والنشر. (الرسالة، العدد ١٧٦، ١٦ نوفمبر ١٩٣٦).

الزيات ومعظم كتاب جيله مثال واضح للأدب العربي متعدد الجوانب الذي لم يمتد حصر نشاطه الفني في مجال أدبي واحد. فهم صحافيون ونقاد ومؤرخون وروائيون ومترجمون في آن واحد، يتقاضون راتباً شهرياً يناهضون منه كموظفين في مختلف المنشآت التربوية والتعليمية أو كمحامين ورؤساء تحرير.

ولقد جاء تأسيس اللجنة المذكورة أعلاه تعبيراً عن التحول الذي حدث فيما يخص ترجمة الأدب الحديث من اللغات الأوروبية إلى العربية حيث أكدت اللجنة على الأهمية البالغة التي يجب أن تولي لترجمة أدبية رفيعة المستوى نفي النص الأصلي حقه. فأصبحت عمليات الاقتباس والتحويل والحذف والتلخيص الراجعة سلفاً تخضع لأحكام التحريف والتزوير. بالمقابل لم تعد الترجمة عملاً ثانوياً أقل شأناً من التأليف. ويظهر ذلك واضحاً في حكم جديدر بالذكر أصدرته المحكمة في قضية نزاع عام ١٩٣٤ فضفت له محمد عوض محمد، مترجم «فاوست» و «هرمان وهورتيا» لفوته، معتبراً إياه حدث السنة الأهم. أما السبب الذي دعمت المحكمة حكمها به فهو أن المترجم يراعي في عمله عقبات وصعوبات جمّة، وتبعاً لذلك اعتبرت المحكمة جهود المترجم أولى بالتقدير من جهود المؤلف.

(١) في وقت لاحق قام عدة مترجمين بنقل مسرحية شيلرن الألمانية، فاختار كل منهم عنواناً مختلفاً لعمله: «مؤامرة فرام»، «الحب والحلاسية»، «الحب والدمسية»، «المؤامرة والحب». ولم يتيسر لنا معرفة العنوان الذي اختاره طابوس عبده لترجمته.

ترجمة: ماجدة بركات

المصدر: مجلة Sprache im technischen Zeitalter, Nr. 69, Dez. 1985

الأدب العربي والألماني الحديث في متناول الجميع

يبدأ معهد جوته - المركز الثقافي الألماني - مشروعاً طموحاً على الإنترنت؛ لمدة أربعة أسابيع يشرع ستة من الأدباء الألمان من الجيل الجديد بالكتابة عن عدد من العواصم العربية، بينما يسافر ستة من الأدباء العرب إلى ألمانيا، حيث يرسمون صورة لسنة من المدن الألمانية الكبرى - مشروع «رواة المدن» هو جزء من المنتدى الأدبي الألماني العربي على الإنترنت (MIDAD)، والذي سوف يطلق في بداية شهر مايو عبر شبكة الإنترنت على العنوان التالي: www.goethe.de/midad، بادئاً بأولى يوميات الأديب الألماني من مدينة شتوتجارت "خوزيه أوليفر" عن القاهرة. وإلى حين بدء معرض فرانكفورت للكتاب، والذي يمثل «العالم العربي» - محوره الأساسي، سيقوم المنتدى الأدبي الألماني العربي على الإنترنت (MIDAD) علاوة على ما سبق بتقديم والتعريف بسبعين من الكتاب العرب من جيل الشباب، بالإضافة إلى تقديم بيلوجرافى عن كتب الأدب الألماني المترجمة إلى اللغة العربية في صورة رقمية. ويعد المنتدى الأدبي الألماني العربي على الإنترنت (MIDAD)، وهو مشروع مشترك لمعاهد جوته المتواجدة بمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، كما أنه يعطى كذلك بدعم وتشجيع المؤسسة الثقافية الاتحادية بألمانيا. وسوف يساهم المنتدى الأدبي الألماني العربي على الإنترنت (MIDAD) في فتح أفاق جديدة على المجتمعات وفي زيادة التبادل الأدبي، بالإضافة إلى الاطلاع على أشكال تطور الأدب المتباعدة في كل من ألمانيا والعالم العربي. المشروع يتكون من ثلاثة أجزاء يساهم كل منها - كل بطريقة مختلفة - في تحقيق هذه الأهداف: قاعدة بيانات «الأدباء العرب الشباب»

بتنسيق من معاهد جوته وبدعم وتشجيع من جهات ألمانية أخرى بالمعالم العربي يقوم عدد من المتخصصين العرب في مجال الأدب بتشكيل مجموعة مختارة مما يقرب من ٧٠ من الأدباء العرب الشباب. حيث تساهم كل من السير الذاتية الموجزة والمقتطفات من الأعمال الأدبية في وضع تصور مبدئي لصورة الأدب العربي الحديث وخدمة الاهتمام بالأدب العربي والذي تزايد من خلال اختيار العالم العربي كمحور أساسي لمعرض فرانكفورت للكتاب. مشروع «الأدب الألماني باللغة العربية»

يتم هنا تيسير الوصول إلى الأدب الألماني المترجم إلى العربية، بصفة خاصة للقراء العرب. فالبيلوجرافيا المتواجدة على شبكة الإنترنت تتيح عملية التحديث المستمر والمتواصل، وهي تمثل بذلك أداة عصرية كمرجع أساسي لأعمال الأدب الألماني المترجمة إلى اللغة العربية. مشروع «رواة المدن»

يسافر رواة المدن العرب إلى شتوتجارت، ميونيخ، فرانكفورت، كولونيا، هامبورج وبرلين. أما في الشرق الأوسط فسينتاول رواة المدن كل من القاهرة، بيروت، عمان، رام الله، الرباط، ودمشق. ومن المقترح أن تتضح من خلال المذكرات الخاصة بمشروع رواة المدن، والتي ستظهر على الإنترنت، الصورة الأدبية التي من شأنها أن تتيح عبر انطباعات ذاتية مدخلاً جديداً وإبداعياً إلى عالم الآخر الأدبي والثقافي.

وسيبداً هذا المشروع في القاهرة على يد "خوزيه أوليفر"، وفي دمشق على يد الأدبية "أولا لينتس" القادمة من مدينة كولونيا. وفيما بعد سيسافر من الجانب الألماني كل من "زيلكا شويرمان" إلى بيروت، "شتيفان كويتسكي" إلى الرباط، "مايكل لينتس" إلى عمان و"نورمان أولر" إلى رام الله. أما الأدباء العرب والذين تم اختيارهم من قبل معاهد جوته بالتعاون مع المتخصصين في مجال الأدب بالدول المضيفة، فسيتواجدوا في ألمانيا في الأغلب في شهر سبتمبر ٢٠٠٤. علاوة على ذلك فإن رواة المدن سيقومون بمقد اجتماعات لقراءة ما كتبوه ومناقشته في معاهد جوته. والدور الأدبية المعنية، وذلك بالدول المضيفة. وسيقوم رواة المدن الألمان والعرب في معرض فرانكفورت للكتاب بعرض وتقديم نصوصهم وتجاربهم باعتبارهم شخصيات متجولة في عالم مختلف.

للحصول على معلومات حول المنتدى الأدبي الألماني - العربي على الإنترنت يرجى الاتصال بـ:

السيدة/ لينا أبو لبن، معهد جوته بالقاهرة، AbuLaban@cairo.goethe.org

منوان قسم البرامج الثقافية بالمعهد: ٥ شارع البستان، وسط المدينة، القاهرة

هاتف: ٥٧٤٩٧٧، ٥٧٤٩٧١، فاكس: ٥٧٤٩٧٠

موقع معهد جوته القاهرة / الإلكترونية: <http://www.goethe.de/cairo>

Adresse der Programmabteilung: 5 Sh. Bustan, Downtown, Kairo

Tel.: 5759877, 5748261, Fax: 5791140

Hörsaal des Goethe-Instituts Kairo/Alexandria - <http://www.goethe.de/alex>

Das Buch der Schicksale
Roman

Übers.: Doris Kilias
Beck, München 2001

Al-Hakim, Taufiq

Staatsanwalt unter Fellachen
Roman

Übers.: Horst Lothar Teweit
Unionsverlag, Zürich 1982

Al-Kald, Jussuf

Masri, der Mann aus dem Delta
Roman

Übers.: Doris Kilias
Aufbau Taschenbuch Verlag,
Berlin 1993

Al-Machssangi, Muhammad

Eine blaue Pilege
Kurzgeschichten

Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1987

Al-SaJJat, Latifa

Durchsuchungen
Roman

Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1996

Al-Tahawi, Miral

Das Zelt
Roman

Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich 2001

Die blaue Aubergine

Roman

Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich 2002

Al-Tilmissani, Majj

Dunjasd

Erzählung

Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1999

Aslan, Ibrahim

Der Ibis
Roman

Übers.: Doris Kilias
Lenos, Basel 2002

رسالة البصائر في الصالح

رواية

ترجمة: دوريس كيلياس
بيك، ميونيخ ٢٠٠١

توفيق الحكيم

يوميات نائب في الأرياف
رواية

ترجمة: هورست لوتار تيفيلات
اوتنوبن، زوريخ ١٩٨٢

يوسف القعيد

الحرب في بر مصر

رواية

ترجمة: دوريس كيلياس
أوشلو، برلين ١٩٩٢

محمد الخزرجي

الآتي، رشف المسكين
قصص قصيرة

ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ١٩٨٧

لطيفة الزيات

حملة نقوش، أوراق شخصية
قصة واقعية

ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ١٩٩٦

ميرال الطحاوي

الخيام

رواية

ترجمة: دوريس كيلياس
اوتنوبن، زوريخ ٢٠٠١

البازنجانة الزرقاء

رواية

ترجمة: دوريس كيلياس
اوتنوبن، زوريخ ٢٠٠٢

مي التمساني

دنيا زاد

رواية

ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ١٩٩٩

إبراهيم أصلان

مالك الحزين

رواية

ترجمة: دوريس كيلياس
لينوس، بازل ٢٠٠٢

ÄGYPTEN

Abdallah, Jachja Taher

Menschen am Nil

Zwei Novellen

Übers.: Hartmut Fühndrich

u. Irmgard Schrand

Lenos, Basel 1989

Abd As-Sabur, Salah

Der Nachtreisende

Eine schwarze Komödie

Di./Arab.

Übers.: Dietlind Schack

Edition Orient, Berlin 1982

Der Tod des Mystikers

Schauspiel

Übers.: Nagi Naguib

u. Stefan Reichmuth

Edition Orient, Berlin 1981

Abdelmagid, Ibrahim

Die andere Stadt – Roman

Übers.: Mona Naggar

Das Arabische Buch (jetzt: Hans

Schiler), Berlin 2000

Al-Charrat, Edwar

Safranerde – Roman

Übers.: Hartmut Fühndrich

Lenos, Basel 1990

Die Steine des Bobello

Roman

Übers.: Hartmut Fühndrich und

Edward Badeen

Lenos, Basel, 2000

Farag, Alfred

At-Tabrizi und sein Knecht

Schauspiel

Übers.: Nagi Naguib

Edition Orient 1982

Al-Ghltani, Gamal

Der safranische Fluch

Roman

Übers.: Doris Kilias

Volk und Welt, Berlin 1991

Seini Barsakat – Roman

Übers.: Hartmut Fühndrich

Lenos, Basel 1988

مصر

يحيى الطاهر عبد الله

الطوق والأسود / تصاور من

للماء والتراب والشمس

روايات، ترجمة: هارتموت فندريش

ولرمزاد شراشد

لينوس، بازل ١٩٨٩

صلاح عبد الصبور

مسافر ليل

كوميديا مواء

عربي/المثالي

ترجمة: ديتلند شاك

ديتشيون أورييت، برلين ١٩٨٢

أسامة الحلاج

مسرحية

ترجمة: ناجي نجيب

و شتيفان رابشموت

ايتشيون أورييت، برلين ١٩٨١

إبراهيم عبد المجيد

البلدة الأخرى – رواية

ترجمة: ملى نجار

هانس شيلر، برلين ٢٠٠٠

ادوار الضراط

ترايبها زعفران – رواية

ترجمة: هارتموت فندريش

لينوس، بازل ١٩٩٠

حجارة بوبلو

رواية

ترجمة: هارتموت فندريش

ادوارد بادين

لينوس، بازل ٢٠٠٠

ألفريد فرج

علي جناح التبريزي وثلبه قفة

مسرحية

ترجمة: ناجي نجيب

ايتشيون أورييت، برلين ١٩٨٢

جمال الخطاطي

وقائع حارة الزعفراني

رواية

ترجمة: دوريس كيلياس

فولك أوند فيلت، برلين ١٩٩١

الزيني بركات – رواية

ترجمة: هارتموت فندريش

لينوس، بازل ١٩٨٨



Idris, Juseuf
Die billigsten Nächte
Kurzgeschichten
Übers.: Doris Erpenbeck,
Moustafa Maher,
Horst Lothar Teweleit
Aufbau-Verlag Berlin und
Weimar 1977

Die Sinderin – Roman
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1995

Ein fleischliches Haus
Kurzgeschichten
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 2002

Machfus, Nagib
Der Dieb und die Hunde
Roman
Übers.: Doris Erpenbeck
Verlag Volk und Welt,
Berlin 1980

Die Moschee in der Gasse
Erzählungen
Übers.: Wiebke Walther
Unionsverlag, Zürich 1988

Das Hausboot am Nil – Roman
Übers.: Nagi Naguib
Edition Suhrkamp,
Frankfurt 2004

Zwischen den Palästen
Kairoer Trilogie I
Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich 1992

Palast der Sehnsucht
Kairoer Trilogie II
Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich 1993

يوسف إدريس
مختارات قصصية
قصص قصيرة

ترجمة: دوريس أرنهيك،
مصطفى ماهر
هورست لوتار تيفليت
أوفباو، برلين وفاليمار ١٩٧٧

الحرام - رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لبنوس، بازل ١٩٩٥

بيت من لحم
قصص قصيرة
ترجمة: هارتموت فندريش
لبنوس، بازل ٢٠٠٢

نجيب محفوظ
الاص والكلاب
رواية

ترجمة: دوريس أرنهيك،
فولك أونفيلت،
برلين ١٩٨٠

دنيا الله
قصص قصيرة
ترجمة: فيكه هالتر
اونيون، زوريخ ١٩٨٨

ثرثرة فوق النيل - رواية
ترجمة: ناجي نجيب
ايتسيون زوركامب،
فرانكفورت ٢٠٠٤

بين القصرين
ثلاثية (١)
ترجمة: دوريس كيلياس
اونيون، زوريخ ١٩٩٢

قصر الشوق
ثلاثية (٢)
ترجمة: دوريس كيلياس
اونيون، زوريخ ١٩٩٣

Die Spatzen vom Nil
Roman
Übers.: Doris Kilias
Lenos, Basel 2004

Bakr, Saiwa
Atijas Schrein – Roman
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1992

Die einzige Blume im Sumpf
Kurzgeschichten
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1994

Der goldene Wagen führt nicht
zum Himmel – Roman
Übers.: Evelyn Agbaria
Lenos, Basel 1997

Quth, Sayyid
Kindheit auf dem Lande
Erinnerungen
Übers.: Horst Hein
Edition Orient, Berlin 1997

Ellabbad, Mohieddin
Das Notizbuch des Zeichners
Kinderbuch
Übers.: Burgi Roos
Atlantis Verlag pro junventade,
Zürich, 2002

Hakki, Yahya
Die Öllampe der Umm Haschim
Erzählung, Arab/Dt
Übers.: Nagi Naguib
Edition Orient, Berlin 1981

Hussain, Taha
Kindheitstage
Autobiographische Erzählung,
Übers.: Marianne Lepper
Aufbau-Verlag Berlin und
Weimar, 1973

Jugendjahre in Kairo
Autobiografischer Roman
Übers.: Mustafa Maher
Edition Orient, Berlin 1986

Weltbürger zw. Kairo u. Paris
Erzählung
Übers.: Mustafa Maher
Edition Orient, Berlin 1989

Ibrahim, Sonallah
Der Prüfungsausschuss
Roman
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1987

عصافير النيل
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
لبنوس، بازل ٢٠٠٤

سلوى بكر
مقام عملية - رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لبنوس، بازل ١٩٩٢

قصص مختارة
قصص قصيرة
ترجمة: هارتموت فندريش
لبنوس، بازل ١٩٩٤

العربة الذهبية لا تصعد
إلى السماء - رواية
ترجمة: ايفلين اغباريا
لبنوس، بازل ١٩٩٧

سيد قطب
طفل من القرية
مكتبات
ترجمة: هورست هين
ايتسيون اوريونت، برلين ١٩٩٧

محي الدين اللياد
كشكول الرسام
قصة للأطفال
ترجمة: بورغي روس
اتلانتيك، زوريخ ٢٠٠٢

يحيى حقي
قنديل أم هاشم
رواية، عربي/ألماني
ترجمة: ناجي نجيب
ايتسيون اوريونت، برلين ١٩٨١

هله حسين
الأيام (١)
سيرة ذاتية
ترجمة: ماريان لاهر
أوفباو، برلين وفاليمار ١٩٧٣

الأيام (٢)
سيرة ذاتية
ترجمة: مصطفى ماهر
ايتسيون اوريونت، برلين ١٩٨٦

الأيام (٣)
سيرة ذاتية
ترجمة: مصطفى ماهر
ايتسيون اوريونت، برلين ١٩٨٩

صنع الله إبراهيم
اللجنة
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لبنوس، بازل ١٩٨٧

Echnaton	العائش في الحقيقة		
Roman	رواية		
Übers.: Doris Kilias	ترجمة: دوريس كيلياس		
Unionsverlag TB, Zürich 2001	أونيون، زيوريخ ٢٠٠١		
Der letzte Tag des Präsidenten	يوم قتل الزعيم		
Roman	رواية		
Übers.: Doris Kilias	ترجمة: دوريس كيلياس		
Unionsverlag, Zürich 2001	أونيون، زيوريخ ٢٠٠١		
Die Midaq-Gasse	زقاق المدق		
Roman	رواية		
Übers.: Doris Kilias	ترجمة: دوريس كيلياس		
Unionsverlag, Zürich 2001	أونيون، زيوريخ ٢٠٠١		
Miramar	ميرامار		
Roman	رواية		
Übers.: Wiebke Walther	ترجمة: فيبكه فالتر		
Unionsverlag, Zürich, 2002	أونيون، زيوريخ، ٢٠٠٢		
Der Rausch	الضحاح		
Roman	رواية		
Übers.: Doris Kilias	ترجمة: دوريس كيلياس		
Unionsverlag, Zürich, 2003	أونيون، زيوريخ ٢٠٠٣		
Spiegelbilder	المرآيا		
Roman	رواية		
Übers.: Doris Kilias	ترجمة: دوريس كيلياس		
Illustrationen: Saif Wanli	رسوم: سيف وانلي		
Unionsverlag, Zürich 2002	أونيون، زيوريخ ٢٠٠٢		
Die Kneipe zur Schwarzen Katze	قصص قصيرة		
Erzählungen	مجموعة قصص		
Übers.: Doris Kilias	ترجمة: دوريس كيلياس		
Volk und Welt, Berlin 1993	هولك أونلد فيلت، برلين ١٩٩٣		
Die sagenreiche Nacht	قصص مختارة		
Erzählungen	قصص قصيرة		
Übers.: H. Fährndrich	ترجمة: هارتموت فاندريش		
u. Wiebke Walther	و فيبكه فالتر		
Unionsverlag, Zürich 1994	أونيون، زيوريخ ١٩٩٤		
Mussa, Sabri	مسيري موسى		
Wüstenwölfe - Roma	فساد الأمكنة - رواية		
Übers.: Regina Karachouli	ترجمة: ريجينا كرشولي		
Reclam, Leipzig 1991	ريكلام، لايبزيغ ١٩٩١		
Saat des Verderbens	فساد الأمكنة		
Roman	رواية		
Übers.: Regina Karachouli	ترجمة: ريجينا كرشولي		
Lenos, Basel, 2003	لينوس، بازل ٢٠٠٣		
Affäre halber Meter	حادثة النصف متر		
Erzählung	رواية		
Übers.: Regina Karachouli	ترجمة: ريجينا كرشولي		
Lenos, Basel 2004	لينوس، بازل ٢٠٠٤		
Ragab, Mona	منى رجب		
Das Maskenspiel - Erzählungen	مختارات قصصية		
Übers.: Nermin Sharkawi	ترجمة: نرمين شرفاوي		
Dipa-Verlag, Frankfurt a.M. 1991	ديبا، فرانكفورت، ١٩٩١		
		Die Magier	
		المسكورة	
		ثلاثية (٢)	
		ترجمة: دوريس كيلياس	
		أونيون، زيوريخ ١٩٩٤	
		الحرافيش	
		رواية	
		ترجمة: دوريس كيلياس	
		أونيون، زيوريخ ١٩٩٥	
		أولاد حارتنا	
		رواية	
		ترجمة: دوريس كيلياس	
		أونيون، زيوريخ ١٩٩٥	
		رحلة ابن بطوطة	
		رواية	
		ترجمة: دوريس كيلياس	
		أونيون، زيوريخ ٢٠٠٤	
		أصداء المسيرة الذاتية	
		سيرة ذاتية	
		ترجمة: دوريس كيلياس	
		أونيون، زيوريخ ١٩٩٧	
		الطريق	
		رواية	
		ترجمة: دوريس كيلياس	
		أونيون، زيوريخ ١٩٩٧	
		حاضرة المحترم	
		رواية	
		ترجمة: دوريس كيلياس	
		أونيون، زيوريخ ١٩٩٨	
		ألف ليلة وليلة	
		رواية	
		ترجمة: دوريس كيلياس	
		أونيون، زيوريخ ٢٠٠٠	
		بداية ونهاية	
		رواية	
		ترجمة: دوريس كيلياس	
		أونيون، زيوريخ ٢٠٠٠	





Rifaat, Alfa
Erste Liebe - letzte Liebe
Erzählungen
Übers.: Suleman Taufiq
Edition Orient, Berlin 1989

Die Mädchen von Burdain
Roman
Übers.: Regina Karachoul
Unionsverlag, Zürich 1995

Zeit der Jasminblüte
Erzählungen
Übers.: Nagi Naguib
Unionsverlag, Zürich 1990

Die zweite Nacht nach tausend
Nächten - Erzählungen
Übers.: Suleman Taufiq
Edition Orient, Berlin 1991

Saadawi, Nawal El
Ein moderner Liebesbrief
Erzählungen
Übers.: Yasmeen Ammar
Rowohlt, Hamburg 1987

Hamidas Geschichte
Erzählung
Übers.: Susanne Enderwitz
dtv, München, Neuaufg., 1994

Kassem, Abdalhakim
Der Erwählte / Selseimes vom
Jenseits - Erzählungen
Übers.: Hartmut Fährndrich
Lenos, Basel 2004

Abbas, Khaled
Taubentum
Romsa
Übers.: Barbara Winkler
und Khaled Abbas
Kiepenheuer & Witsch,
Köln 2004

Bary, Tarik
Der König der Dinge
Roman für Kinder
Übers.: Doris Kilias
Atlantis Verlag - Orell Plessli,
Zürich 2004

Shoukry, Girgis
Was von uns übrig bleibt,
kümmt niemanden - Gedichte
Übers.: Suleman Taufiq
Verlag Söhen, St. Gallen 2004

Taher, Walid
Mein neuer Freund
Kinderbuch

أليفة رفعت

أول حب - آخر حب
قصص قصيرة
ترجمة: سليمان توفيق
اديتسيون أورييت، برلين ١٩٨٩

صبايا بردين
رواية
ترجمة: ريجينا قرشولي
اوينين، زوريخ ١٩٩٥

موسم الياسمين
قصص قصيرة
ترجمة: ناجي نجيب
اوينين، زوريخ ١٩٩٠

الليلة الثانية بعد الألف
قصص قصيرة
ترجمة: سليمان توفيق
اديتسيون أورييت، برلين ١٩٩١

نوال السعدوي
موت ممالي الوزير سابقا
قصص قصيرة
ترجمة: ياسمين عمار
روفلوت، هامبورغ ١٩٨٧

أغنية الأطفال الدائرة
رواية
ترجمة: زوزلانا اندريوش
د ت ف، ميونيخ ١٩٩٤

هيد الحكيم قاسم
المهدي / طرف من خير الأخرة
قصص قصيرة
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ٢٠٠٤

خالد عباس
برج الحمام
رواية
ترجمة: بربارا فينكلر
و خالد عباس
كيبهوير و فيتش،
كولن ٢٠٠٤

طارق باري
ملك الأشياء
رواية للأطفال
ترجمة: دوريس كيلياس
أتلانتيس - أورل هوسلي،
زوريخ ٢٠٠٤

جيرجيس شكري
لم تعد بقاياها مدمجة
شعر
ترجمة: سليمان توفيق
ساوبن، سانت غال ٢٠٠٤

وليد طاهر
صاحبي الجديد
قصص للأطفال

Übers.: Petra Dinges
Edition Orient, Berlin 2004

Taher, Baha
Tante Safiya und das Kloster
Roman
Übers.: Doris Kilias
Lenos, Basel 2003

ALGERIEN

Boudjedra, Rachid
Befruchtung
Gedichte
Übers.: Isam Beydoun
Kinzelsbach, Mainz 1991

Timimoun - Roman
Übers.: Hatem Lahmar
und Tina Aschenbach
Kinzelsbach, Mainz 1995

Die Auflösung
Roman
Übers.: Monika Hoffmann
und Selah Tamen
Kinzelsbach, Mainz 1996

Die Zerfaserung
Roman
Übers.: Farid Benfeghoul
Kinzelsbach, Mainz 1997

Die 1001 Jahre der Schasucht
Übers.: Nuha Forst
und Angelika Rahmer
Kinzelsbach, Mainz 1999

Laredsch, Wassini
Die Hüterin der Schatten oder Don
Quichotte in Algier
Roman
Übers.: Kristina Stock
Lenos, Basel 1999

ترجمة: بيترا دونفس
اديتسيون أورييت، برلين ٢٠٠٤

بهاء طاهر
خاتني صافية والدير
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
لينوس، بازل ٢٠٠٣

الجزائر

رشيد بوجدر
الفتاح
شعر

ترجمة: عصام بيضون
كينتسليخ، ماينتس ١٩٩١

تميمون - رواية
ترجمة: حاتم الأحمير
و تينا أشنباخ
كينتسليخ، ماينتس ١٩٩٥

الموت
رواية
ترجمة: مونيك هوفمان
و صلاح تامن
كينتسليخ، ماينتس ١٩٩٦

التفكك
رواية
ترجمة: فريد بنغفول
كينتسليخ، ماينتس ١٩٩٧

ألف هام وهام من الحنين
ترجمة: نهي فورست
و أنجليكا رامر
كينتسليخ، ماينتس ١٩٩٩

وياسيني الأصغر
حارسه الظلال
دون كيشوت في الجزائر
رواية
ترجمة: كريستينا ستوك
لينوس، بازل ١٩٩٩

Übers.: Khalid Al-Maaly
u. Stefan Linster
Das Arabische Buch, Berlin 1994

ترجمة: خالد المالحي
و شفيان لينستر
هانس شيلر، برلين 1994

Das halbe Sein
Übers.: Khalid Al-Maaly
u. Mitw. v. I. Knips u. H. Zierl
edition fundamental,
Köln 1993

الوجود النصفى
ترجمة: خالد المالحي
مع إ. كنابس و ه. زيرل
إديتسيون فوندامنتال،
كولونيا 1993

Klage eines Kehlkopfes
Gedichte
Übers.: Khalid Al-Maaly u. Mitw.
v. I. Knips, Stefan Linster
u. Hiltrud Zierl
edition fundamental,
Köln 1992

في رثاء كهلkopf
شعر
ترجمة: خالد المالحي
بالاشتراك مع إ. كنابس
وشفيان لينستر و هيلترود زيرل
إديتسيون فوندامنتال،
كولونيا 1992

Landung auf dem Festland
Gedichte, Arab./Dt.
Übers.: Khalid Al-Maaly
u. Heribert Becker
Das Arabische Buch, Berlin 1997

الهبوط على اليابسة
شعر، عربي/ألماني
ترجمة: خالد المالحي
و هريبرت بيكر
هانس شيلر، برلين 1997

Mitternachtswüste
Gedichte
Übers.: Khalid Al-Maaly
u. Mitw. v. Gisela Haehnel
u. Stefan Linster,
Mit Ill. v. Hayder Amir
Landespresse,
Weilerswist 1997

صحراء منتصف الليل
شعر
ترجمة: خالد المالحي
بالاشتراك مع جيزيلا هينل
وشفيان لينستر
رسوم: حيدر أمير
لانديسبريسه،
فايلرسفيست 1997

Eine Phantasie aus Schilf
Gedichte, Arab./Dt.
Übers.: Khalid al-Maaly
u. Stefan Weidner
Das Arabische Buch, Berlin 1994

خيال من قصب
شعر، عربي/ألماني
ترجمة: خالد المالحي
وشفيان فايندر
هانس شيلر، برلين 1994

Al-Rubate, Abdulrahman
Solange die Sonne noch scheint
Erzählungen, Arab. /Dt.
Übers.: Kristina Stock
Edition Orient, Berlin 2004

صيد الرحمن الربيعي
مختارات قصصية
قصص، عربي/ألماني
ترجمة: كريستينا ستوك
إديتسيون أوريينت، برلين 2004

As-Sayyab, Badr Shakir
Die Regenhymne
Gedichte, Arab./Dt.
Hrsg. u. Übers.: Khalid al-Maaly
u. Stefan Weidner
Das Arabische Buch, Berlin 1995

بدر شاكور السحاب
انشودة المطر
شعر، عربي/ألماني
ترجمة: خالد المالحي
و شفيان فايندر
هانس شيلر، برلين 1995

Boulos, Sargon
Ein unbewohnter Raum
Erzählungen, Arab. /Dt.
Übers.: Suleman Taufiq
Edition Orient, Meerbusch Berlin
1996

سركون بولوس
غرفة مهجورة
قصص، عربي/ألماني
ترجمة: سليمان توفيق
إديتسيون أوريينت، ميربوش،
برلين 1996

Zeugen am Ufer
Gedichte, Arab. /Dt.
Übers.: Khalid al-Maaly

شهود على الضفاف
شعر، عربي/ألماني
ترجمة: خالد المالحي



Wattar, Tahir
Mautierhochzelt
Roman
Übers.: Helga Walter
Edition Orient, Berlin 1991

الظاهر وطار
عرس بقل
رواية
ترجمة هيلغا فالتر
إديتسيون أوريينت، برلين 1991

Das Erdbeben – Roman
Übers.: Helga Walter
Edition Orient,
Meerbusch (jetzt: Berlin), 1995

الزلزال – رواية
ترجمة: هيلغا فالتر
إديتسيون أوريينت،
ميربوش/برلين 1995

IRAK

العراق

Al-Azzawi, Fadhl
Auf einem magischen Fest
Gedichte
Übers.: Fadhl al-Azzawi
u. Heribert Becker
Das Arabische Buch (jetzt: Hans
Schiler), Berlin 1998

فاضل الوزاوي
في حفلة سحرية
شعر
ترجمة: فاضل الوزاوي
و هريبرت بيكر
هانس شيلر، برلين 1998

Al-Bayyati, Abdul-Wahab
Aisches Garten – Gedichte
Übers.: Khalid al-Maaly
u. Heribert Becker
Das Arabische Buch (jetzt:
Hans Schiler), Berlin 2002

عبد الوهاب البياتي
بستان عائشة
شعر
ترجمة: خالد المالحي
و هريبرت بيكر
هانس شيلر، برلين 2002

Al-Dahoodi, Zuhdi
Abschied von Ninive
Übers.: Zuhdi al-Dahoodi
Internationales Kulturwerk,
Hildesheim, 2001

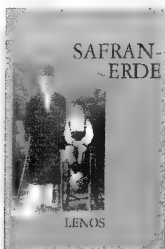
زهدي الداودي
وسملا نينوى
ترجمة: زهدي الداودي
انترناتسيونال كالتورفيرك،
هيلديسهايم 2001

Al-Dechanabi, Abdalkader
Vertikale Horizonte. Von Bagdad
nach Paris – Autobiographie
Übers.: Larissa Bender
und Hartmut Fildhndrich
Lenos, Basel 1997

عبد القادر الجنابي
تربية عبد القادر الجنابي
سيرة ذاتية
ترجمة: لاريسا بندر
و هارتموت فيلدريش
لنوس، بازل 1997

Al-Maaly, Khalid
Gedanken über das Lauwarne
Gedichte

خالد المالحي
أفكار عن الفائر
شعر



Sahras Geschichte
Roman
Übers.: Veronika Theis
Lenos, Basel 1989

Zwei Frauen am Meer
Roman
Übers.: Hartmut Fährdrich
marebuchverlag, Hamburg 2002

Al-Daif, Raschid
Lieber Herr Kawabata
Roman
Übers.: Hartmut Fährdrich
Lenos, Basel 1998

Al-Hadji, Unai
Die Liebe und der Wolf -
Die Liebe und die Anderen
Gedichte, Arab. / Dt.
Übers.: Khalid al-Maaly
u. Heribert Becker
Das Arabische Buch, Berlin 1998

Baalabakki, Latifa
Ich liebe - Roman
Übers.: Leila Chamman
Lenos, Basel 1994

Dawud, Hassan
Der Gesang des Pinguins
Roman
Übers.: Doris Kilias
Lenos, Basel 2000

Tage zuviel
Roman
Übers.: Hartmut Fährdrich
Lenos, Basel 2002

Ghbran Khalil Ghbran
Liebesbriefe an May Ziadeh
Übers.: Ursula Assaf-Nowak
u. S. Yussuf Assaf
Walter, Solothurn 2000

حكاية زهرة
رواية
ترجمة: فيرونكا تايس
لينوس، بازل 1989

امراتان على البحر
رواية
ترجمة: هارتموت فährدرش
ماربوخفلاغ، هامبورغ 2002

رشيد الضعيف
عزيري السيد كواباتا
رواية
ترجمة: هارتموت فährدرش
لينوس، بازل 1998

أنسي الحاج
الحب والتعلم -
الحب والآخرين
شعر، عربي/ ألماني
ترجمة: خالد المالحي
و هريبرت بيكر
مانس شيلر، برلين 1998

ليلى بعلبكي
أنا أحيا - رواية
ترجمة: ليلى شجاع
لينوس، بازل 1994

حسن داوود
غناء البطريق
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
لينوس، بازل 2000

أيام زائكة
رواية
ترجمة: هارتموت فährدرش
لينوس، بازل 2002

جيران خليل جبران
رسائل حب إلى مي زيادة
ترجمة: أوزولا عساف نوافك
و س. يوسف عساف
هالتر، زوريخ/ دوسلدورف 2000

u. Stefan Weidner
Das Arabische Buch, Berlin, 1997

Mamdouch, Alla
Mottenkugeln
Roman
Übers.: Regina Karachouli
Lenos, Basel 1998

Die Leidenschaft
Roman
Übers.: Regina Karachouli
Lenos, Basel 2004

Yussuf, Saadi
Fern vom ersten Himmel
Gedichte
Übers.: Khalid al-Maaly
und Heribert Becker
Verlag Hans Schiler, Berlin 2004

Wafi, Najem
Krieg im Vergnügungsviertel
Roman
Übers.: J. Paul
Penspol, Hamburg 1989

Reise nach Tell al-Lahm
Roman
Übers.: Imke Ahlf-Wien
Hanser Verlag, München 2004

al-Saadi, Jamli Hussain
Der Nachlaß des
Glasperlenspieler - Roman
Übers.: Angela Tschornig
Papyni, Hamburg 1995

KUWAIT

Al-Osman, Laitha
Die Wände zerreißen
Erzählungen
Übers.: Soleman Taufiq
Edition Orient, Berlin 1991

Zahra kommt ins Viertel
Erzählungen
Übers.: Angelika Rahner und
Nuba Forst
Edition Orient, Meerbusch, Berlin
1993

LIBANON

Awwad, Taufik Jussuf
Tamima
Roman
Übers.: Wiebke Walter
Philipp Reclam jun., Leipzig 1983

و شتيفان فايدنر
مانس شيلر، برلين 1997

حائية ممدوح
حيات التفاتين
رواية
ترجمة: ريجينا كراشولي
لينوس، بازل 1998

الولع
رواية
ترجمة: ريجينا كراشولي
لينوس، بازل 2004

سعدي يوسف
مفتارات شعرية
شعر
ترجمة: خالد المالحي
و هريبرت بيكر
مانس شيلر، برلين 2004

نجم والي
الحرب في حي العروب
رواية
ترجمة: ي. باولي
برسبول، هامبورغ 1989

تل النسم
رواية
ترجمة: إمكة آلف فاين
هانز هيرلاغ، ميونيخ 2004

جميل حسين السعدي
طريقة لعب الكريات الزجاجية
رواية
ترجمة: أنجيلا تشورنغ
بابيري، هامبورغ 1995

الكويت

ليلى العثمان
جدران تنزق
قصص قصيرة
ترجمة: سليمان توفيق
ايتشيون اوريغنت، برلين 1991

زهرة تدخل الحي
قصص قصيرة
ترجمة: أنجليكا رامر
و نوب فورست
ايتشيون اوريغنت،
ميروين، برلين 1993

لبنان

توفيق يوسف حواد
طواحين بيروت
رواية
ترجمة: ديبكة هالتر
ريكلام، لايبزيغ 1983

Das Tor zur Sonne – Roman
Übers.: Leila Chammaa
Klett Cotta, Stuttgart 2004

باب الشمس - رواية
ترجمة: ليلى شمع
كليت كوت، شتوتغارت ٢٠٠٤

Nasrallah, Emily
Kater Ziku lebt gefährlich
Übers.: Doris Kilias
Orel Fußli, Zürich 1998

إميلي نصرالله
يوميات هر
ترجمة: دوريس كيلياس
أورل فوسلي، زيوريخ ١٩٩٨

Flug gegen die Zeit
Roman
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1991

الإقلاع عكس الزمن
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ١٩٩١

Das Pfand – Roman
Übers.: Doris Kilias
Lenos, Basel 1996

الرهنينة - رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
لينوس، بازل ١٩٩٦

Septembervögel – Roman
Übers.: Veronika Theis
Lenos TB, Basel, 1996

طيور أيلول - رواية
ترجمة: فيرونكا تايس
لينوس ت ب، بازل ١٩٩٦

Rifka, Fuad
Das Tal der Rituale
Gedichte, Arab./Dt.
Übers.: Ursula u. Simon
Yussuf Assaf
sowie Stefan Weidner
Straelener Manuskripte,
Straelen 2002

فؤاد رفقة
وادي الطقوس
شعر، عربي/ألماني
ترجمة: أورولا
و سيمون يوسف صصاف
مع شتيفان فايندر
شترايلنر مانوسكربت،
شترايلن ٢٠٠٢

Tagebuch eines Holzsammlers
Gedichte, Arab./Dt.
Übers.: Ursula u. Simon
Yussuf Assaf
Heiderhoff, Eisingen 1999

يوميات حطاب
شعر، عربي/ألماني
ترجمة: أورولا
و سيمون يوسف صصاف
هايدرهورف، آيزينغن ١٩٩٩

Tagebuch eines Indianers
Gedichte, Arab./Dt.
Übers.: Ursula u. Simon
Yussuf Assaf
Heiderhoff, Eisingen 1994

يوميات هندي أحمـر
شعر، عربي/ألماني
ترجمة: أورولا
و سيمون يوسف صصاف
هايدرهورف، آيزينغن ١٩٩٤

Stijade, Chaled
Freitag, Sonntag
Autobiographie.
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1996

خالد زيادة
يوم الجمعة، يوم الأحد
سيرة ذاتية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ١٩٩٦

Junis, Iman Humaidan
Wilde Maulbeeren
Roman
Übers.: Kristina Stock
Lenos, Basel 2004

إيمان حميدان يونس
توت بري
رواية
ترجمة: كريستينا شتوك
لينوس، بازل ٢٠٠٤

Jabir, Rabi
Die Reisen des Mohammed aus
Granada
Roman
Übers.: Nermin Sherkwawi
Verlag Hans Schiler, Berlin 2004

ربيع جابر
رحلة محمد الفراتي
رواية
ترجمة: نرمن شركاوي
هانس شيلر، برلين ٢٠٠٤



Die Musik/ Der Reigen.
Übers.: Ursula Assaf-Nowak
u. S. Yussuf Assaf
Ill. v. Françoise G. Hietstand
Walter, Zürich/ Düsseldorf
1998

الموسيقى / المواكب
ترجمة: أورولا صصاف نوكاف
و س. يوسف صصاف
رسوم: ف. ج. هيتشتاند
فالتر، زيوريخ/دوسلدورف
١٩٩٨

Die Nymphen der Tüler
Drei Novellen
Übers.: Ursula Assaf-Nowak
u. S. Yussuf Assaf
Walter, Zürich/ Düsseldorf,
1999

عرائس المروج
ثلاث روايات
ترجمة: أورولا صصاف نوكاف
و س. يوسف صصاف
فالتر، زيوريخ/دوسلدورف
١٩٩٩

Rebellische Geister
Geschichten
Übers.: Ursula Assaf-Nowak
u. S. Yussuf Assaf
Walter, Solothurn 1993

الأرواح المتمردة
قصص قصيرة
ترجمة: أورولا صصاف نوكاف
و س. يوسف صصاف
فالتر، زولوتورن ١٩٩٣

Gebrochene Flügel
Geschichten
Übers.: Ursula Assaf-Nowak
u. S. Yussuf Assaf
Walter, Solothurn 1995

الأجنحة المكسرة
قصص قصيرة
ترجمة: أورولا صصاف نوكاف
و س. يوسف صصاف
فالتر، زولوتورن ١٩٩٥

Eine Träne und ein Lächeln
Gedichte
Übers.: Ursula Assaf-Nowak
u. S. Yussuf Assaf
Walter, Solothurn 1995

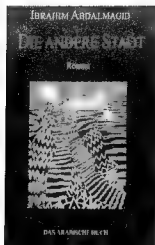
دمعة وابسامة
شعر
ترجمة: أورولا صصاف نوكاف
و س. يوسف صصاف
فالتر، زولوتورن ١٩٩٥

Khoury, Elias
Der geheimnisvolle Brief
Roman
Übers.: Leila Chammaa
Beck, München 2000

إلياس خوري
مجمع الأسرار
رواية
ترجمة: ليلى شمع
بيك، ميونيخ ٢٠٠٠

Das Königreich der Fremdlinge
Roman
Übers.: Leila Chammaa
Das Arabische Buch (jetzt:
Hans Schiler), Berlin 1998

مملكة الغرباء
رواية
ترجمة: ليلى شمع
هانس شيلر، برلين ١٩٩٨



Jean Genet und Tennessee
Williams in Tanger
Erzählung
Übers.: Doris Kilias
Kelner, Hamburg 1995

Zoco Chico
Roman
Übers.: Mona Naggar
Das Arabische Buch (jetzt:
Hans Schiler), Berlin 1998

PALÄSTINA

Bessies, Muin
Palästina im Herzen
Gedichte
Übers.: Johanna u. M. Haikal
Verlag Volk u. Welt,
Berlin 1982

Darwish, Mahmoud
Ein Gedächtnis für das Vergessen
Übers.: Kristina Stock
Lenos, Basel 2001

Warum hast du das Pferd allein
gelassen?
Gedichte, Arab / Dt.
Übers.: Khalid al-Ma'atly
u. Heribert Becker
Das Arabische Buch, Berlin 2003

Weniger Rosen
Gedichte, Arab / Dt.
Übers.: Khalid al-Ma'atly
u. Heribert Becker
Das Arabische Buch, 2002

Wir haben ein Land aus Worten
Gedichte, Arab / Dt.
Übers.: Stefan Weidner
Ammann, Zürich 2002

جان جنيت في طنجة/
تينيسي وليامز في طنجة
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
كلتر، هامبورغ 1995

السوق الداخلي
رواية
ترجمة: منى نجار
هانس شيلر، برلين 1998

فلسطين

معين بسيسو
قصائد مختارة
ديوان شعر
ترجمة: يوهانا
ومصطفى هوكل
فولك لوند فلهت، برلين 1982

محمود درويش
ذاكرة النسيان
ترجمة: كريستينا شتوك
لينوس، بازل 2001

لماذا تركت الحصان وحيداً؟
شعر
عربي/اللماني
ترجمة: خالد المايلي
و هريبرت بيكر
هانس شيلر، برلين 2003

ورد أقل
شعر، عربي/اللماني
ترجمة: خالد المايلي
و هريبرت بيكر
هانس شيلر، برلين 2002

لنا بلد من كلام
مقتربات شعرية، عربي/اللماني
ترجمة: شتيفان فايدنر
امان، زوريخ 2002

Beydoun, Abbas
Eine Saison in Berlin
Übers.: Leila Chammaa
und andere
Edition Selene, Wien 2004

LIBYEN

Al-Koni, Ibrahim
Blutender Stein
Roman
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1995

Goldstaub
Roman
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1997

Nachtkraut
Roman
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1999

Schlafloses Auge
Aphorismen aus der Sahara
Übers.: Hartmut Fühndrich,
Fotos: Alain Sebè
u. Bemy Sebè
Lenos, Basel 2001

Die Magier
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 2001

Ein Haus in der Sehnsucht
Roman aus der Sahara
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel, 2003

Die steinerne Herrin
Erzählung
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 2004

MAROKKO

Choukri, Mohamed
Das nackte Brot
Autobiographischer Roman u.
Erzählungen
Übers.: Georg Brunold
u. Viktor Kocher
Piper TB, München 1992

Zeit der Fehler
Kurzgeschichten
Übers.: Doris Kilias
Eichborn, Frankfurt a.M. 1994

عباس بيضون
مختارات شعرية
ترجمة: ليلى شامع
وآخرون
ادبتيون سيلينا، هيلنا 2001

ليبييا

إبراهيم الكوني
نزيف الحجر
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل 1995

التبر
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل 1997
عشب الليل
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل 1999

نصوص مختارة
نصوص مختارة من: التاموس،
صعراشي الكبري، ديوان الير
والبحر.. إلخ
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل 2001

المجنوس
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل 2001

بيت في الدنيا وبيت في الحين
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل 2002

السحرة
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل 2006

المغرب

محمد شكري
الخيز الحافي
رواية - سيرة ذاتية
قصص قصيرة
ترجمة: جورج برونولد
و فيكتوريا كوخ
بيبر ت ب، ميونيخ 1992

زمن الأخطاء
قصص قصيرة
ترجمة: دوريس كيلياس
أيشبورن، فرانكفورت 1996

Was euch bleibt Zwei Kurzromane Übers.: Hartmut Fähndrich u. Veronika Theis Lenos TB, Basel 1985	ما تبقى لكم روايتان قصيرتان ترجمة: هارتموت فاندريش و فيرونيكا تايس لينوس ت ب، بازل ١٩٨٥		
Umm Saad / Rückkehr nach Haifa Zwei Kurzromane Übers.: Hartmut Fähndrich u. Veronika Theis Lenos TB, Basel 1986	أم سعد / عائد إلى حيفا روايتان قصيرتان ترجمة: هارتموت فاندريش و فيرونيكا تايس لينوس ت ب، بازل ١٩٨٦		
Das Land der traurigen Orangen Erzählungen Übers.: Hartmut Fähndrich Lenos TB, Basel 1994	أرض البرتقال الحزين قصص قصيرة ترجمة: هارتموت فاندريش لينوس ت ب، بازل ١٩٩٤		
Bis wir zurückkehren Erzählungen Übers.: Hartmut Fähndrich Lenos TB, Basel 1996	حتى نعود قصص قصيرة ترجمة: هارتموت فاندريش لينوس ت ب، بازل ١٩٩٦	Wo du warst und wo du bist Ausgewählte Gedichte Übers.: Adel Karscholi A1 Verlag, München 2004	أين كنت وأين أنت مختارات شعرية ترجمة: عادل قرشولي ١، ميونخ ٢٠٠٤
Khalifa, Sahar Der Feigenkaktus Roman Übers.: Hartmut Fähndrich Unionsverlag, Zürich 1983	سحر خليفة الصبار رواية ترجمة: هارتموت فاندريش أونيون، زوريخ ١٩٨٣	Tagebuch der alltägl. Traurigkeit Gedichte Übers.: Farouk S. Beydoun Verlag der Olivenblume, Berlin 1987	يوميات الحزن العادي شعر ترجمة: فاروق س. بيضون فيراغ أوليفنبلاوم، برلين ١٩٨٨
Die Sonnenblume Roman Übers.: Hartmut Fähndrich u. Edward Badeen Unionsverlag, Zürich 1986	عباد الشمس رواية ترجمة: هارتموت فاندريش و إدوارد بادين أونيون، زوريخ ١٩٨٦	Dschabra, Dschabra Ibrahim Der erste Brunnen Kindheitsgeschichte Übers.: Kristina Stock Lenos, Basel 1997	جبرا إبراهيم جبرا البرّ الأولى قصة طفولة في فلسطين ترجمة: كريستينا شتوك لينوس، بازل ١٩٩٧
Memoiren einer unrealistischen Frau Roman Übers.: Leila Chammas Unionsverlag, Zürich 1992	مذكرات امرأة غير واقعية رواية ترجمة: ليلى شماع أونيون، زوريخ ١٩٩٢	Das vierzigste Zimmer Roman Übers.: Heiko Wimmen Lenos, Basel 1999	الغرف الأخرى رواية ترجمة: هايكو فيمن لينوس، بازل ١٩٩٩
Das Tor Roman Übers.: Regina Karachouli Unionsverlag, Zürich 1994	باب الساحة رواية ترجمة: ريجينا قرشولي أونيون، زوريخ ١٩٩٤	Habibi, Emil Der Peptimist oder Von den seltsamen Vorfällen um das Verschwinden von Said des Glücklosen Roman Übers.: Hartmut Fähndrich, Angelika Neuwirth u.a. Lenos, Basel 1992	إميل حبيبي الوقائع الغريبة في اختفاء سميد أبي النعس المتشائل رواية ترجمة: هارتموت فاندريش و أنجليكا نويغيرت، وأخرون لينوس، بازل ١٩٩٢
Das Erbe Roman Übers.: Regina Karachouli Unionsverlag, Zürich 2002	الميراث رواية ترجمة: ريجينا قرشولي أونيون، زوريخ ٢٠٠٢	Das Tal der Dschinnen Roman Übers.: Hartmut Fähndrich u. Edward Badeen Lenos, Basel 1993	إخطية رواية ترجمة: هارتموت فاندريش و إدوارد بادين لينوس، بازل ١٩٩٣
Die Verheißung Roman Übers.: Regina Karachouli Unionsverlag, Zürich 2004	مودة وأيقونة وعهد قديم رواية ترجمة: ريجينا قرشولي أونيون، زوريخ ٢٠٠٤	Sarāja, das Dämonenkind Übers.: Nuha Forst, Angelika Rahner u. Hartmut Fähndrich Lenos, Basel 1998	سرايا بنت الفول ترجمة: نهى فورست، أنجليكا راهر و هارتموت فاندريش لينوس، بازل ١٩٩٨
Wadi, Farouk Häuser des Herzens Roman Übers.: Hassan Hamdan Donata Kinzelbach Verlag, Mainz 2004	فاروق وادي منازل القلوب رواية ترجمة: حسن حمدان دوناتا كينزلباخ، ماينتس ٢٠٠٤	Kanafani, Ghassan Männer in der Sonne /	غسان كنفاني رجال في الشمس /



Die Farbi der Ferne
Moderne arabishe
Dichtung
Herausgegeben von
Stefan Weidner

C.H.Beck



Übers.: Ursula Eltayeb
Edition selene, Wien 2000

Das Palmenhaus
Roman
Übers.: Ursula Eltayeb
Edition selene, Wien 2004

Al-Falturi, Mohammed
Musik eines wandernden Darwishi
Gedichte
Übers.: Johann und M. Haikal
Volk und Welt, Berlin 1987

SYRIEN

Adonis
Der Baum des Orients
Gedichte
Übers.: Suleman Taufiq
Edition Orient, Berlin 1989

Die Gestiche Mihiyrs
des Damasceners
Gedichte, Arab./Dt.
Übers.: Stefan Weidner
Ammann, Zürich 1998

Ein Grab für New York
Gedichte, Dt./Arab.
Übers.: Stefan Weidner
Ammann Verlag, Zürich 2004

Mina, Hanna
Bilderreste
Roman
Übers.: Angela Tschornig
unter Mitw. v. Peter Lober
Lenos, Basel 1994

Sonne an bewölktem Tag
Roman
Übers.: Regina Karashouli
Lenos, Basel 2003

ترجمة: أورولا الطيب
اديتسيون سيلينا، فيينا ٢٠٠٠

بيت النخيل
رواية
ترجمة: أورولا الطيب
اديتسيون سيلينا، فيينا ٢٠٠٤

محمد الفيتوري
ممزوجة لدرويش متجول
شعر
ترجمة: يوهانا و مصطفى هيكال
هولك أونند فينت، برلين ١٩٨٧

سوريا

أدونيس
شجرة الشرق
شعر
ترجمة: سليمان توفيق
اديتسيون اوريينت، برلين ١٩٨٩

أغاني مهيار النمشقي
شعر، عربي/اللاتني
ترجمة: شتيفان فايدنر
أمان، زيوريخ ١٩٩٨

هذا هو اسمي
شعر، عربي/اللاتني
ترجمة: شتيفان فايدنر
أمان، زيوريخ ٢٠٠٤

حنّا مينّا
بقايا صمو
رواية
ترجمة: أنجلينا تشورسنيغ
و بيتر لوبر
لينوس، بازل ١٩٩٤

الشمس في يوم غائم
رواية
ترجمة: ريجينا قرشولي
لينوس، بازل ٢٠٠٢

Munif, Abdalrachman
Östlich des Mittelmeers
Roman
Übers.: Larissa Bender
Lenos, Basel 1995

Geschichte einer Stadt
Autobiographie
Übers.: Larissa Bender
u. Hartmut Fähndrich
Lenos, Basel 1996

Am Rande der Wüste
Roman
Übers.: Petra Becker
Lenos, Basel 2000

Salzstädte
Roman
Übers.: Larissa Bender
u. Magda Barakat
Diederichs Verlag, München 2003

SUDAN

Tajilb, Salih
Zeit der Nordwanderung
Roman
Übers.: Regina Karachouli
Lenos, Basel 1998

Eine Handvoll Datteln
Erzählungen
Übers.: Regina Karachouli
Lenos, Basel 2000

Bandarschah – Roman
Übers.: Regina Karachouli
Lenos, Basel 2001

Sains Hochzeit
Roman
Übers.: Regina Karashouli
Lenos, Basel 2004

Eltayeb, Tarek
Ein mit Tauben und Gurren
gefüllter Koffer
Gedichte und Prosa, Arab./Dt.,
Übers.: Ursula Eltayeb
Edition selene, Wien 1999

Aus dem Teppich meiner Schatten
Gedichte
Übers.: Ursula Eltayeb
Edition selene, Wien 2002

Städte ohne Dattelpalmen
Roman

عبد الرحمن منيف
شرق المتوسط
رواية
ترجمة: لاريسا بندر
لينوس، بازل ١٩٩٥

سيرة مدينة.
عمان في الأربعينات
ترجمة: لاريسا بندر
و هارتموت فاندريش
لينوس، بازل ١٩٩٦

النهايات
رواية
ترجمة: بيترا بيكر
لينوس، بازل ٢٠٠٠

مدن الملح
رواية
ترجمة: لاريسا بندر
و ماجدة بركات
ديدرشس، ميونيخ ٢٠٠٢

السودان

الطيب صالح
موسم الهجرة إلى الشمال
رواية
ترجمة: ريجينا قرشولي
لينوس، بازل ١٩٩٨

دومة ود حامد
قصص قصيرة
ترجمة: ريجينا قرشولي
لينوس، بازل ٢٠٠٠

بندر شاه - رواية
ترجمة: ريجينا قرشولي
لينوس، بازل ٢٠٠١

عرس الزين
رواية
ترجمة: ريجينا قرشولي
لينوس، بازل ٢٠٠٤

طارق الطيب
حقيقة معلومة بسمام وهديل
قصائد ونصوص
ترجمة: أورولا الطيب
اديتسيون سيلينا، فيينا ١٩٩٩

تخليصات
قصائد
ترجمة: أورولا الطيب
اديتسيون سيلينا، فيينا ٢٠٠٢

مدن بلا نخيل
رواية

Taufiq, Suleman
Im Schatten der Gasse
Erzählung, Arab./Dt.,
Edition Orient, Berlin 1992

Oh wie schön ist Fliegen oder
Wie die Ente den Mond sucht
Märchen, Arab./Dt.,
Ill. v. Christine Bülow
Edition Orient, Berlin 2002

Awad, Fouad
Am Achten Tag
Lyrik
Übers.: Awad, Fouad
Hans Schiler, Berlin 1994

سليمان توفيق
في ظل الزقاق
قصص، عربي/ألماني
إديتسيون أوريينت، برلين ١٩٩٢

ما أجمل الطيران عائياً أو
كيف بحثت البطة عن القمر
قصة خيالية، عربي/ألماني
رسم: كريستينه بولوف
إديتسيون أوريينت، برلين ٢٠٠٢

فؤاد عواد
في اليوم الثامن
شعر
ترجمة: فؤاد عواد
هانس شيلر، برلين ١٩٩٤

TUNESIEN

Mosbahi, Hassouna
Der grüne Esel
Erzählungen
Übers.: Regina Karachouli
A 1, München 1996

Rückkehr nach Tarschisch
Roman
Übers.: Regina Karachouli
A 1, München 2000

Ölbaum der Kamele
Übers.: Erdmute Heller
u. Mohamed Zrouki
A 1, München 2001

Adieu Rosalie
Roman
Übers.: Erdmute Heller
A1 Verlag, München 2004

Naar, Hassan
Dar al-Pascha
Roman
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 2001

قوسى
حسولة مصباحي
الحمار الأخضر
قصص قصيرة
ترجمة: ريجينا كاراشولي
A 1, ميونخ ١٩٩٦

هلوسات ترشيش
رواية
ترجمة: ريجينا كاراشولي
A 1, ميونخ ٢٠٠٠

مختارات قصصية
ترجمة: اردموت هيلر
ومحمد زروقي
A 1, ميونخ ٢٠٠١

وداعاً روزالي
رواية
ترجمة: اردموت هيلر
A 1, ميونخ ٢٠٠٤

حسن نصر
دار الباشا
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ٢٠٠١

Samman, Ghada
Alptraum in Beirut
Roman
Übers.: Veronika Thels
Lamuv Verlag,
Bornheim-Merten 1988

Mit dem Taxi nach Beirut
Roman
Übers.: Suleman Taufiq
Edition Orient, Berlin 1990

Tamer, Sakarija
Frühling in der Asche
Kurzgeschichten
Übers.: Wolfgang Werbeck
Lenos, Basel 1987

Die Hinrichtung des Todes
Kurzgeschichten
Übers.: Hartmut Fühndrich
u. Ulrike Stehli-Werbeck
Lenos, Basel 2004

Naana, Hamida
Keine Räume mehr zum Träumen
Roman
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1994

Barakat, Salim
Der eiserne Grashüpfer
Kindheitserinnerungen
Übers.: Burgi Roos Khalil
Lenos, Basel 1995

Die Spiele der jungen
Hähne
Roman einer Jugend
Übers.: Burgi Roos
Beck, München 2000

غادة السمان
كوابيس بيروت
رواية
ترجمة: فيرونیکا تيلس
لاموف،
بورنهيم ميرتن ١٩٨٨

بيروت ٧٥
رواية
ترجمة: سليمان توفيق
إديتسيون أوريينت، برلين ١٩٩٠

زكريا تامر
ربيع في الرماد
قصص قصيرة
ترجمة: فولفغانغ فيرييك
لينوس، بازل ١٩٨٧

مختارات قصصية
قصص قصيرة
ترجمة: هارتموت فندريش
وأولريكة شتلي فيرييك
لينوس، بازل ٢٠٠٤

حميدة ناعنا
من يجرؤ على الشوق
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ١٩٩٤

سليم بركات
الجنوب الحديدي
تذكريات طفولة
ترجمة: بورجي روس خليل
لينوس، بازل ١٩٩٥

هاته عالي، هات التفهر
على آخره
رواية
ترجمة: بورجي روس
بيك، ميونخ ٢٠٠٠



ملاحظة: أسعقلنا من هذه القائمة كل الأنطولوجيات
التي صدرت في السنوات الأخيرة.

Qantara.de

المعالم الإسلامية

قنطرة

حوار مع العالم

موقع إلكتروني يهد
جسراً إلى العالم الإسلامي



German Version: <http://www.qantara.de/de>

ما هو دور الأدب المترجم في التقارب
بين الحضارات؟ هل تركيا جزء من أوروبا؟
ما هي مخاوف الألبان والعرب من العولمة؟
هذه هي بعض الأسئلة التي يتناولها موقع قنطرة.



Arabic Version: <http://www.qantara.de/ar>

نطرح باللغة الألمانية والعربية والإنكليزية قضايا
سياسية وثقافية واجتماعية ودينية تهم ألمانيا
والعالم الإسلامي على حد سواء. نقدم مبادرات
ولتخصصات ومشاريع تسعى إلى التفاهم بين
الشرق والغرب ولا نتردد من فتح باب الجدال
حول مواضيع شائكة.



English Version: <http://www.qantara.de>

عنواة أسرة التحرير:

Redaktion Qantara.de
c/o Deutsche Welle Online
Raderberggürtel 50
50968 Köln
Germany
E-Mail: kontakt@qantara.de

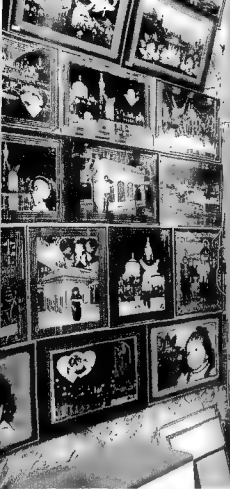
DW-WORLD.DE
DEUTSCHE WELLE

bpb
Bundeszentrale für politische Bildung

INSTITUT
FÜR INTERNATIONALE
KOMMUNIKATION

ifa

يشرف على موقع قنطرة: المركز الاتحادي للتعليم السياسي
ويؤتيه فباله ومعهد غوته إنتر ناسيونال ومعهد العلاقات الخارجية



Werner Bloch فرنر بلوخ

مفاتيح الجنة

لماذا يتمتع الفنانون الإيرانيون بالحرية المطلقة؟

الفن في إيران يكاد ينطوي دائماً على مضامين سياسية. فهو يجسد المقاومة ضد الحكم القائم هناك؛ إنه يجسد للمعارضة؛ ومن هنا فإنه يتجهج لعبة القط والفأر مع الرقابة التي تمارسها «وزارة الثقافة والتوجيه الإسلامي» القوية النفوذ. وقبل فترة وجيزة تلقت الفنانة باراستو فاروهار Parastou Farouhr مكالمات هاتفية تطالبها بضرورة التخلي عن خطتها الرامية إلى عرض نتائجها الفني في طهران. وشرحت الفنانة، التي أٌغتيل والدوها في سياق أعمال القتل البشعة التي مارسها جهاز الأمن الإيراني عام ١٩٩٦ بالجملة، موقفها حيال هذا التحذير فتقول: "إننا لا نريد، طبعاً، أن نُغلق دار العرض أو أن يتعرض الجمهور الزائر للضرب والإهانات"؛ وتواصل الفنانة حديثها قائلة، "ولذا فقد أُخليت أطر اللوحات من الرسومات وعلقت الأطر فقط على الجدران". "ولا مرأه في أننا هنا حيال فن قد خرج عن إطاره؛ إنه فن يدعو إلى شحن الطاقات وتعزيز المقاومة حتى وإن توارى عن النظر".

ولكن، من أين تأتي الحيوية الحسبة والشاعرية، الفسورة إلى حد ما، في الفن الإيراني؟ وحسب ما يقوله المخرج السينمائي عباس كياروستامي يكاد الفنان في

الاضرابات



مهرجان كان، الفنان، ١٩٨٠، زيت على قماش، ١٠٠ سم × ١٠٠ سم، متحف الفن الحديث، طهران، إيران

مهرجان كان، الفنان، ١٩٨٠، زيت على قماش، ١٠٠ سم × ١٠٠ سم، متحف الفن الحديث، طهران، إيران



البعيد»، بتنظيم أكبر وأروع معرض للفن الإيراني المعاصر عرفته أوروبا حتى هذا الحين، معرض لفن ينشر الدعاية ويفيض بالسخرية المرة.

وتندرج ضمن هذه الدعاية والسخرية ذلك التمثال البالغ ارتفاعه أربعة أمتار، والذي ينطوي على لنز مجبر للوهلة الأولى. فالتمثال يجسد مفتاحاً نُحِتَ على نحو لا يتم عن ذوق رفيع وزُيِّنَ بمصاييح تشير إلى الأكران الوطنية الإيرانية، وذلك كنصب تذكاري للحرب المشؤومة بين إيران والعراق. وكان المفتاح قد لعب دوراً في هذه الحرب؛ فقبل زعابهم إلى ساحة الحرب للقتال ضد صدام حسين، رُوِّدَ جنود آية الله الخميني بمفاتيح صغيرة يسهل حملها ملونة بالأخضر والأبيض والأحمر؛ فبهذه المفاتيح تفتتح أمامهم أبواب الجنة على مصراعها، بناءً على ما قيل لهم.

وهناك أيضاً الصور التي رسمتها شاعدي غاديريان لمختلف النساء. وكانت الفنانة قد حصلت على العديد من الأدوات المنزلية بمناسبة زواجها؛ ولأنها تكره الطبخ وما سواه من الأعمال المنزلية، لذا فإنها خلقت من هذه الأدوات أعمالاً فنية: فقد قام الحجاب بيلور إطار خارجي يحيط، بدلاً عن الوجه، بالمكنة أو بالمقلاة أو بإبريق الشاي أو بصحن الطعام. وتوحي هذه الأدوات المنزلية بالربيع، فالبعض منها يترك المرأة تبدو كما لو كانت قد ارتدت كمعاطي تقي

إيران أن يتمتع بحرية مطلقة وذلك، وفي المقام الأول، لغياب الهياكل الحكومية من ناحية، ولعدم وجود ضغوط اقتصادية من ناحية أخرى. ويواصل هذا الفنان، الذي حصل على جائزة «السفعة الذهبية» في «مهرجان كان» السينمائي الدولي، شرحه فيقول بأنه، هو شخصياً، وعلى الرغم من الدعوات الكثيرة التي تلقاها مناشدة إياه للمجيء إلى فرنسا، لن يقوم، أبداً، بإخراج أفلامه في أوروبا، حيث تلعب الدولة والمؤسسات والموانئ المالية دوراً أكبر في تحديد مصير الفيلم من الدور الذي يلعبه للخروج نفسه: 'إننا نتمتع في إيران بحرية وفرص لا يثر عليها الفنان في أية بقعة أخرى من بقاع العالم'.

هذه عبارات قوية، حاسمة، بلا مراء. فالصورة التي ترسمها وسائل الإعلام الغربية لإيران لا توحي بأن هذا البلد بالذات يتيح فرصاً لا تحدها حدود. ورغم هذه الصورة أسست طهران الآن إحدى العواصم الخيوية على خريطة الفن العالمي. فقد «أضحى كل شيء يزخر بالعلاقات، لقد صار المرء يلمس بكنتا يديه أن ثمة توتر ثقافي بضاهي، إلى حد ما، التوتر الثقافي الذي ساد في لندن أو نيويورك في سالف الزمن»، حسب ما تقوله روزة عيسى أيضاً؛ هذه السيدة التي قامت، بصفتها أمانة لدار الشقائف العالمية الكائن في برلين وتحت شعار «الجدار

على إنتاجهم الفني بصماتهم الذاتية. ويمكننا في هذا السياق أن نشير إلى شيرين نشأت؛ فهذه الفنانة، التي حازت على سمعة عالمية وأضحت أيقونة بالنسبة للكثيرين، ظلت على علاقة وثيقة بالمسائل التي تشغل بال المواطن الإيراني بالرغم من أنها تعيش في نيويورك. وكانت قد تناولت في شريط فيديو يحمل عنوان "ماجح" موضوعاً يدور حول ذلك العرف الذي لا يزال يحرم على المطربات الغناء أمام الجمهور؛ ومع اعتراقلنا بأن الموضوع ليس جديداً، إلا أننا نرى في تناوله تعليقاً بالغ كلفة مع البرنامج الموسيقي الذي يشتمل عليه معرض "الجار البعيد" المقام في دار الثقافات العالمية في برلين.

وعلى روح استفزازية ينطوي عمل علي مهداوي أيضاً، فالفنان يعرض علينا هاهنا هياكل عظمية لجردان وقطط مرتدية أثمن الملابس وأعلى القفاطين وواقفة على صحن صغيرة تدور حول نفسها انسجاماً مع إيقاعات تنطلق من ساحة كبيرة الحجم وتنتشر ملامح عيشة هادئة شبيهة بهدوء العيش الذي يخيم عادة على غرفة الطفل الصغير. وعلى ما يبدو أراد الفنان من هذه الهياكل العظمية أن تعبر عن رجال الدين - فالمرء يشاهد أسقفاً يقبض بيده على صليب - ولا مراء في أن الفنان أراد أن يعبر، من خلال الهياكل العظمية للجردان والقطط، عن نظرتهم إلى قيمة رجال الدين في المجتمع. ومن نافذة القول التأكيد هنا على أن الفنان ما قصد بتقييمه هذا المجتمع المسيحي أصلاً.

وكان نقد المجتمع القائم على النفاق والخداع، المجتمع الذي يتناسى جراحه النفسية، قد شكل مادة تناولها خسرو



روزه عبي، مظلة المعرض. تصوير: Stefan Weidner

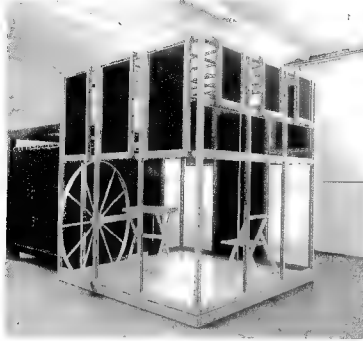
من الغايات السامة؛ ومع هذا، سرعان ما يكشف المرء في هذه الشخصيات نسوة بالسات أختصر وجودهن في الحياة على العمل المنزلي لا غير.

ولكن، ولأن الفنانين الإيرانيين يعبرون عن ذاتهم في المقام الأول، أي أنهم يهتمون عن وحي وإرادة بسيرتهم الذاتية وبالتحولات والأحداث السياسية في إيران، لذا فإنهم غالباً ما يكونون شاهداً مؤثوقاً به وأصيلاً على نحو متميز وبالتالي فإنهم ليسوا بحاجة لمنافسة تلك الآلاف من جمهور الفنانين الأوروبيين والأمريكيين الذين لا يتركون

ميترا تبريزيان، "حراسة" Atiā Tabrizian Überwachung

From the exhibition: „Enttente Nähe“. Neue Postionen iranischer Künstler. Haus der Kulturen der Welt, Berlin 20.03.04 – 09.05.2004





صوبح "مجنون" معروفة لرحلاته من

Stah. Amman: The Glass Room for art, Lale No. 2, 2001

From the Exhibition: "Leitende Hölle" in der Poststation Französischer Kunstler

Kunst der Kultur und der Welt, Berlin 20 (13) 04 - 02.05.2004

شباب ما صار يعرف "بالحبل المغلوب على أمره". ولمس المرء، اليوم، آثار هذه الحرب القروس في كل حذب وصوب في إيران. وحسن زاده واحد من الفنانين قليلي العدد الذين أخذوا على عاتقهم إذاحة النقاب عن الخسائر البشرية والمادية والآثار النفسية التي ترتبت على هذه الكارثة. إن الفن الذي يتجسده الفنانون الإيرانيون هو فن يسير على حافة الهاوية، يرقص على حبل رقيق. فهو لا يتناطح مع السلطة، لكنه يسحب من تحت قدمها البساط الذي تقف عليه. في برلين كان بوسع المرء، فعلاً، أن يتمتع ناظره بهذا الفن المتزايد عضواً، لا سيما وأنه كانت هناك برامج مسرحية وسينمائية وموسيقية وأدبية ترافق معرض الفن الإيراني المعاصر. وتجسد إيران، حسب ما تقوله منظمة المعرض وروء عيسى، درساً عظيماً للفنانين الآخرين والقادمين من البلدان العربية الذين يحتجون قائلين بأنهم لا يتوافرون على الوسائل المالية الكافية. "إنني أتأديكم وأقول لكم: انظروا إلى إيران. فالقوانين في هذا البلد أشد صرامة والإمكانيات المالية أكثر محدودية والرقابة أشد خطراً والمشاكل أقدم أثراً عما هو موجود في بلادكم. إن من يريد أن يقول شيئاً، فما عليه إلا أن يعمل ويعمل، وعندئذ سينشئ المرء عما يجول في خاطره."

معرض «الجول العبد» أقيم في دار الثقافة العالية يبرلين من ٢٠

٢٠٠٤/٣ إلى ٢٠٠٤/٥/٩

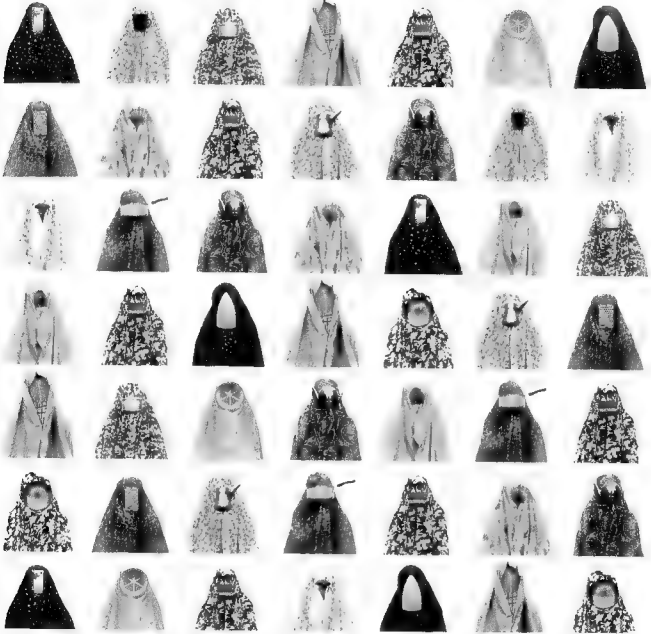
ترجمة: هفتان عباس علي

حسن زاده، الفنان البالغ أربعين عاماً والذي كان قد بدأ حياته الفنية كرسام يدور في عجلة الدعاية المتحيزة. "بصفتي صبيّاً في مستقبل العمر، فرحت بالثورة الإسلامية فرحاً عظيماً، لقد أغلقت كافة المدارس والجامعات أبوابها، وكان ٩٩ بالمائة من السكان يدعّمونها ويشاركون فيها." وأتذكّر كان حسن زاده في حركة دائمة لنصرة آية الله العظمى، فكان يجوب الشوارع والأزقة ليرسم على جدران المنازل والمعابر، عن فتاة وإيمان، صور الحميني.

إلا أن هذه الصلة الوثيقة بالثورة تحولت إلى قطيعة في مطلع الثمانينات: فقد استدعي الفنان للذهاب إلى الجبهة، استدعي للمشاركة في الحرب العراقية - الإيرانية التي راح ضحيتها الكثير من أصدقائه ومن سواهم من الشباب في عمره؛ وكان حسن زاده قد أخذ يرسم صوراً كبيرة وباللونين الأبيض والأسود تذكّاراً لفشاحيا هذه الحرب. ولكن سرعان ما بدلت المشاكل مع الوزارة تظفوا على الطح. وكانت الوزارة تطرح عليه سؤالاً مفاده: "لماذا رسمت فصحايانا بهذه الألوان المعتمة، وليس بالأخضر والأزرق والأحمر؟ إنهم شهداء عليك أن تحثي بذكراهم وتشيد بعظائمهم". من هنا فقد ألغى المعرض الذي كان ينوي افتتاحه. لقد تلاشى ذلك الإيمان الساذج الذي كان حسن زاده يكنه للثورة الإسلامية؛ فراح يرسم، تنفيساً عما يتمل في صدره من مشاعر وبغداد عن أنظار العامة، صوراً يضمّن فيها أحاسيسه الشخصية وروء التقليدية. وكما اتضح لاحقاً وبعد مضي سنوات كثيرة، أراد آية الله الحميني الاستمرار بهذه الحرب، التي دامت ثماني سنوات، وذلك لأن إطالة أمدها كان يخدم أهدافه الخاصة. وكانت إيران هذه الحرب قد التهمت حياة ما يزيد على المليونين من



أهَذَا هُوَ الاندماج المطلوب؟ مخاطر محاولات منع الحجاب في ألمانيا



شاذلي تكتيريدي، حشد صبرية

Aus der Ausstellung "Entfernte Nähe" Neue Positionen deutscher Kunstler Haus der Kulturen der Welt Berlin 2 3 13 14 - 19 20 21 22

واضطهاد المرأة ولتوطئ المنظر الأحادي الأبعاد في المجتمع الألماني القائم على التعددية. ويرى مؤيدو هذا الزعم أن الحجاب رمز لتوسع إسلامي لا يني التغلغل في مؤسسات الدولة لحسب، بل ويريد التغلغل في المدرسة، أي في واحدة من أكثر مؤسساتها حساسية وأهمية. وعلى سبيل المثال يسوق القانون المقترح من قبل

هناك من يزعم بأن الحجاب ليس سوى رمز لصراع خفي بين المجتمع المفتوح وأعدائه، ورمز لصراع يزداد تفاقمًا من يوم لآخر: بهذا المعنى فإن منع ارتدائه يشير إلى أن دولة القانون الليبرالية قد دلت على أنها قادرة على الدفاع عن نفسها وفرض إرادتها على أولئك الذين يحاولون تقويض أسسها من الداخل ويستغلون تسامحها لنشر التعصب

حكومة ولاية بادن - فورتمبرغ العديد من القيم الوضعية ، التي تصلح للتطبيق في كل أنحاء المعمورة ، لتبشير منع ارتداء الحجاب : كرامة الإنسان والمساواة بين الرجل والمرأة والديموقراطية.

ولا مراء في إن الصراع الذي تفترض هذه الأصوات وجوده سيكون أكثر خطراً حينما يختفي عن الأنظار. فاعداه المساواة والديموقراطية الليبرالية لا يفسحون عن معتقداتهم في الندوات التلفزيونية أو على صفحات الجرائد حيث يمكن مناقشتهم والرد عليهم وفق القواعد التي يحتمها الجدل العقلاني. ويغض النظر عن كل التفاصيل التي تشكل لب العقيدة التي تنادي بها الحركة "الإسلاموية" ، فإن ما يجعل هذه الحركة تبدو عظيمة الخطر ، إنما يكمن في المقام الأول في أنها لا تريد الأخذ بالأساليب العلمية المتحضرة وفي أنها تعمل في الخفاء. فعند هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر من عام ٢٠٠١ ، على أدنى تقديره ، انتهت كلية إمكانيات تصور هؤلاء القوم يتشبثون بأسس الجدل السائدة في المجتمع ؛ أي أنه لم يعد لهذه الإمكانية أي وجود يذكر ولا حتى بعلامتها الفولكلورية.

وأدت التسجيبة التي أقرتها هذه الأحداث بليلة في التقييمات والمواقف. فمن ناحية ، أدى توري الخصم عن الأنظار إلى أن يُدّاع على الملأ كل ما يخطر على البال عن قوته وخطره ، ومن ناحية أخرى لم يعد هناك من يعلم عن يقين أين تسعين مثارة هذا الخصم وأين يمكن حماية المكاسب ، التي حققها للمجتمع المقترح ، على نحو فعال. وعلى ما يبدو ، فقد تخلى الصراع القائم عن توابره عن الأنظار وطفأ على السطح في قضية واحدة فقط: في الحجاب ؛ ولربما فسرت هذه الحقيقة الحماس الذي يتصف به الجدل الدائر حالياً بهذا الشأن. فهناك من يكاد أن يبدى النبطة إزاء التحول صوب هذه لمواجهة العلنية اعتقاداً منه بأن الدولة قد كشفت من خلال هذه المواجهة العلنية عن رغبتها في فرض إرادتها وعن استعدادها للتخلي عن الليبرالية لحين من الزمن قصد التأكيد على أنها تمسك بزمام الأمور وتمتص بالقوة واللمعة الكاثيةين.

على ضوء هذا كله ، من حق المرء أن يسأل عن جدوى إظهار الديمقراطية استعدادها لمواجهة بالثو المذكور ، وعمما إذا كانت الديمقراطية قد خلقت ، بتصرفها هذا ، الحالة التي ترمع القضاء عليها وعرزت تلك الانجهاات التي تريد محاربتها. فإذا كانت هناك حركة إسلاموية تعمل فعلاً بمناي عن المؤسسات العامة ، فالأفضل ، والحالة هذه ، هو أن تركز كافة الجهود على دفع هذه الحركة للتخلي عن نشاطها السري ، أي دفعها للمشاركة في الحياة العامة أولاً. وتؤكد الدراسات الميدانية ظناً ، كان يأخذ به البعض

من دون حاجة إلى تأكيده من قبل هذه الدراسات ، مفاده أن التطرف الديني والتعصب يكونان أقل شدة ، كلما كانت الفرصة لإشراك المتدينين بالحياة العامة أكبر ، فعلى هذا النحو سيكون بمستطاعهم التعبير عن عقيدتهم وسيتوجب عليهم مقارنتها بالعقائد الأخرى. ولعله تجدر الإشارة إلى أننا لا نقول هاهنا بأن المشاركة في الحياة العامة ستؤدي إلى تراجع التدين نفسه. إن كل ما نريد قوله في هذا السياق هو أن المشاركة في الحياة العامة تؤدي ، بلا ريب ، إلى تقويض العزلة وكسر طرق التقوقع على الذات وإلى التخفيف من شدة التحجر الفكري.

ولا مراء في أن منع ارتداء الحجاب سيعيق المشاركة في الحياة العامة إصافة لا يستهان بها. فحينما تمنع النساء المسلمات من مزاوله مهنة التدريس لا شيء ، إلا لأنهن يضمن منديلاً على الرأس ، أي وإن لم يكن لارتدائهن الحجاب علاقة متينة بالضرورة بأصولية دينية معينة أو بأفكار تسلطية ، فيضحي للمجتمع ، بمحض اختياره ، بحقه في مطالبتهن بالإيجابيات المترتبة عليهن باعتبارهن جزءاً من المجتمع. أضف إلى هذا أن الأساليب التسلطية التي تجبر الفتيات على ارتداء الحجاب ستواصل وجودها وتستمر بالرغم من صدور قرار المنع ؛ بهذا المعنى فإن قرار المنع سيؤثر سلباً على إمكانيات دمج هؤلاء الفتيات بالمجتمع الألماني.

الواضح إذن ، هو أن الجدل حول الحجاب ليس سوى نقاش ينوب عن تعلقات وأهداف أخرى يؤدي إلى نتائج جانبية وخيمة وغير مرغوب فيها أصلاً. ويخطئ من يظن أن هذا النقاش يدور بلا نوايا خفية. وفي الواقع فإن غالبية مؤيدي المنع لا يريدون ، في المقام الأول ، الدفاع عن مبادئ إنسانية تصلح لكافة بني البشر. ولربما غابت هذه الحقيقة عن وعيهم هم أنفسهم ، إلا أن أساليبهم المتنوية الرامية ، في الوقت ذاته ، إلى تضادي تحقق نموذج علماني بكل معنى الكلمة ، يزيح الستار عن نواياهم الحقيقية ويكشف الأسباب التي تدفعهم لأن يعلنوا بأن الحجاب فقط هو ما يتعارض مع مهنة التدريس وليس الرموز الدينية النصرانية أو اليهودية. ولربما كانت التفسيرات التي أعرب عنها أسقف برلين فولفغانك هوير خير مثال على ما نحن في صدد الحديث عنه. فهو كان قد أشار ، وقبل انتخابه رئيساً لمجلس الكنيسة البروتستانتية ، إلى "أن الفارق الواضح" بين الحجاب والصليب الذي يضعه قس ما على ياقة سترته ، "يكمن في أن الحجاب يعبر عن فارق ثقافي". وواصل هوير شرحه ببراعة مفتعلة مدعياً بأن الأمر يختلف عندما يعلق شخص ما على صدره "الصليب" ، فإن هذا الصنيع لا علاقة له البتة مع ربح بذكر الشقاق في المجتمع .



دياب من مسجد باران، تصوير Markan Kichgesner

علاقة له لا بالدين ولا بدولة القانون القائمة على مبدأ تساوي الجميع في الحقوق والواجبات، بل هو على علاقة متينة بشيء آخر: بثقافة الأكثرية، هذه الثقافة التي لا ينسني السكوت من الخروج عليها.

ورد في القانون الذي اقترحتته حكومة مقاطعة بادن فورتمبرغ ما نصه "إن إظهار القيم التعليمية والثقافية والتراث والتقاليد

المسيحية والغربية ينسجم مع دستور المقاطعة". أما بالنسبة للمسلمين فإن مظهرهم الخارجي يكفي لمنعهم من ممارسة التدريس وذلك لأن مظهرهم الخارجي "يمكن أن يترك لدى التلاميذ وآبائهم الانطباع" بأنهم ضد الدستور القائم على مبادئ الحرية والديمقراطية. إن هذه الجملة تفسح حقيقفة هذه الاتجاهات، إنها تبين على نحو جلي أن الحجاب هو الأمر المستهدف: أي أن الموضوع لا يدور حول ما نقوله مرتدية الحجاب ولا حول تصرفاتها، وحتى دوافع مرتدتها لم تعد لها قيمة في تقرير مدى تمسكها بالدستور، بل صار الموضوع يتوقف على الانطباع الذي يتركه مظهرها الخارجي عند الآخرين. وإذا ما أمعن المرء النظر في الجملة أصلاً، المصاغة من وحي ويعتمد وإصرار، فسيفف بكل تأكيد على النتائج التي يمكن أن ترتب على هذه الجملة، فبئناً عليها، ستتوقف، مستقبلاً، الحقوق التي يتمتع بها المواطن على "الانطباع" الذي سيتركه أحد المرشحين عند أغلبية المواطنين.

إن حماية المبادئ العامة، التي تصلح للتطبيق على البشرية جمعاء، حماية فعالة لا تتحقق بالضرورة من خلال الحديث عنها ليل نهار ولا من خلال صك سماع الآخرين بها وإن كانوا قد جاؤوا من عالم اعتاد على استخدام مفردات ومقولات مختلفة. إن الرسالة الصائبة للدفاع عنها تكمن في التمسك بمبادئها. إن منع ارتداء الحجاب لا علاقة له، في الواقع، بالمبادئ الصالحة للتطبيق على كافة بني البشر بل له علاقة بالثقافة التي تأخذ بها الغالبية. ويخطئ من يظن أن الثقافة التي تأخذ بها الغالبية تجسد المبادئ الصالحة للتطبيق على كافة بني البشر. بهذا المعنى، فالمجتمع الألماني سيحقق نفعاً أكبر، كلما أدرك هذه الحقيقة في وقت أسرع.

ترجمة: هنان عباس علي

ولا مراه في أننا هنا إزاء رأي يدعو للحيرة لا سيما أنه قد صدر عن أسقف نصراني. فالواضح هو أن هذا الرأي لا ينسجم مع ما جاء في رسائل كورنثوس الأولى، فقد جاء هناك ما نصه: "فالبشارة بالصليب حماقة عند الذين يسلكون طريق الهلاك. وأما عندنا، نحن الذين يسلكون طريق الخلاص، فهو قدرة الله." (رسائل كورنثوس الأولى، ١، ١٨). وكان السيد المسيح قد أعلن بنفسه بأنه جاء لكي يلقي "الخلاف" على الأرض: "فمن اليوم يكون في بيت واحد خصمة، فيخالف ثلاثة منهم اثنين، واثنان ثلاثة. (انجيل لوقا الإصحاح ١٢، الآية ٥٢). بهذا المعنى فقد كان وزع بلور الخلاف في المجتمع جزءاً من رسالة المسيح منذ البداية؛ من هنا لا يمكن فهم تجاهل الأسقف لهذه الحقيقة إلا على أن الكنائس قد صارت تنفخ في نفس البوق الذي ينفخ فيه عامة الناس. والأمر الذي يسترعي الانتباه هو أن رجال الدين قد أسموا لا يعبرون عن المنظور الديني على نحو بين ونقي، وإن كان منظورهم الديني يختلف عن منظور السياسة والمجتمع بكل تأكيد. فمن الممكن أن يرى النصراني في الصليب استفزازاً له، إلا أن هذا لا يعني طبعاً أن هذا الاستفزاز سيدفعه لإعلان الحرب على بني قومه، وإذا كان الأمر على ما نقول، فلا ريب في أن هذا سيتطابق على المسلمين أيضاً حينما يتمكنون بتقاليدهم وتراثهم.

ولكن، ولأن الأسقف هوبر يرى في المسيحية، على ما يبدو، الحبل الذي يمتصم به للمجتمع في المقام الأول، أي الحبل الذي يضمن تحقق الانساق والوثام بنحو ديمقراطي، لذا لا يبقى أمامه سوى تقييد الإسلام من زاوية مدى اتساقه مع الدستور. وهكذا "ويصفته رمزاً لعدم المساواة بين النساء والرجال بالقدر المطلوب، لذا لا يمكن لمهنة التدريس أن تتقبل الحجاب". إن هذا هو آخر تبرير في قائمة التبريرات التي تطالب بمنع ارتداء الحجاب من قبل المعلمات والمدرسات. وكما هو بين فإن هذا التبرير لا

يوميات بغدادية إنه الماضي، جئت لأدفنه

كولونيا ٢٠٠٤/٣/٧

اليوم، في هذه الليلة بالذات، مستطاً قدامي أرض العراق بعد فراق دام أكثر من خمسة وعشرين عاماً. ففي الثامن من شهر آب من العام ١٩٧٨ ودعت أهلي ببغداد وغادرت إلى بيروت، حيث اشتغلت عارضاً للأفلام الوثائقية والروائية ثم محرراً في جريدة لبنانية - فلسطينية. ومن هناك رحلت إلى دولة ألمانيا الاتحادية، حيث أمضيت ربع قرن من الزمن منعزلاً منفياً. وقبل بضعة شهور، تحديداً في السابع من تشرين الثاني، ساهمت في ملتقى أدبي بمدينة لوس إنجلس الأمريكية تحت عنوان «Exiled in Paradise» بمناسبة مرور ستين عاماً على إقامة الكاتب الألماني المنفي ليون فويشتافنغر Feuchtwanger في المنزل المعروف باسم «فيلا أورورا Villa Aurora» والتي تحولت بعد وفاة فويشتافنغر وزوجته إلى مركز ثقافي تقام فيه فعاليات أدبية تتعلق القسم الأكبر منها بالمنفى، أي منفي الأدباء والفنانين الناطقين بالألمانية الذين غادروا أوروبا هرباً من النظام النازي الألماني بقيادة هتلر.

كانت هذه الفيلا تقع في مواجهة ساحل المحيط الهادئ، وسط طبيعة أخاذة صامتة - حية مزهوة ومشمعة طوال العام ومعتدلة المناخ لدرجة أن المنفيين الألمان أنفسهم خلعوا عليها صفة الجنة. ليس لأنهم عرفوا الجنة، بل لأنهم خبروا بأرواحهم وأجسادهم الجحيم الهتلري؛ وبهذا المعنى فإن منفيي الألماني كان نوعاً وجة طالما كان بعيداً عن متناول صدام وحزبه وأجهزته الإجرامية. بيد أن هذا الإحساس الأولي هو في الواقع إحساس الناجي من المذبحة، هو القشرة الخارجية ليس إلا، إذ أن هناك إحساساً آخر داخلياً كان ينمو في السر وعلى الدوام مثل علة خفية، ألا وهو الإحساس الحقيقي بالمنفى. لقد عشت ربع قرن من الاقتلاع الجسدي والنفسي وأصبحت رهينة للماضي الذي ما انفك خيالي يحمله ويبعد عنه الشواثب. لا بد أن يكون لي وطن، ولا بد أن يكون لي أهل وأرض تحتمل قلبي، لا بد أن يكون هناك من يتذكرني وربما تهتز أضلاعه حين يعانقني. غداً ستنتهي صحراء الثلج هذه التي أطبقت عليّ بلا رحمة، وسأشهد بأم عينيّ اللتين مازالتا تبصران وجه أمي وأرض العراق ورماله وفياضه.

بغداد ٢٠٠٤/٣/٨

بغداد! أخيراً ببغداد بعينها التي رحلت عنها قبل أكثر من ربع قرن وقد عدت إليها من تلك الناحية الشمالية التي لم أكن رأيتها من قبل إلا مرة واحدة، عندما اصطحبيني جدي معها لزيارة ولدها المنهم آنذاك في العام ١٩٦٣ بالمشاركة في محاولة انقلاب.

لم يكن هناك ما يشير إلى أن هذه المدينة هي بغداد نفسها، وجه من الطين مستسلم وحزين، وأرتال أمريكية طينية الملاصق أيضاً اصطفت على الطريق السريع، مشرعة الأسلحة، تتطلع بتوتر وذعر إلى القادمين. هذه هي بغداد إذن، رمادية الوجه، مستكينة، مستظمنة. فهل كانت هكذا دوماً كالحة رمادية في مطلع الربيع، دون أن أشعر بها من قبل، أم أن بغداد التي عرفتها زماناً قد اندثرت تماماً ولم يبق منها الآن سوى أطيافها وأطلالها؟

كانت هذه المرة الأولى التي أرى فيها جندياً أمريكياً مصوباً مسدسه في اتجاهي دون أن أعلم كيف عليّ أن أنصرف. يجب أن لا أخفي هنا بأنني كنت من أشد المؤيدين للتدخل الأمريكي بغية الإطاحة بصدام ونظام البعث، بيد أن توقعاتي، أو آمالي في أوضاع أفضل مما كانت عليه في عهد صدام، تبهتت منذ شهور وحل محلها اليأس.

ومن بعيد، وفي مدخل "المصور"، عند "معرض الزهور"، لمحت أخي ينتظر إلى جانب خالي وشخص آخر لم أتبين درجة قرابته.

لا أحرف كم استغرق العناق، وحاولت أن أحفظ بشيء من التماسك، لكنني ربما سأندم على ذلك فيما بعد، إذ أن نظرة واحدة من الدعم ربما ستعيني على تلمس الدرب ساعة الشدة؛ فهل نضبت بشر الأحران هذه التي خلقتها تقيض في أعماقي. كان الوقت غروباً وكنت منفعلاً وغريباً وثمة مسافة طويلة مارالت تفصلني عن أهلي وأحيتي. ففكرت في أترك لهم أمر التصرف بي ويوقتي، إذ لم يعد أمامي ما يمكن أن أفعله سوى الصمت والإصغاء. لقد جئت إلى هنا من أجلهم هم، وليس انصياعاً لخطين استمرت ناره ستة وعشرين عاماً. هؤلاء هم الأهل والوطن وحلم الوصول.

نعم الوطن! في الطرف الأخير من المدينة الأفقية العملاقة الذي تقلبت به الأزمان والأسماء، لكنه بقي مهملًا، منسياً، متداعياً، مرشحاً كل مرة للقتل والتفريط، إنها مدينة الثورة، فمدينة صدام، فالصدر، وكل اسم جديد يلغى ما قبله من الأسماء لم يزد المدينة - القرية إلا فقرًا وعوزًا، ولم يكن إلا نيزًا من العبودية والاضطهاد؛ أسماء لم تكن أكثر من إكراه سياسي لا مسوغ له سوى الإحسان في امتحان كرامة الناس للمهتنة أصلاً. لم يكن من حق أحد الاعتراض عندما أطلق على الخراب المزعولة اسم "مدينة الثورة" التي انقطعها الجنرال عبد الكريم قاسم من الصحراء لبيعها بها السكان الفقراء المؤيدين له عن مركز المدينة حيث كانوا يقيمون، فمارس ضدهم سياسة عزل وفصل يكاد يكون عنصرياً، بغية إبعاد أولئك الذين من المحتمل أن يتحولوا إلى مصدر خطر يهدد "الجمهورية الوليدة"، الكلبة الوليدة التي طبخت على نيران مشبوهة، وجعلت العراق منذ تلك اللحظة المشؤومة، لحظة الرابع عشر من ثور، مسرحاً للتأمر والمجازر التي أتت على الآلاف، بل الملايين من مواطنيه، لنتهي باحتلال أمريكي - بريطاني، لا هم له سوى إطفاء آخر ومضة من تلك الروح العراقية للحرية. هذا هو العراق، هذا ما تبقى منه، وهذه هي نهاية العبة الكبرى، الكلبة الكبرى. لقد انتهت كل شيء. فكم غريباً أن أتوصل إلى هذه الحقيقة الفاطمة في اليوم الأول من دخولي إلى البلد الجائع والمحاصر والمهان.

بغداد ٢٠٠٤/٣/٩

ثم احتشدت الوجوه القريبة متدافعة مبتهجة، متلهفة لمعرفة فيما إذا كان هذا الغريب مازال يحتفظ بلامحها بعد أعوام الفراق كلها. وكم كانت السعادة تغمر الوجه الذي طبعت آثاره في مخيلتي، فثمة نظرة قديمة مرحة، وفجوة بين الأسنان، قد اتسعت الآن، وثمة خيال؛ علامات عليك أن تقرأها من جديد. وثمة آباء فقدوا أبناءهم وأمهات تكلى ونساء أهدم أزواجهن، رجال فقد البعض منهم بصره أو طرفاً من أطرافه في الحرب أو بفعل التعذيب؛ هؤلاء كلهم التقيت بهم وعانقتهم وتحدثت معهم وأصغيت إليهم طويلاً. كان لكل واحد منهم قصة، وأحياناً تتقاطع إحداها مع وقائع القصص الأخرى فتكملها، وتثبت صحتها وتعمق مغزاها، وكان عليّ أن أصبر طوال الليل، لكي أصغي إلى قصص الموت والدمار الذي حلّ بالناس، بأهلي وأحيتي. وكيف لي أن أتوقع شيئاً آخر غير هذه الأحاديث؟ فهذه سكينه، ابنة الخال، وقد اعتقل زوجها بتهمة الانتماء إلى "حزب الدعوة الإسلامية" في مطلع الثمانينات ثم أعدم ولم يتسلم أحد جثمانه. غير أن صدام وأوراته لم يكتفوا بقتل من لم يتجاوز الخامسة والعشرين، إنما اعدوا شقيقه الذي لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره، هكذا لمجرد الشبهة. ويبدو أن هذه الجريمة المروعة لم تستأثر باهتمام الحكام الجدد، فمازالت الأرملة تقدم العريضة تلو الأخرى لإعادة الاعتبار إلى الزوج القتيل، بل الشهيد بالقاموس السياسي العراقي، دون أن تعني هذه الشهادة الكثير بالطبع، مادام العراقيون كلهم شهداء، أو مشروع شهادة لا ينتهي. لقد ضاعت القيم وماتت الضمائر، هكذا شكت لي سكينه، فقلت لها إنه الليل الأمريكي أو الليل الأمريكي الطويل، فاصبري!

إذا كان هذا هو حال زوجة الشهيد، فما الذي أقوله عن نفسي، أنا المنفي، الذي عاد بكل بداية إلى أهله وبلده بعد أن أحرقته جسر الفراق مثلما أحرقته الكثيرين غيره؟ فما الذي يميز هذا العائد عن أولئك المنفيين الداخلين القابعين بين جدران بيوتهم في العراق نفسه ينظرون الموت ساعة إثر ساعة؟ بلا شك أن الأعوام ذهبت سدى، وهذه هي الصدمة الأولى ليس إلا؛ إنها لحظة الفراق وقد آتت بعدها لحظة العناق، وثمة لا شيء بينهما.



جانب من عرض "صدا" - Vito Vito

في المساء المتأخر قصّ عليّ ابن خالتي "صلة" طرفةً ليبدد شيئاً من قلقي ويسهل عليّ النوم. النوم؟ وهل سأنام فعلاً، أم إن الأمر سيختلط عليّ مثلما يختلط الأمر عليّ أرومي من سكّان أستراليا الأصليين فجع بفقدان عزيز فلا يعرف إن كان ذلك حلماً أم حقيقة!

قال ابن الخفالة: ذات نهار بارد، كنت أجلس على صخرة انتظر زيوناً يشتري حديد الحفرة، فأقبل عليّ رجل أتى برباط عنق وحقيبة دبلوماسية، وأخبرني بأنه وكيل إعلانات رسمي، وطلب مني أن أشتري برقية تهتة إلى صدام حسين بمناسبة نجاة ولده عدي من محاولة الاغتيال. فقلت للوكيل إنني من الشهداء الأحياء، وقد فقدت عيني دفعاً عن الرطن، وإنني لا أملك الآن إلا قطع الحديد الصدئة التي تراها أمامك. فقال للوكيل إن هناك إعلانات أقلّ كلفة بمقدار النصف، ثم أخذ يلح. فرفعت أمامه دندشاتي وقلت له يا أخي صدقي بأنني لا أملك شيئاً، وهذا السرّوال الداخلي هو لزوجتي، وقد ارتدتي بسبب البرد. ومع ذلك فإن الوكيل لم يقتنع، وأشار إلى بائع حديد جلس إلى جانبي، فقلت له إن هذا المسكين لا يملك حتى سرّوال داخلي. فهلنا هو العراق العظيم، العراق المهلهل، عراق صدام الذي شحّت سراويله، وعراق ما بعد صدام.

بقداد ٢٠٠٤/٣/١٢

أطباق عديدة مليئة "بالقيمير" العراقي والمرّي والطرشي واللحوم المشوية، كان هذا إنطار الصباح. لقد أعدت شقيقتي العدة لكي تجعلني بدنياً، لأنني لم أتناول في المانيا طعاماً جيّداً حسب اعتقادها. ويبدو أن وجبة الإنطار هذه كانت مكافأة لانعدام النوم من فرط التوتر والانفعال، وربما بسبب تلك المواعظ الليلية و"اللطيفات" التي جادت بها سمّاعات حسينية في الجوار. كنت قد رأيت هذه الحسينية العملاقة المظلة على الشارع العام المؤدي إلى منطقة "كسرة وعطش"، حيث يقع بيتنا. وكانت عبارة عن بناء بثلاثة طوابق مخصصة لحزب البعث الحاكم، لكنها لم تكتمل بعد، فأصبحت بعد سقوط النظام من حصّة جماعة إسلامية، لعلها جماعة مقتدى الصدر. فوضعت يدها عليها وأقامت فوقها قبّة خضراء غير متناسقة وبدت كما لو أنها صنعت من الورق المقوّى. ويظهر أن الوقت كان يلحّ على هذه الجماعة الإسلامية لتحليل مقر "حزب البعث" إلى حسينية تستوعب تلك الأعداد اللامتناهية من المصلين الجدد الذي اكتشفوا فضيلة الدين مؤخراً بعد ما جربوا الفضائل، وزعموا الرذائل أيضاً، إيان نظام الطاغية صدام. أما الكلمة السحرية التي كانت تنسّر الكثير من غوامض الأمور ومجاهلها فهي كلمة "الحواسم" المقتبسة عن "أم الحواسم"، أي آخر الهزائم التي مني بها الجيش العراقي ونظام البعث. فقد حسم الكثير من العراقيين أمرهم، وعلى وجه السرعة، فحولوا ممتلكات الدولة وسرقات النظام إلى غنائم وأسلاب.

كان الإنفاذ دسماً وشعرت بشيء من الانتفاخ ولاحظت بأن أخي كان يطيل التحديق فيّ وكأنه يتنقّد أمراً أصدرته شقيقتي الكبرى يتعلّق بمراقبة عملية إطعامي إطعاماً صحيحاً. كان وجهه في الواقع متسجماً، مهموماً، وكان نادراً ما تفرّج شفاهه عن ابتسامة.

سألته عن عمله فأجاب على الفور بأنه يبحث عن عمل منذ سقوط النظام، وأنه كان ينتظر قدومي، فربما أسهلّ عليه عملية البحث عن عمل مناسب. كان يعتقد بأن لي علاقات مع أصحاب السلطة الجديدة المؤقتة، ولم يكن يعلم بأنني معزول ومقطوع عن الأحزاب منذ عشرات الأعوام، بسبب شكوكي في مبادئها وبرامجها وطبيعتها نشاطها.

قال إن هناك وسيلتين للمعور على عمل في العراق، الأولى هي القرب من مواقع السلطة الأمريكية وممثليها من العراقيين، بمعنى أنك يجب أن تخطي بتركية أحد الأحزاب المتعاونة مع قوّات التحالف، أو، وهذا هو أكثر الحلول سهولةً، أن تقدم رشوة مناسبة لأصحاب الشأن. ثم قصّ عليّ حكاية المستخدمين الأربعمئة الذين التحقوا بوزارة الصحة بعد أن مدد كلّ واحد منهم مبلغ ٢٥٠ ألف دينار عراقي، أي ما يعادل مئة وثمانين دولاراً. وأضاف معلناً بأن الأمر بات أسوأ بما لا يطاق عما كان عليه في زمن البحث. وسواء تعلّق الأمر بتنظيف المجاري أو رفع القاذورات أو تصليح خطّ التلفزيونات فلا بد من دفع الرشوة التي بدونها لا يتحقّق شيء. ولكي يثبت لي صحّة ادعائه اقترح عليّ أن أرفقه في جولة.

لقد فقدت عبارة "الصدمة" معناها كلياً في عراق اليوم، فمن الممكن نظرياً أن تكون عميلاً مباشراً لسلطة الاحتلال، ووطنياً في آن واحد.

لا شيء في مراكز بغداد التجارية سوى الفوضى والضجيج والدخان الكثيف وأكوام الأربال وصراخ الباعة الثابتين والبوابين الذين وضعوا عرباتهم في منتصف الشوارع والساحات. وثمة صفارات شرطة لم يلتزم بها أحد، لكن الغريب في الأمر هو أن مفردة الشرطة الصغيرة التي تنظم السير في "ساحة التحرير" بدت في مزاج رائق، لأنها ربما اعتادت على مشهد الفوضى والرشوة التي يمكن أن تتمخض عنها هذه الفوضى المطلقة. ولأن الواقع في العراق لم يعد يحتمل الجذّة فقد تقدّم ابن عمتي الذي كان يرافقنا من ضابط السير الذي كان يحمل رتبة مقدم وخاطبني: استمع إلى ما سيقوله السيد المقدم. وبعدما تبادل القريب بضعة كلمات مع ضابط المرور ثم صافحه مودعاً قال المقدم: كم دينار يرحم والدك، فلوس غدا!

إذا كانت هذه لغة ضابط كبير في الشرطة العراقية الجديدة وفي أهم ساحة عراقية وأكثرها شهرة، فكيف سيكون سلوك شرطي الأمن في عراق المستقبل! في زمن صدام كانت عقوبة الإعدام تنفّذ أحياناً على من استسلم الرشوة، على الرغم من أن صدام وأهوانه كانوا يمارسون أسلوب الرشوة علناً وعلى رؤوس الأشهاد. لكن الآن وبعد غياب نظام البيعث الذي خلف وراءه ضماير مريضة أو ميتة أصبحت الرشوة سلوكاً يومياً طبيعياً.

وفي مساء اليوم ذاته ذهبت إلى زيارة مريض رقد في مستشفى «مدينة الطب» الذي طوّفه رجال مسلحون، لأنه يعتبر هدفاً سهلاً للإرهابيين الذي لا يعرف أحد الجهة التي تقف وراءهم، لذلك لم يبق أمام الأمريكيّين وأعدائهم العراقيين إلا شتاعة "القاعدة" وأنصار صدام أو "أنصار الإسلام"، وكان هذا الذي سمعنا به أو رأينا به بأنّ أعياننا لم يكن إرهابياً: الاعتقال العشوائي والقتل العمد والتعذيب حتى الموت وإطلاق الرصاص على ممثلي الصحافة والجريمة المنظمة التي تشرف عليها بعض الأحزاب المشاركة في مجلس الحكم، هذه كلها مجرد شواهد صغيرة على ما سيؤول إليه مصير العراق برمته. حتى تلك اللاتيات والصور التي تمثّل رجال دين، ولا شيء غيرهم، كما لو أن العراق كان مجرد مؤسسة دينية ليس إلا، حتى هذه الصور كانت بمثابة إرهاب مسلط على المرضى وعلى مستخدمي المستشفيات. ثمة عشرة أشخاص على الأقل، بعضهم كان مسلّحاً، جلسوا في مدخل المستشفى وقد بان على مظهرهم اتنازاهم الديني أو في الحقيقة اتنازاهم الطائفي، الثياب السوداء والأشرطة الخضراء. وما أن دخلنا حتى سألنا "موظف" الاستقبال إن كنتا قد أتينا لهم بهدية. ويبدو أن الهدية، التقديّة على الأغلب، هي ضريبة روتينية تفرض على الزائر وإن كان مريضه محتضرًا. ورضع أننا دخلنا إلى صالة الإنعاش، أو العناية المركزة، المجهّزة حسبما قيل لنا بأحدث المعدات الطبية، فإنا رأينا القذارة في كلّ مكان، في الأرض وعلى الأسرة والطاولات، وثمة أسراب من الحشرات تقاسم المرضى غرفة إنعاشهم. وكان هناك من أبلغنا بأن "الرعاية الصحية" قد تمحنت بما لا يقاس مقارنة بما كانت عليه أيام نظام البيعث؛ إذ أن غرفاً كهذه كانت

آنذاك وفقاً على رجال النظام. إنه مستشفى حكومي عام، بيد أنه اتخذ الآن معالم حسينية ضخمة بطرايق كثيرة ومصاعد كهربائية، وقد بات الضريق صعباً فيما كان هذا الذي ينتحب خلف الجدار قد فقد عزيزاً لنتو، أم أنه يكي مصاب الإمام الحسين.

بشده: ٢٠٠٤/٣/١٣

كنت توافاً إلى يوم الجمعة، لأنه اليوم الذي يجتمع فيه الأدباء في مقهى الشاهيندر وشارع المتنبي، حيث العشرات من المكتبات التي لم أر وجوداً مشابهاً لها بهذه الكثافة في أي عاصمة عربية رأيتها من قبل، لا في القاهرة ولا في بيروت أو دمشق أو تونس أو الرباط. إضافة إلى عدد لا يحصى من الباعة الموقتين الذين عرضوا كتبهم في الشارع الضيق نفسه. كتب مترية ممزقة وأخرى جديدة زهيدة الثمن، لأنها طبعت بصورة لا شرعية في إيران أو في أماكن أخرى. كان هناك تضخم في العرض، ويسود أن القوة الشرائية للعراقيين لم تستعد عافيتها بعد، أو أن ما رايته كان زهيداً من وجهة نظر عراقي مقيم في ألمانيا وباهظاً من وجهة نظر القارئ العراقي. أربعة دولارات، على سبيل المثال، دفعتها ثمناً لكتاب إسحاق نقاش عن "شعبة العراق"، وعندما دقت النظر وجدت أن اسم المترجم قد أسقط وأن هذه الطبعة صدرت عن "انتشارات المكتبة الحيدرية" في مطبعة "أمير - قم" الإيرانية، أي أنها طبعة غير شرعية صدرت بموافقة الحكومة الإسلامية في إيران، أو أن هذه الحكومة لم تكن مهتمة البتة بالجهود الفكرية للأحرار ولا بحقوقهم.

هذه هي بغداد القديمة التي طالما حلمت بها وحاولت استعادة تفاصيلها؛ هاهي ماثلة أمامي اليوم وقد لردادت قدماً تحت وهج الظهيرة الساكنة. إنه التراث نفسه وصراخ الباعة والألفة والمنازل المتداخلة التي لم تجد لها يد الإصلاح منذ كانت هذه الناحية المتباعدة مركزاً للحكم ودلر إقامة للوالدة الشاهين؛ هذه هي المدينة المخرافية الأسطورية المنبئة المستباحة التي طالما وطأها أقدام الغزاة والطامعين والمشتاق والشعراء منذ أبد الدهر، وما زالت تطلها إلى هذه الساعة.

وفي نهاية الشارع احتشد كتاب العراق الجديد - القديم وصحفيوه، وحين تمعت في الوجوه المترتبة المستبشرة لم أر من كان يتطلع إليّ، أو من أرحى لي بأنه ربما كان قد رأي من قبل. وبعد فترة طويلة أقبل عليّ رجل ملتجئاً وجهه بالكدمات وبقياء الجروح، وكانت ثيابه مقوية في مواضع عديدة كما لو أنه أطفأ فيها سجاثره، ووقف أمامي وأخذ يتطلع إليّ ثم نطق باسمي الذي لم أكن قد عرفت به كاتباً "حسين ابن علك ابن علي؟" نعم؟ هذا هو هادي السيد حرز، صديق صباي؛ هذا الفتى الذي كان وسيماً موهوباً شديد الذكاء، أصبح الآن مشرداً مدناً لا مآوى له سوى الشوارع. لم يبلغه أحد بوجودي ولم أفصح له بشيء عن هويتي، لكنني عرفته أيضاً. رأيت الدمع يترقرق من مآقيه ويخضب طيحه غير المشبهة، والذكاء مازال يشع من عينيه الصغيرتين اليقظتين. "ثمة طائر آخر يعود"، هكذا أُنشد، لكن الطائر يا عزيزي جاء معجباً مهيب الجناح، ثم أعذته في الأحضان. لم أسأله ما الذي حلّ به، هذا الصاحب المتوقد الذهن. فكتم كنت أزره في البيت وأصغي إلى حكايات أبيه الذي أوره روح النكته والطفرة والموهبة. كان أبوه قد قصّ علينا ذات مرة كيف أنه كان من أوائل المستسيين لحزب "البعث"، وكيف أنه كوفٍ بمنزلة عقب انقلاب تموز ١٩٦٨، لكنه وجد للمنزل مأوئاً. كانت ثمة عائلة كردية كبيرة، وعرف فيما بعد بأن الحزب كان يعلم بذلك، ثم أخذ يضرب لنا الأمثال عن الطليعة التأميرية لحزب البعث وعن الخوف المتأصل في نفوس العراقيين. كان ذلك قبل حوالي ثلاثين عاماً، والآن هاهو ابنه الثّان يفتش الطرقات معزواً متسولاً. قال إن الأمر انتهى به إلى الشارع منذ ثمانية عشر عاماً، بعدما انفضّ عنه الأهل والأصدقاء. فهل رأيت هاني وهم وحسين علاوي وعلي مغامس وحسن عاتي وسيف الدين قاطع وداود سالم وكريم العراقي؟ لكنني لم ألق بهؤلاء بعد، وشعرت بفرح داخلي بأن هؤلاء كلهم مازالوا أحياء. ثم أثار هادي إلى مدخل "سوق السراي"، حيث انتصبت كرة أرضية فوق طاولة محل بيع القرطاسية وقال إن العراق لا يحتل من هذه الكرة سوى ظفر صغير، لكنه يحتوي الآن على مئة وخمسين حزباً وعلى مئتين وإحدى عشرة جريدة. ففي الزمن البائد كانت هناك ثلاث أو أربع جرائد تثير القرف، وأخذنا بمرور الوقت لا نشر بوجودها، أما اليوم فقد بدأنا نشر بالغيثان والاختناق من هذا الكم الهائل. إنها جرائد إذا ما أمسك المرء بواحدة منها يشعر من فرط نساقتها بأن يده لن تتطهر حتى شطفها بماء النار. أحزاب وشخصيات

تتهافت كلها لكي تخدم الاجنبي لقاء أجر، رؤساء تحرير صحف يطوفون على قوات الاحتلال بغية الحصول على إعلانات. وقال لي هذا الشاعر على سبيل المثال الذي جعل نفسه ذات يوم متحدثاً بلسان أدباء العراق. لقد كان يجلس معنا إلى طاولة واحدة ويحتسي الخمر مثلنا وينشد أناشيدنا ثم يتقياً مثلنا. غير أنه اليوم أصبح مملاً لإحدى التنظيمات الدينية، وحالاً ينتهي من تلاوة قصائده تخته جلسته بعزاء أو لطمية. هذا هو العراق الديمقراطي الجديد، ديمقراطية أن تكون خائناً هكذا على رؤوس الأشهاد، ومادام الكثير يمارس دور الخيانة فما الضير أن نجد لك ملاذاً ورزقاً لدى حزب أو تنظيم. قال إنه كان يلقى القبض عليه في زمن البعث، لكنه يضرب في المعتقل، أما الآن فإنه يضرب في الشارع نفسه أمام أعين الناس. "ثمة جماعات تعتقد أن من واجبه الديني أن تضربني أنا المشرّد المدمن. إنهم يريدون مستجعماً نظيفاً وهم يجلسون في منتصف القلادة".

بغداد ٢٠٠٤/٣/١٣

اليوم جاء أبناء العمومة، عشرون ابن عم وأبنائهم وأحفادهم ونسأولهم، جاؤوا ليستطلعوا أمر هذا الغريب المبعد الذي قاده الحنين من عتقه كالعبد. كان المشهد بالنسبة لي يشبه الورطة أو الاستحان، فهؤلاء كلهم من لحمي ودمي وهم مستعدون ربما أن يقدموا الكثير من أجلي، لكنني لا أعرفهم، وكان أكثر الناس قريباً لي من بينهم هو ذاك الذي التفتت به ثلاث أو أربع مرّات في حياتي كلها ولم أجد أعرف عليه الآن إلا بشقة. كان أغلبهم صامتاً مطرّقاً، لمّحه كان يفكر في سؤال صحيح خال من التقصيد، لا يجلب عليه سريرة الآخرين. وهكذا طال الصمت، وبدا كما لو أنهم جاموا ليودعوني، هؤلاء أبناء الأعمام القادمون من أطراف الأهوار والمدن. وبعد فترات تأمل كانت بعض الأسئلة الصغيرة المترددة تنطلق من أكبرهم سنّاً: هل المانيا تقع بالقرب من مكة؟ هل فيها شاي وسكر؟ وهل يغسل الميت ويكفن كما هو الحال عندنا؟ ومن أي ملّة أو عشيرة زوجتك؟ أي المانية؟ وهل علمتها الصلاة؟ كلا، إنها مارالت على دينها ولم تدخل في دين الفطرة. يا لصجب! وهل يتكلم أناؤك اللغة العربية؟ إنهم يتكلمون الألمانية فقط. أرووه! لاشكّ إنهم سيقيمون. وهل في المانيا نفط كما في العراق. كلا، الحمد لله! والغاز؟ وهل تنقطع الكهرباء، يلفظونها "الكهربة"، في المانيا؟ ما هي المهنة التي تمارسها؟ كاتب! كاتب عرائض أم ماذا؟ شيء من هذا القبيل. هل الألمان يخطفون عتاً؟ كلا ليس هناك اختلاف، إنهم بشر مثلنا، ربما يفكرون أكثر منّا قليلاً؛ هذا كل شيء. ولماذا تشغل أنفسنا في التفكير، وما الذي استفدناه من التفكير سوى حرق الأعصاب! سنرى ما تفعله أمريكا بنا. اللهم اجعله خيراً.

بغداد ٢٠٠٤/٣/١٤

في الامس تمت نوماً سيئاً للغاية، وشعرت بأن تفسراً ما طرأ على جسمي، على أية حال، شعرت بحساسية جلدية لا أعرف مصدرها. لقد أمضيت ليلتي في مدخل الدار، الهول كما يسمى، لأن الزوار القادمين من العمارة احتلوا غرفة الضيوف التي كانت بمثابة غرفة نوم.

وبالإضافة إلى الحساسية جاء صوت جازنا السكير الذي أصابته شظية في رأسه إبان حرب الكويت ولم تخرج منه، إنما أخرجت الرجل عن طوره. كان صوته يلعلع بعد منتصف الليل إلى جانب مسامعات الحسينيات والجامع الموقته. وكلّما حاولت أن أفهم شيئاً مما نطق الجزار أبو قاسم أو ما جادت به مكبرات الصوت فشلت أبداً فشل. وفي صباح اليوم أبلغني أحد أقراني بأن أبا قاسم كان ذات مرة أن يورط بعض الجيران الشيوهين أصلاً في نظر حكومة البعث، إذ وقف طوال اليوم يردد بصوت عال برقية عاجلة: "من علي حسن المجيد إلى طارق عزيز، هل تسمعتني؟ لقد وصل صدام، أجب! من علي حسن المجيد إلى..." لكن من ذا الذي سيجيب؛ فحتى جنون العراقيين صار سياسياً.

كان كلّ ما سمعته تقريباً ينضج بالسياسة، التساؤلات والحكايات والأحداث العامة والأمثلة. لقد أفندت السياسة حياة الناس، فلم يعد هناك مجال لا علاقة له بالسياسة، وأي سياسة الحرب والجوع والاحتلال وحالة القتل والتوتر وفقدان الأمن والأمل. روى لي أحد الجيران بأن ابن خالي كان واقعاً ذات يوم تحت تأثير المخدرات فقام بإطلاق قذيفة على دورية أمريكية كانت تجوب شوارع "مدينة الثورة"، فانطلق الهدف وهرب، فطارده الأمريكان من بيت إلى بيت. وفي بيت هذا الجار كان أبوه الأعمى يجلس على خشبة

مرتفعة قليلاً عن الأرض، فما كان من الأمريكي أن رفعوا الأعمى وعشبه بحثاً عن ابن الخال. فصرخ الأب ذعراً من ذا الذي فعل بي هذا؟ فقال الابن "لا تخف يا أبي، هؤلاء بيت طارش، أبناء عمومتك!"

نعم، هؤلاء هم أبناء العم سام القادمون من ساوث كارولينا ونورد داكوتا وكنساس وأوهايو؛ جاؤوا ليصلحوا ما أفسده صدام، ابن العم العراقي، أو الأمريكي بالفطرة لا فرق، فجعلوا ما كان فاسداً أصلاً أشدّ فساداً.

بغداد ٢٠٠٤/٣/١٦

ولأن بعض الأقرام كان يأتي ثلاث أربع مرّات في اليوم الواحد ليسألني عمّاً دار في خلد، فقد اقترحت على صديق لي أن نذهب إلى "اتحاد الأدباء" العراقيين، قرب ساحة الأندلس، حيث استخلفت في محل للكلمك والمعنجات عندما كنت صبيّاً.

لم يبقَ للمحل أثر، واختفى كذلك "فندق صحاري" الجميل، وأقيم في موضعه مخزن للأثاث ومزاد علني. ومن الطريف إنك حالماً تدخل مبنى الاتحاد يهرع إليك رجل مسلح ببندقية روسية ليفتشك. فابتسمت مستسلماً للرجل الذي كان يؤدي عملاً نافعاً تماماً، لكن هل يعتبر أدباء العراق مهديين، أو هل تعرض أحدهم للقتل في زمن نظام كان قائماً على سياسة الموت وحدها؟ ربما كان هذا هو الاتحاد الأدبي الوحيد في العالم الذي يحرسه رجال مسلحون، وبما يجعل الأمر أكثر مفارقة هو أن لا أحد يعلم فيما كان هناك أصلاً اتحاد للأدباء العراقيين. فكلم مرةً ناس هذا الاتحاد ثم اخشى بالطريقة ذاتها التي تأسس بها. وكسم حاول متعهدو الأحزاب والمتطفلون على الأدب أن يتصدروا الواجهة الشقافية في الداخل والخارج؛ بيد أن أحداً منهم لم ينجح في محاولته. وثمة لوحة في المداخل تمثل الشاعر محمد مهدي الجواهري، أحد مؤسسي اتحاد الأدباء بعد انقلاب تموز ١٩٥٨. صورة عملاقة غير فنية، صارخة اللون، مرتجلة، لكنها تبقى على أية حال أفضل من وضع صورة لوحة لفارس عربي أو لرجل دين معمم.

بضع طاولات مربعة ووجوه لا أعرفها، ولا تعرفني. عيون ترون برهة صوب القادم الجديد ثم تغضّ البصر ثانية. يبدو أن أحداً لم يمر في وجهي على ضلالتهم. اختار لنا الصديق الذي أدخلنا بطاقة عضويته مكاناً في الحديقة المشمسة، وأراد أن يقتني بتناول قنبلة صغيرة من العرق. فرفضت مفضلاً أن أشرب شيئاً آخر في عزّ الظهيرة تلك، لكن حانوت الاتحاد لم يكن يقدم لزبائنه إلا للمشروبات الروحية، أما المشروبات الجسدية من قهوة وشاي فيمكن أن يأتي بها الزبون من خارج المبنى، ومن الأفضل لو تناولها في الخارج أيضاً. إن الأدب الحقيقي لا يحتسي الشاي أو القهوة، إنما خمرة التمر المصفاة وفي رابعة النهار. قال صاحبي لو أن العرق كان جزءاً من الحصّة التمثونية في سنوات الحصار لشربه العراقيون تسريعاً عن النفس بفعل القهر. ثم أعصاب دون سابق إنذار: ما الذي أتى بك إلى العراق؟ فهنا ما يكفي من الكتاب وفرص العمل تكاد تكون معدومة، والأمن مفقود، والبلد محتل، والقوى السياسية العراقية لم تزل ضعيفة، لا تعرف بالضبط ما الذي عليها أن تفعله...

أيّ صحوه، وأيّ نصائح واقعية، وحصافة رأي؛ لا تمد إلى بلدك وأهلك، وعد إلى مثلك الذي استحال الآن فقط إلى منى حقيقي. وإذا كنت تأمل بالعودة ذات يوم، فما هو أملك قد انقطع تماماً، فلا عودة لك من بعد، عولياً كنت أم حسيّاً. هذا الماضي، هذا الجرح الطوي السائر، التنازع، عليك أن تطمره طمراً؛ فهو الماضي وقد جثت لتدفنه. إنك لم تعد بحاجة إلى أكثر من معرفة لكي تهمل التراب على ماضيك الذي مات وعلى وطنك وشعبك ومدينتك. فهذا كلّ ما تبقى لك، ليس من الأفضل أن ينقطع الأمل دفعة واحدة بدلاً من أن يبقى خيطه الواهي معلقاً في الخيال إلى ما لا نهاية؟

بغداد ٢٠٠٤/٣/١٧

قررت اليوم البقاء في البيت لأنصت بعض الجرائد الصادرة في العراق: "المدى" و"النهضة" و"التآخي" و"الدمستور" و"الشاهد" و"الصباح" و"المؤتمر" و"المشرق" و"الجريدة" و"النار" و"اليوم الآخر" و"بغداد" و"طريق الشعب" و"الساعة" و"الأدب".

في الواقع لم تكن الغاية معرفة أخبار العراق أو الإطلاع على "سر" من أسرار السياسة الداخلية أو على

تغطية ميدانية لحدث ما، لأن كل جريدة كانت تشبه الأخرى أو تقلدها، شكلاً ومحتوى، إنما مجرد رغبة آنية في معرفة ما وصل إليه واقع الصحافة هنا. وأحياناً تصاب باليأس عندما تسمع مساءً أصوات انفجارات مدوية في بغداد لكنت لا تجد لها صدًى في الجرائد اليومية، وفي أفضل الأحوال فإن هذه الجريدة أو تلك تنشر خبراً صغيراً تنقله عن إحدى وكالات الأنباء الأجنبية. وبلا شك أن الصحفيين العراقيين العاملين في المجلات الفضائية العربية هم الوحيدون الذين يفترون كثيراً من مكان الحدث، مجازفين بحياتهم، وقد فقد البعض منهم حظه بحثاً عن سبق صحفي. ولهذا السبب ربما كان أصحاب الصحف العراقية يتحلون بقدر من العقلانية، فلا ينأملون بأرواح محرريهم. ومادم القارئ ليس مهتماً بحساباتهم، إنما مصدر التمويل وحده، المجهول غالباً، فلا بأس أن تصدر الجريدة كسيخية مينة كل صباح. خمس عشرة جريدة لو عصرتها عصرها لما خرجت منها بتسليم نقدي أو تحقيق صحفي جيد عن ظاهرة اجتماعية. وظلما بقي الأمر هكذا فإن من الأفضل على أية حال الاهتمام بالصفحات الأدبية، وبالأخص القصائد التي تجمّع بها الجرائد، مألوفة بها الفراغات بسبب نقص في الإعلانات، أو في المواد الجيدة. بيد أن القصائد ذاتها أصبحت لا تفل جديّة عن الحدث السياسي. وإذا كان اختيار الأخبار يخضع أحياناً للظروف الطارئة فإن القصيدة تبقى على الدوام نتاجاً حسيماً ذاتياً لا علاقة له بالبيئة بتقنيات العمل الصحفي وإشكالاته الآنية. وبالقصائد يمكن أن نتعرف على إحساس الناس وأمرجتهم، وتطلع أيضاً على مقدار التطور الذي طرأ على لغة الشعر العراقي وشكله وبنائه وموسيقاه وقوة تعبيره.

لكن يا ليحيا الأمل الذي ما بعدها خيبة! أشعر هذا الذي ينشر اليوم في العراق هذيان أم غثيان؟

بغداد ٢٠٠٤/٣/٢٠

كنت أحسب نفسي لا مبالياً فيما إذا عرف عراقيو الداخل عني شيئاً أم لم يعرفوا، وقد رُوّضت نفسي منذ البداية على التعامل مع ما أراه في هذا البلد بقدر من الانفتاح والصبر، معللاً ذلك بأن رحلة العودة كلها ما هي إلا محاولة اكتشاف لما استجد في العراق. وعلى الرغم من هذه التهيئة النفسية شعرت بشيء من الإحباط بعدما قرأت أسماء الأدباء والسياسيين والصحفيين العرب والعراقيين المدعورين إلى "مهرجان المريد" في البصرة ولم أعر على اسمي بينهم. فقلت ربما حدث سهو أو أن اسمي لم يخطر في ذهن من أشرف على إعداد القائمة، ربما كان صيتي ليس مدوياً. بيد أن القائمة كانت تتضمن أسماءً مجهولة أو متهمّة بالتعامل مع السلطة المنهارة. ثم إنك ألا تشعر بالخجل من أن يقرن اسمك بمهرجان كان موقوفاً على مذبح صدام وزبائنه من عرب وعراقيين؟ ألم تلوث هذه الأعوام الطويلة اسم المريد نفسه مثلماً لوث اسم القادسية وغيره من الرموز والمعاني التاريخية؟

وحتى لو ورد اسمي فهل يعني هذا أنني سأذهب فعلاً إلى البصرة، فبأي حال سأذهب وأنا أشعر بالاختناق في العاصمة بغداد! وهل سأؤجل رحيلي إلى ألمانيا من أجل مهرجان دعائي يقام تحت إشراف الناطقين باسم قوات الاحتلال ويؤمّل من قبل المؤسسات الأمريكية؟

بهذه التلميذات قصدت شارع المتنبي ثانية، حيث أوقفني شخص ما كان يتحدث بانفعال، وقال لي إنه سمع بي قبل أن يراني. وعلى الفور طلب مني أن أروده بمقالة لينشرها في مجلة أدبية كان يرأس تحريرها. فحاولت التخلص منه بالقول بأنني توقفت عن الكتابة. فاجاب أن قدرنا هو الكتابة وإننا لا نستطيع التوقف عنها. وربما كان الرجل مصيباً، لكنني توقفت فعلاً عن الكتابة باللغة العربية، ليس لأنني حققت ما كنت أصبو إليه، إنما لأنني لم أر معنى ومغزى لمواصلة الكتابة إلى قارئ مجهول يقع في مكان ما من عالم عربي لا ضوابط له ولا روابط، متعلمة فيه حرية التعبير والنشر وحقوقه. قلت لريس تحرير المجلة الأدبية الذي عينه وزير الثقافة حديثاً بأنني أرى أن الوقت قد حان لمراجعة ما قام به رجال السلطة من أعمال ضد الثقافة والمثقفين، وأن يحدثنا في مجلته عن الصامتين وعن من وقف في وجه سلطة البعث، لكي يكون الناس على بينة من واقع الأدباء داخل العراق. فما كان منه إلا وذرّ مستثراً متوراً: "أنا لا أريد مقالة منك، وسوف لا أنشر لك حرفاً واحداً طالما بقيت رئيساً للتحريّر".

وعيد وتهديد يأتيك من شخص منحه "وزارة الثقافة" سلطة ولساناً لا يخالف عن السنة السلطة الصدامية، إن لم يكن هو نفسه لسان حالها مطلقاً علمت فيما بعد، وقد كان هذا الشخص من المرشحين الرسميين في قائمة حزب البعث في "انتخابات" اتحاد الأدباء، وقد ورد اسمه في المرتبة الثالثة.

وهكذا توصل في عراق ما بعد صدام إلى أشد الحقائق غرابة، وهي أنك لا تجد كاتباً واحداً كان متعاوناً مع النظام أو موالياً له، لأن الأدباء كلهم كانوا مظلومين ومضطهدين ومعارضين. ربما أنت المنفي قد تكون خائناً في نظرهم، لكن ما أن تعقد مقارنة صغيرة بين وضع المثقفين الآنما إن الحكم النازي (١٩٤٣) ومواقفهم البطولية وتشكيل النظام الهتلري بهم تعرف مقدار الضغينة والانتهازية وروح المهادة والتخاذل السائدة في الوسط الثقافي العراقي. يا إلهي! ليس هناك مثقف بعني واحد ولا من كالم المذبح للطاغية ونال رضاه وعليته وقد فعل ذلك عن طمع أو رضى أو بفعل الخوف! أنت المبعد في أرض الشتات تتحمل وحدك وزر ما حلّ بثقافة أهل العراق واختلافهم. لقد دخلوا طواعية في حزب الدكتاتور وحربه ومريده وجبروا مقالات المذبح في جرائمه وتعاونوا مع أمته ومخايراته، إن لم يكونوا من رجال أمته، ومن نسائه أيضاً، ووقفوا صفاً واحداً دفاعاً عن الجلاذ، مستكرين لأبسط قيم الثقافة والمخال الإنسانية. وتراهم اليوم يرتدون أقمعة البراءة ويتمسحون بمسح الضحايا، بينما لم يبق في الحقيقة أحد منهم وقلّة شجاعاً يعترف بما اقترعه من ذنب إزاء المثقفين مجده ووشايته وكيف ارتقى سلم السلطة الدموية. فلا حساب هناك ولا صحوة ضمير، ومن كان صنيعةً للطاغية بات اليوم وكيلاً ونائباً للوزير أو مستشاراً لدى السفير يبرم، أو سفيره المحليين.

يقعداد ٢٠٠٤/٣/٢٢

قضيت اليوم إلى وزارة الثقافة دون أن أضع في ذهني شيئاً مسجداً، بل انصباعاً لنزعة فضول انتابني، لاري ما الذي تفعله هذه المؤسسة التي تشكلت بدلاً عن وزارة الإعلام للنزعة. كنت قد شاهدت هذه البناية الواقعة في الطرف الغربي من شارع فلسطين. جئت لأروها برفقة صديق فنان، عرفت منه بأنها كانت دار "الأزياء العراقية" التي كانت ساجدة خير الله طلفاح، زوجة صدام حسين، تشرف عليها، أو أنها أقيمت من أجلها، ثم "حسم" أمرها بعد سقوط زوجها وتحركت إلى وزارة من وزارات الحواشم الكثيرة. وكما هو حال المؤسسات المشغولة من قبل الحكومة المؤقتة فإن مفرقة تفتيش وقفت في البوابة الرئيسية تفتش الداخلين تفتيشاً يكاد يكون دقيقاً. ويبدو أن الحرية الممنوحة للعراقيين كانت من السعة بحيث أتيج لنا أن تعطي نصيباً في الجناح اليميني من البناية وتلقط صورة تذكارية.

كانت هذه المرة الأولى التي أدخل فيها مبنى وزارة، وإذا ما أخذ المرء وضع العراق إبّان الحقبة الصدامية في نظر الاعتبار؛ فإن الوزارات كلها كانت تخضع للشروط الأمنية واستراتيجية عمل حزب البعث، وبهذا المعنى فهي محظورة على المواطنين، لأن المواطن مشبوه دائماً من وجهة نظر صدام وحزبه. بلا شك أنه تطور إيجابي أن تدخل مقر وزارة دون أن تُسأل عن غرض الزيارة، وحتى اللقاء بالوزير الشيوعي نفسه وبلا موعد بدا أمراً ممكناً. وعندما سألتنا عنه قيل لنا إنه يحضر الآن اجتماعاً "لمجلس الحكم"، غير أنني لمحت بالصدفة شخصاً أعرفه، عُرِنَ للتو مديراً عاماً للعلاقات الثقافية من قبل الحزب الشيوعي أيضاً، دون أن تحدد مهمته تحديداً دقيقاً. كنت التقيت بهذا المدير قبل بضعة أعوام في بلجيكا، خلال عروض مسرحية لعراقيين، فكان اللقاء حاراً، وحديثي حينها باهتمام عما كنت أنشره في الصحافة العربية. لكنه اليوم بدا متحفظاً جداً، وقال ببنرة باردة بأننا سنلتقي بعد نهاية اجتماع كان يعقده، فانتظرت أكثر من نصف ساعة، تأملت خلالها السور الخلفي للبنانية فاكشفت بأنه لم يكن موضوعاً تحت الحماية، وكانت ثمة منافذ عديدة تؤدي مباشرة إلى المبنى. وعندما حدثت صاحبي الفنان بذلك قال إن هذا ليس العيب الوحيد في وزارة الثقافة. وقال أيضاً إنه اقترح على الوزير تشكيل لجنة خاصة تهتم بأمر أدباء الشتات، فاجبت بأن السيد المدير كان أحد المشتين مثلي، ويمرطني جيداً. فعمدت الدهشة لسان صاحبي "ورغم ذلك استبقك استقبالاً بارداً". فقلت "ربما ظنّ بأنني ساحل محله، لكنني لا حزب لي، شيوعي أو قومي أو إسلامي". وذلك يعني أن لا مكان لي في هذا العراق".

يقعداد ٢٠٠٤/٣/٢٣

حالما دخلت خالتي أم ماهر الدار وقت إلتينا بآ مقتل أسيرة بكاملها. ثلاثة أشقاء قتلوا اليوم، وبعدما علم الشقيق الرابع بمصرعهم انتحروا... كان القتلة تربصوا بالضحايا وأمطروهم بالرصاص في الصباح الباكر عندما خرج الأشقاء الثلاثة للعمل في السوق. كان القتلة متاهين، إذ حالما أجهزوا على جيرانهم انطلقوا

بسيارتهم إلى جهة مجهولة. بعد ذلك دخل أقرباء الضحايا دار القتلة وأضرعوا فيها النار. لقد انتهت أسرتان هكذا بكلّ بساطة. وقالت شقيقتي الكبرى لتجعل هذه المأساة نسيبةً بأن صاعفاً من طائفة الصابئة قُتل في "حي الكراد" صباح الامس ونهبوا محله، ثم أراد اللصوص الدخول إلى محل ثانٍ غير أن باعة الأسماك علموا بالامر فالتقوا القبض على أحد القتلة وأشيعوه ضرباً. هنا تدخل شقيقي ليذيع خبراً جديداً: هل سمعتم بلملة الرصاص ليلة الأمس؟ لقد قتل الإسلاميون بائع مخدرات واحد أعوانه. كان يتاجر بالأدوية للمخدرة التي تولّد الهلوسة، وقد أُنذر من قبل، لكنه لم يستجب للإنذار. لو كان الامر يتوقف على بيع الخمر لأصبح هيناً، لكن هذه الحبوب اللعينة تجعل المرء مخبولاً فيقدم على كل شيء. ألم تسمعوا بالفتى الذي تناول كبسولاً مخدراً فأقدم على قتل أمّة وأبيه وأخوته الأربعة. حدث هذا قبل بضعة أيام في منطقة "الثورة الأولى".

ثم جاء الدور على أحد أخواني فقال هل عرفتهم شيئاً عن قضية القوائم؟ أية قوائم؟ قوائم التصفية الجسدية التي أعدتها بعض التنظيمات العراقية للتخلص من الخصوم السياسيين أو الأعداء القدماء. هناك عصابات مسلحة مهمتها القتل، وهناك قائمة ورد فيها أسماء ضباط طيارين شاركوا في الحرب على إيران، إنهم اليوم مهسدون بالقتل، ويقال إن أربعة منهم قتلوا في مناطق الكرخ. فقدت خالتي بصرة: هذه الحوادث كلها في جهة، وقضية خطف الأطفال في جهة أخرى. سابقاً كانوا يخطفون أطفال الأسر الغنية، أمّا الآن فهم لا يتورعون حتى عن اختطاف أبناء الفقراء. تصوّروا أنهم يطلبون من الأب الفقير أن يبيع داره ليُدفع فدية على ابنه؛ فإلى أي حدّ وصلت بنا الأمور!

فرّد أخوها بصوت ضاحك: لا تقلقي لأننا اعتدنا على تقديم الضحايا، ونحن الآن مستعدون إلى تقديم مليون ضحية أخرى يلتحقون بالملايين الثلاثة التي ذهبت هباءً خلال الأعوام الخمسة والثلاثين الماضية. فكّم هو عدد العراقيين أربعة وعشرون مليوناً، خمسة وعشرون مليوناً؟ لا أحد يعلم بالضبط، فما الذي سيحدث لو قتل لنا إنهم فقط ثلاثة وعشرون مليوناً؟ وما الضير لو قدمنا مليوناً آخر قرباناً لكي يرضى عنا الله والامريكان والجيّران ومجلس الحكم؟

بغداد ٢٤/٣/٢٠٠٤

لم أجد قادراً على الكتابة وتدوين الملاحظات، وبدأت أشعر بتعب جسديّ غير مألوف، وقد ازدادت الحساسية الجلدية، على رغم المعالجة السريعة التي قام بها طبيب عجور في ساحة الأسين. كانت عيادته فارغة تماماً باستثناء طاوله من المعدن وكرسيتين. أمّا الانتظار ففي المر، حيث جلست في طرفه امرأة محجّبة لا عمل لها سوى تسلم مبلغ المعانة، خمسة آلاف دينار، حوالي ثلاثة دولارات. وكان السلم المؤدي إلى المعادة مليئاً بالقاذورات، وقد يظن المرء بأن هناك استراتيجية ما وراء هذه القذارة، رسالة مثلاً للسلّتين والنهّابين بأن ليس هناك ما يستحق المجازفة وقتل طبيب ومساعدته المبرقعة. كان كل شيء متداعياً ومتأكلاً، السلم والعيادة والطاوله، وحتى الطبيب الهرم الذي طلب مني أن أراجعه مرّة ثانية في منتصف النهار. "والعصر؟"

"في الثالثة عصرًا أقفل العيادة، لأن ساحة الأمين وساحة الرصافي تتحولان في المساء المبكر إلى نكاس. نحن مارلنا أحياناً لأن أجلاً لم يحن بعد..."

وعندما تجولت في بغداد القديمة لالتقط بعض الصور، اجتاحتني الرعب من حجم الدمار والإهمال الذي تعرّض له وسط المدينة. فأسفوسات الحكومية لم تنهب فحسب، إنما أضرمت فيها النيران، هاهي دار الصحافة، دار الحرية للطباعة التي حوّلها نفر من العائدين إلى حواسم، هاهي المكتبة الوطنية المتكونة وماهو المبني الجميل لوزارة الدفاع التي كان المشاة يمتنعون من المرور في محاذاتها وقد أصبحت اليوم مأوى للمشردين واسطبلًا للحمير وخيول الجرحى.

منطقة العيراضية ومحلة الصابريّة، المركز القديم لبايعات الهوى في زمان العزّ، فساحة الميدان وسوق الهرج والحيدرخانة والقتلة وسوق السراي، صور محيت ألوانها، خرابث ينعب فيها اليوم، وفوقها تهدر طائرات المحتلين. إنه الخراب التام وقد خيّم على أرض السواد، ماثم في حجم المدينة والبلاد كلّها. وجوه الناس المغلوب على أمرهم، النساء اللثيمات اللواتي فارقت البسمة شفاهن. مسرح مجاني، ملبّح يتسلّى به المتفرجون منذ أحوام وأعوام؛ إنني لم أجد احتمال البقاء، فقراي انهارت، وأضلاعي بذلت ترنّجف...

غداً يوم الرحيل، وثمة دلائل تشير إلى أنه سيكون الرحيل الأخير. لقد نفضت يدي عن جنارة الماضي، ماضي أنا، وأخذت أهدق في وجوه الأطفال، أطفال أخي وأختي وفي وجه أمي وأمهات تحت وقع الهاجس الكبير بأنني أراهم الآن للمرة الأخيرة. ألم يدم فراقي عنهم خمسة وعشرين عاماً، فكم ربع قرن آخر بقي في العمر!

ثم جلست في ركن وأخذت أقلب في كتاب عن تاريخ بغداد وأقرأ: "وقعت بغداد بسهولة بين يدي تيمور، فذبح الآلاف من الناس، وهُدمت الجوامع والمدارس والمساجد". وفي العام ١٦٢٣ اتخذت المجاعة "شكلاً مروعاً في بغداد، فقد أكل الناس لحم الكلاب والأطفال وجثث الموتى. وضغط الحصار بشدة وامتلاً الجو بدوي الأفاعيل المتفجرة". وفي العام ١٧٣٣ "أخذ الجوع من المدينة مأخذه وفكك بها المرض ودوى فيها صوت الموت. وقد مات من الجوع ما يزيد على المئة ألف إنسان. فرميت جثث الآلاف منهم في النهر، وظلّت جثث الباقيين تملأ الهواء بعدواها فجاءت بالمرض إثر المجاعة". "يذ أن هؤلاء اللذين صنعوا الحضارة وخطوا للبشرية أولى حروفها وقصائدها حرمت عليهم الحياة، وحرم عليهم حتى اتخاذ الموعدة، فباتوا وقوداً سهلاً للمحارق البشرية التي تقام مرة باسم الدين وأخرى باسم العرق وثالثة باسم الطائفة. إنه الدم العراقي يسفح منذ ألف عام وعام؛ فمن أنا لكي أوقف كل هذا التنزيف؟!

وحضرني في هذه اللحظة ما ذكره الكاتب البلغاري الأصل، الألماني اللغة، إلياس كاتيني (١٩٠٥ - ١٩٩٤) في إحدى خطبه: "كنت عثرت عن طريق الصدفة على ملاحظة كاتب مجهول، حملت تاريخ ٢٣ آب/أغسطس ١٩٣٩، أي قبل أسبوع واحد من اندلاع الحرب العالمية الثانية، جاء فيها: لقد انتهى كل شيء، ولو أنني كنت كاتباً حقاً، لتمكنت من منع وقوع الحرب".

إنني عاجز فعلاً عن إيقاف الدمار الذي حاق بأهلي وبلدي ومدينتي، بل إنني عاجز حتى عن إسكات الصراخ في داخلي. وفضلاً عن ذلك بدت الوجوه اليوم، يوم الوداع، محتقة بالدموع، مبركة بالحنين بأن هذا الابن سيغيب ثانية خلف أسوار العراق بلا عودة، ولا أمل.

مسجد في وسط بغداد، تصوير: Hussein al-Mozany



حول ترجمة ألف ليلة وليلة

ثلاثمئة سنة على صدور أول ترجمة في أوروبا

تلقت المكتبة الملكية في باريس في الثالث والعشرين من كانون الثاني (يناير) ١٧٠٤ ثلاثة كتب جديدة. كانت بمثابة (ودائع شرعية) وهي عبارة عن ثلاث نسخ إلزامية صادرة لتسليمها، تلتزم كل دار نشر بتسليمها إلى المكتبة الملكية. هذه الكتب الثلاثة تضمنت ترجمة ربما تكون الأوفر شهرة والأبلغ تأثيراً على مر العصور. قام المستشرق ليطوان غالان بترجمة مخطوطة عربية قديمة، تحمل اسماً ملتبساً «ألف ليلة وليلة» وصلته من سوريا.

اليطوان غالان (١٦٤٦-١٧١٥)، كان دبلوماسياً سابقاً في الدائرة الفرنسية في اسطنبول، عمل في بداية القرن الثامن عشر أميناً لمكتبة ومتعاطياً لتجارة الكتب القديمة في باريس. إلى جانب عمله العلمي كان يمارس الترجمة مما لديه من المخطوطات ولصالح جهات مختلفة. من خلال مذكرات غالان ومراسلاته وبعض مدوناته الأخرى نعرف أنه قد عبر عن نوع من خيبة الأمل في أنه حظي بتقدير كبير ومميز لترجماته الشائعة أكبر بكثير من إنجازاته العلمية. مع ذلك عين غالان عضواً في ثلاث أكاديميات وفي عام ١٧٠٩ أستاذاً للغة العربية في الكلية الملكية في باريس.

بدأت «مغامرة ألف ليلة وليلة»، حين قام غالان، بين عامي ١٦٩٦ و ١٦٩٨- لم يكن بالإمكان تحديد الوقت بالضبط - بنقل محتويات إحدى مخطوطات «السندباد البحري» التي في حوزته إلى الفرنسية. حظيت هذه الترجمة بدعم سيده البلاط الشهيرة «الماركية»، وكان ينبغي أن تهدى لها. بيد أنه قبيل صدور «السندباد»، أي حين كان الكتاب في المطبعة، علم غالان أن حكاية «السندباد البحري» هي من ضمن طائفة من الحكايات تحت عنوان كتاب واحد يعرف بـ «ألف ليلة وليلة». على الفور، أوهز غالان بإيقاف الطبع وشرع يبحث عن هذا العمل. أخيراً كتب لغالان صديق حملي، على حد ذكر غالان في ١٣ تشرين الثاني (أكتوبر) ١٧٠١، أنه قد حصل في سوريا على مخطوطة ألف ليلة وليلة وهي في ثلاثة مجلدات. وقد وصلت هذه المخطوطة لتوها إلى باريس.

وبذلك كان غالان محظوظاً وتعباً في ذات الوقت. سعيد - حظ، لأن المخطوطة التي عشر عليها صديقه الحلبي، تعد حتى اليوم إحدى أقدم الصياغات التي وصلتنا لألف ليلة وليلة. دوت هذه المخطوطة في حوالي عام ١٤٥٠، وهي تستطيع أن تحتفظ لنفسها، بأنها نشأت في محيط عربي خالص، أي في زمن سابق للتأثيرات الأوروبية المنتظرة على ألف ليلة وليلة. وهذه إحدى سماتها العظيمة، التي تتميز بها عن كل الصياغات الكاملة المتأخرة لحكايات ألف ليلة وليلة: غير أن ما اتسمت به «مخطوطة غالان» لم يقتصر على الأصالة فحسب، إنما تميز نصها عن بقية النصوص بدقة التعبير وكانت كذلك أكثر حيوية وجمالاً من الصياغات الأخرى. فالمخطوطات المتأخرة وصياغاتها المطبوعة - مثال ذلك «طبعة كالكوكتا الثانية» (١٨٣٩ - ١٨٤٢)، التي اعتمدتها ترجمة ابنو ليطمان (في طبعها الأولى ١٩٢١ - ١٩٢٨، بعد أن أجريت عليها تغييرات طفيفة

شهرزاد عن الكلام وذلك لدنو الصباح. فالقارئ، كما يوضح غالان هذا التجاور في مقدمته الموجزة للمجلد السابع، يستطيع بالذات أن يتصور، أن شهرزاد تستمرل في سردها، من غير أن يجعلها الصباح تمسك عن الكلام باستمرار.

الطريقة التي انتهجها غالان في الترجمة والتي تنفقر إلى الأمانة، جعلته عرضة للكثير من النقد. بيد أننا لو قمنا

باستعراض تاريخي، لتوصلنا إلى حكم مختلف تماماً: كانت ألف ليلة وليلة منذ بداياتها الأولى، ولفترة طويلة قبل غالان، ولزمن طويل قبل مخطوطاته، "مغناطيس قصصي" يجلب باستمرار وحير القرون الحكايات الجديلة ويعيد خلقها بصياغات مختلفة على الدوام. هذه الطائفة من القصص لم تكن محمية من مؤلف أو جامع. ولم تمتلك نسخة أصلية. من هذه الناحية لم يأت غالان بما هو مغاير، لما قام به المستخون العرب من قبله والمترجمون وذلك العدد من

الناشرين الذي لا يحصى ولا يعد من بعده: إنه قد أصبح على مؤلف مباح صيغة جديلة، وهي بلا ريب بروح النص الأصلي. وبذلك أضحي غالان جزءاً من عملية النقل، وفي ذات الوقت تليداً لألف ليلة وليلة.

مع أن مصادر مخطوطة غالان "ألف ليلة وليلة" معقدة للغاية، بيد أنها لم تستطع أن تعيق انتصاراتها المتصلة التي لا مثيل لها في الثقافة الغربية برمتها. فالأدب، والفن التشكيلي، والموسيقى، والأوبرا، وفي وقت لاحق صناعة الفيلم، تأثرت تأثراً جوهرياً بهذه الترجمة والترجمات اللاحقة. فليس هناك لونا من ألوان الفن العظيمة استطاع أن يكون بمنأى عن سحر ألف ليلة وليلة. وهذا كله بدأ قبل ثلاثمائة سنة بالضبط مع الترجمة الأولى لألف ليلة وليلة في أوروبا.

دليل المراجع: "ألف ليلة وليلة"، اعتماداً على المخطوطة العربية الأكثر لئساً في طبعة محسن مهدي في أول ترجمة للألفية لكلايو أوت، ميونخ ٢٠٠٤، أظهت الصفحات ٦٤١ - ٦٥٢. ولطالعة موسعة يُنصح بالعرض التفصيلي من حياة غالان وتاريخ ألف ليلة وليلة في طبعة محسن مهدي، (ألف ليلة وليلة) من أولى المصادر المعروفة. الجزء الثالث: تمهيد مع فهرست، لايدن ١٩٩٤ ص ١١-٤٩.

ترجمة: علي محمود



Tausendundeine Nacht

Das arabische Original -
erstmalig in deutscher Übersetzung
C.H. Beck

١٩٥٣) - بدت، مقارنة بمخطوطة غالان، أقرب إلى الجمود وقد استخدمت أسلوباً أدبياً يتماشى مع الصيغة المكتوبة. على العكس من ذلك، كانت "مخطوطة غالان" تتحدث لغة تقترب من المشافهة، وتتمس ببساطة وطبيعية اللغة وتشييع السرور في قصص ما هو أخاذ ومشوق.

وكان غالان سيء الحظ، باعتبار أنه اكتسب مع تلك المخطوطة المسماة باسمه عملاً لم يكتمل، ولن يتم العثور على حلقاته المكتملة، بل، حتى يفترض، أن مواصلة مباشرة متابعة حلقاته المفقودة لم تتم على الإطلاق، إنما النموذج الذي اعتمدته مخطوطة غالان انتهى في الليلة الثانية والثمانين بعد المئتين، لأنه توجد مخطوطة أخرى من سوريا تعود إلى فترة زمنية مقاربة وهي قريبة جداً من المخطوطة المذكورة وتنتهي تماماً في نفس الموضوع. شرع غسالان، الذي لم يكن حينذاك على علم بكل هذا، يبحث عن الطبعة السكاملة لألف ليلة وليلة، بيد أن الحظ، بالطبع، لم يحالفه في ذلك طبلة حياته. وبينما غسالان، الذي حدا به النجاح الذي حققته مجلداته الأولى إلى

التفتيح عن حكايات جديدة لـ "ألف ليلة وليلة" من مصادر أخرى، بقي مقتصرًا على "مخطوطة غالان" الشهيرة ذات المجلدات الثلاثة، التي بقيت محفوظة حتى اليوم تحت الرمز MS ambe 3609,3610,3611 في مكتبة باريس الوطنية.

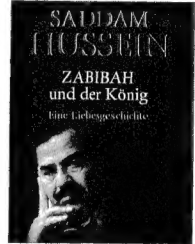
وقد احتفظت "ألف ليلة وليلة" الفرنسية لانتوان غالان بالنجاح الهائل الذي حققته. وتلت المجلدات الأولى مجلدات لاحقة، وحين استنفد غالان موارده، أخذ يُضمن حكايات من مصادر أخرى. في البداية وقع اختياره على "السندباد البحري"، الذي سبق أن كان جاهزاً للطبع. وفيما بعد انصرف إلى مخطوطات لا تمت بأي صلة إلى حكايات ألف ليلة وليلة. وأخيراً أخذ يروي حكايات جديدة. أما "علاء الدين والمصباح السحري، علي بابا والأربعون حرامي، وغيرها من الحكايات الأخرى التي تضمنتها مجلدات من المجلد التاسع إلى المجلد الثاني عشر من أعمال غالان ذات الاثني عشر مجلداً، فلنا ندين بها إلى المسيحي الماروني السوري حنا ديب الذي تعرف عليه غالان عام ١٧٠٩ في باريس.

ولتقسيم كل هذه الحكايات باختيارها أجزاء من ألف ليلة وليلة، أصّل غسالان قلمه بعنف ليس في النص فحسب، إنما تجاوز ذلك ليطاول البناء القصصي برمته. حيث ألف في مجلداته اللاحقة حدود الليل، التي تتوقف عندها

صدام بالألمانية

دوريس كيلياس تضيف صدام حسين إلى قائمة مؤلفيها العرب

في عام ٢٠٠١ قام جيل موتيه، الأمين العام لجمعية الصداقة الفرنسية العراقية، بعملية سرية بين بغداد وباريس. والمهمة السرية التي أداها موتيه، التهمة جمعته أيضاً بفضيحة الكويونات النفطية العراقية، كانت بسيطة جداً؛ فقد نقل سرّاً نسخاً من رواية «ربيبة والملك» المنسوبة لدكتور العراق المخلوع، لأنّ الكتب ما كانت لتخرج يومها من العراق إلا بإشراف لجنة العقوبات التابعة للأمم المتحدة. أما لماذا قام موتيه بهذه «المخاطرة»، ليكشف «العالم الداخلي لصدام حسين بعيداً عن الصورة الساخرة التي تنشرها وسائل الإعلام». ربما يبدو العذر مقبولاً لمن لا يعرف هذا «النشاط» الفرنسي. لكن من يعلم أنّ موتيه كان على علاقة وثيقة بصدام وأركان نظامه منذ عام ١٩٧٥، أي أيام كان صدام يحمل لقب «السيد النائب»، وأنه لم ينقطع عن زيارة العراق، فسيذكر كم أنّ هذا العذر أفتح من الذنب. على كل حال موتيه «هرب» الرواية ونقلها إلى اللغة الفرنسية وطبع منها ثلاثين ألف نسخة. وبذلك كانت باريس المحطة الأوروبية الأولى لهذه الرواية التي دوخت الشقيفين العرب لأكثر من عام وأدخلتهم في حروب أمر من داحس والغبراء. ولأنّ الأوروبيين عمليون أكثر من العرب فلم يعابوا بهذه السجلات، بل اعتمدوا على معلومات موتيه، بالقرب من نظام البعث المخلوع، بأن عبارة «رواية لكتبتها» التي صدرت بها الطبعة العربية الأولى لا تعني إلا أن صدام هو كاتبها. حتى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية اعتمدت على مصادرها الخاصة واعتبرت أنّ صدام هو من قام بتأليف الرواية وأخضعها لتحليل دقيق للوصول إلى مغاليق شخصية حاكم العراق المخلوع قبل البله بحرب الإطاحة به.



ولأنّ الألمان منشغلون هذا العام بضيف الشرف الجديد على معرض فرانكفورت الدولي للكتاب، أي الأدب العربي، فالتأشرون في ألمانيا يجدونها فرصة لترجمة أكبر عدد مننتاجات الكتاب العرب الأدبية. ولأنّ «ما حدا أحسن من حدا» قام ناشر ألماني مغمور بتقليد النموذج الفرنسي وأقدم على ترجمة رواية «ربيبة والملك» إلى اللغة الألمانية. فلماذا نحرّم، برأيه، القارئ الألماني من فكر وإبداعات صدام حسين في حين أنّ الفرنسيين ترجموها والإسبان أصدروا الطبعة الثانية من هذه الرواية؟ الملمون بأمر النشر في ألمانيا يعلمون تماماً أنّ هذا الناشر (توماس ياور فيرلاغ) لم يبد في أي يوم من الأيام أدنى اكتراث أو غيرة على الأدب العربي، فما الذي دفعه إلى طبع عشرة آلاف نسخة من هذه الرواية باللغة الألمانية؟ في حين أنّ عدد نسخ أهم رواية عربية مترجمة إلى الألمانية لا يصل إلى ثلاثة آلاف نسخة. وسارع الناشر إلى القول، مقلداً مثله الأعلى الفرنسي، بأنه على استعداد لتحويل ريع الرواية إلى جمعية الهلال الأحمر العراقي أو إلى أطفال العراق، تلك الشماخة التي علق عليها الكثيرون ارتباطاتهم بنظام بغداد أيام الحصار. بل مضى «هيلموث كلاين»، الذي كتب مقدمة الطبعة الألمانية، إلى أبعد من ذلك ورأى أنّ صدام بحاجة إلى ريع الكتاب لدفع أتعاب محاميه، خصوصاً أنّ محاكمته على الأبواب! لهذا الحد وصلت الأمور في إهانة ضحايا النظام المخلوع؟ وهل صدام حقاً بحاجة إلى بضعة دولارات من دار نشر في قرية نائية من قرى بافاريا؟

المشكلة ليست في هذه الدار ودوافعها، إنسانية كانت أم تجارية، فكل دار نشر لها سياستها الخاصة وهي حرة في اختيار ما تراه مناسباً، لكنّها تتعلق هذه المرة بالأدب العربي. فمن قام بترجمة رواية صدام هي دوريس كيلياس التي قدمت روائع شجيبة محفوظة للقرآن الألمان (انظر الصفحة ٣١ من هذا العدد). في الحقيقة لا نفهم لماذا تقدم مترجمة بوزن ومكانة دوريس كيلياس على هذه المغامرة، خصوصاً أنّها وصفت رواية صدام «بكتلة من الغباء» وعانت، حسب قولها من «هذه اللغة المبهمة التي تذكر بخطابات المؤتمرات الحزبية؟» فكيلياس لم تترجم محفوظ فحسب بل إبراهيم أصلان وحسن داوود وميرال الطحاوي وغيرهم وهي على إطلاع كبير على الأدب العربي، فهل كان ينقصها أن تضيف دكتور العراق إلى قائمة مؤلفيها العرب؟ سؤال نترك الإجابة عليه لكيلياس نفسها. هذه القضية تظهر غياب المعايير الدقيقة في اختيار النصوص العربية المترجمة إلى الألمانية وكم هي الغوضى والعشوائية التي تتحكم بهذا الأمر ونحن على أبواب معرض فرانكفورت للكتاب.



«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ». لوحة للفنان الصيني ما تي شانغ، الصين ١٩٧٠ - ١٩٨٠

